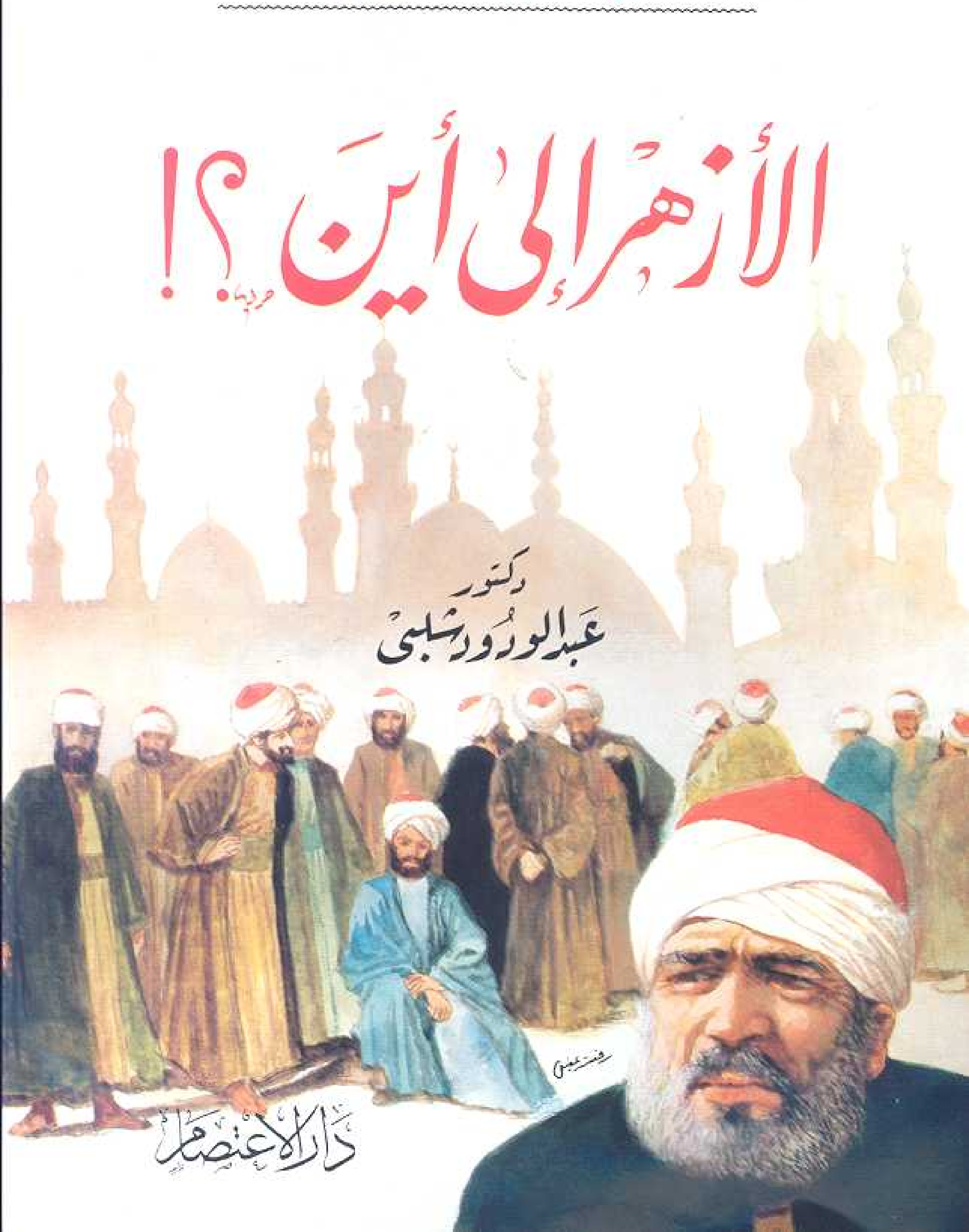
من شيخ أزهري إلى شيخ الأزهر

الأزهر إلى أين؟!



دكتور
عبد الودود شلبي

دار الاعتصام





من شيخ أزهري
إلى شيخ الأزهر

الأزهر إلى أين ؟!

دكتور
عبد الودود شلبي

دار الاعتصام



الإهداء

إلى روح أمى ..

إلى روح أبى ..

فقد كان من أعز أمنياتهما أن أكون « أزهرياً » كغيرى من « الأزهريين » الذين كانوا فى هذا الزمان قرة عين الدنيا وزينتها .. وفى قرية كانت معروفة آنذاك بالورع والتقوى بين ما جاورها من القرى .

* * *

الأزهر الذى نريده !؟

إن الأزهر الذى هو أرفع مؤسسة علمية وتربوية فى العالم الإسلامى يجب أن يكون رائدًا للتقدم والازدهار فى كل عصر ، وعنوانًا لقدرة الشعوب الإسلامية فى كل مكان على السبق الحضارى والإنجاز العلمى ؛ لأن الأمم لا تصنع المجد وتكتب التاريخ إلا بالعلم والفكر ، والعلماء الصالحون هم القادرون وحدهم على رسم صورة المستقبل ، وكسر حاجز الزمن .

ولذلك فنحن ننتظر من الأزهر الكثير ، ونحن على أبواب مرحلة جديدة من مراحل التطور والنمو ، ونتطلع إلى مزيد من المشاركة الأزهرية فى مواجهة التحديات والصعاب التى تعترض طريقنا فى الحاضر والمستقبل.

نتطلع إلى مضاعفة الجهد الذى يبذله علماء الأزهر الأجلاء لتأمين الفكر الإسلامى ضد المفاهيم الدخيلة المدمرة ، وتقريب علوم الدين إلى عقول الشباب حتى أولئك الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية .

وبالتحديد ، فقد يكون من المفيد أن نلقى نظرة على مناهج الدين فى شتى مراحل التعليم وأسلوب تدريسه وتقريبه إلى عقول الناشئين وقلوبهم.

نتطلع إلى مشاركة أزهرية نشطة فى بحث قضية الثقافة فى مصر والمجتمع الإسلامى على امتداده ، فى وقت يتصارع فيه القديم والحديث ، وتصطدم فيه النظرية بالواقع ، وتتزايد أهمية العلم ليس فقط كوسيلة للتقدم وصنع الحضارة ، بل باعتباره قيمة فى حد ذاته .

نتطلع إلى دور أكبر للأزهر وخريجيه فى العالم الإسلامى على امتداده ، لنشر الثقافة الدينية ، والتقريب بين المدارس الفكرية والمذاهب ، وتعميق الروابط بين شعوب الأمة الواحدة .

نتطلع إلى تعميق مفهوم الانتماء الوطنى ؛ لأن حب الوطن من الإيمان ، والذود عن أرضه ومقدساته فريضة شرعية ثابتة ، لا يستقيم بدونها مجتمع إنسانى فى عصر تراضى فيه الناس على إقامة كيانات وطنية مستقلة لها خصائصها ومصالحها الذاتية .

نتطلع إلى كل هذا ، بقلوب مفعمة بالأمل والرجاء ، ونفوس عامرة بالثقة والإيمان ؛ لأن الأزهر هو أولًا وقبل كل شىء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وتجردوا لأداء الرسالة ، مؤثرين الله على أنفسهم وذريتهم .

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ .

ونحن من جانبنا لا نألو جهدًا فى سبيل تعزيز هذا الصرح الكبير وجعله أكثر قدرة على العطاء المنهمر .

ولا بد لهذه المسيرة أن تنتصر ، ولهذا النجاح أن يتصل ، والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ، لترفعن مآذن الأزهر ، ولتعلون كلمته وتتعالى هاماته فى الآفاق ، ما بقى فينا عرق ينبض ونفس تؤمن بالله وتعاليمه .

من كلمة رئيس الجمهورية

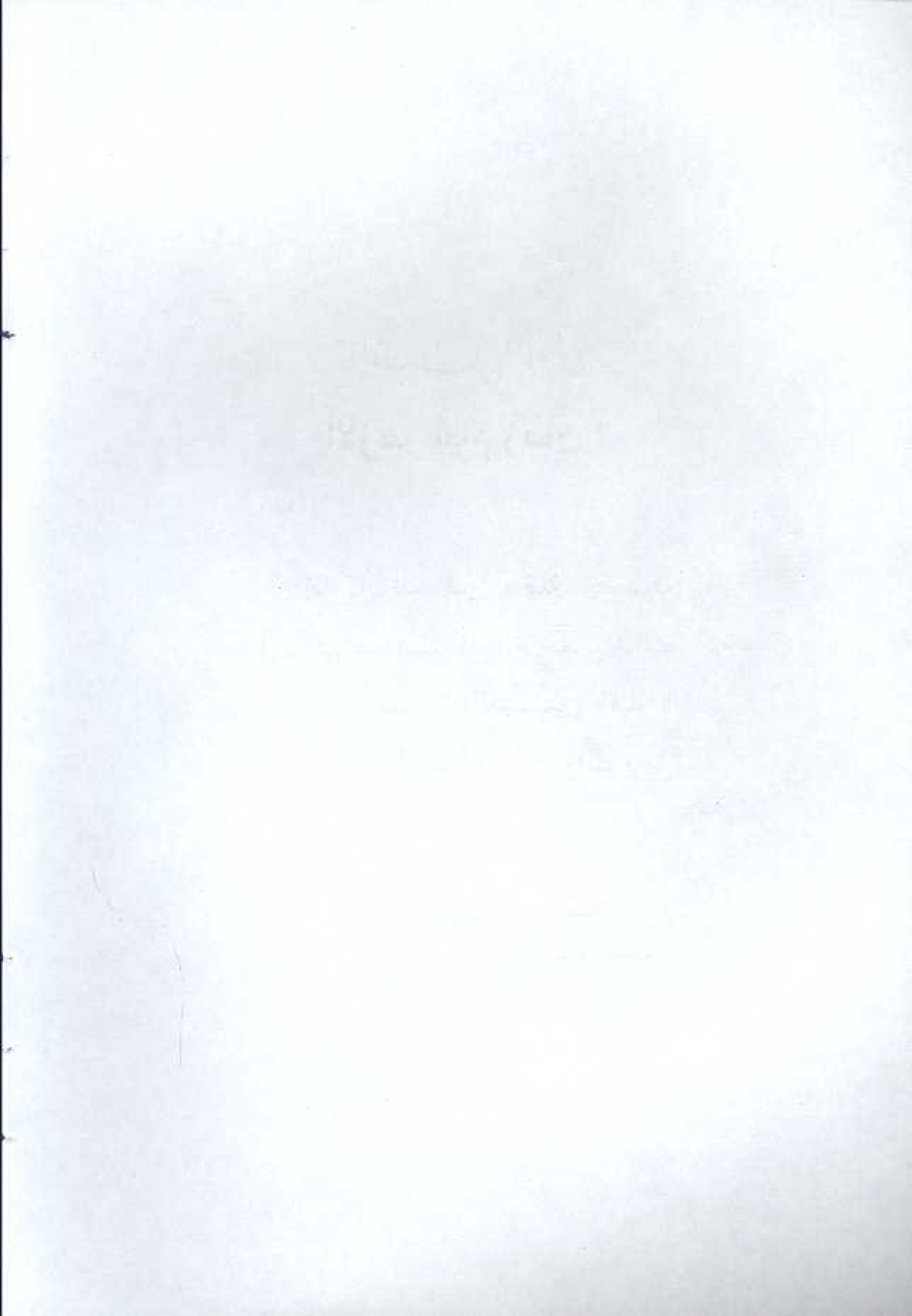
فى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر

الفصل الأول

الأزهر أيام زمان !

إذا كان للمسلمين « قبلة » يتجهون إليها فى صلواتهم كل يوم خمس مرات .. وهى الكعبة فإن للمسلمين « قبلة » أخرى يتجهون إليها فى كل وقت وهى الأزهر !!!

مولانا أبو الكلام آزاد
الزعيم الهندى المسلم



الزمان يتراجع القهقرى ..

خمسون عامًا مضت على هذه الذكريات التى لا تنسى .

كان صحن الأزهر فى هذا الزمان خلية نحل ، لم يكن يخلو من العلماء والطلاب فى أى وقت ، كانت الأورقة مفتحة الأبواب على هذا الصحن : رواق الشوام ، ورواق المغاربة ، ورواق السنارية ، ودارفور ، كما كان لرواق الشراقوة باب ملصق بمبنى الجامع الكبير من الخلف .

ومما أذكر أيضًا أن طلاب الصين كانوا يقيمون فى الطابق الأول من معهد القاهرة الذى كان أكبر معهد أزهرى فى مصر .

إن الجيل الجديد من أبناء الأزهر لا يعلم أن هذا المعهد كان يتكون من ثلاث عمارات ، وكان عدد طلابه فى القسمين : الثانوى والابتدائى لا يقلون عن خمسة آلاف ، وكان معظم هؤلاء الطلاب يذهبون إلى الجامع الأزهر فى المساء للاستذكار .. فى كل ركن وحول كل عمود .. على الحصير والأرض فى النهار أو الليل حركة دائبة ، ودراسة مستمرة فى الدين والأدب ، فى السياسة والعلم ، فى الفقه والنحو ، وفى مصر وما يقع فوق أرض مصر ! .

كان امتحان « الأستاذية » .. أو « الدكتوراه » كما تسميها فى لغتنا الحديثة ينعقد فى الرواق العباسى على يمين الداخل إلى الصحن .

منظر مهيب لشيخ الأزهر وكبار العلماء ، وهم يديرون مع الطالب الحوار ، ثلاث ساعات فى امتحان رهيب ، يفوز بعده الطالب بدرجة العالمية ، أو الأستاذية ، أو الدكتوراه التى ورثت كل هذه الألقاب الجليلة العلمية .

على باب المئذنة .. وتحت المزولة كانت جلستى المفضلة طوال طلبى العلم ومجاورتى للأزهر الشريف - قرة عين الإسلام فى كل عصر - لم يكن اختيارى لهذا المكان عن قصد ، بل كانت روحى هى التى تقودنى إلى هذا المكان عقب صلاة كل عصر .

أحاسيس لا يمكن تفسيرها فى نظر العقل ، وهل العقل هو كل شىء فى هذا الكون ؟ وهل كل ما يوحى به العقل صواب : مبرأ من الخطأ والنقص ؟

كان مؤذن المسجد فى هذا الوقت اسمه الشيخ إبراهيم الشارونى « شخصية عجيبة » ولكن الشىء الذى كنت أتعجب منه موقف الشيخ الصالح عبد اللطيف من ذلك المؤذن :

(لم يكن - يقبل أن يصلى خلفه .. فإذا رآه يتقدم المصلين نفر من الصلاة وانطلق إلى صحن الأزهر يصرخ ويشتم !) .

إن الشيخ عبد اللطيف - كما يقول عارفوه - كان قطبًا وكان لا يترك جماعة من الجماعات فى الجامع الأزهر .. وكنت أعرف مقامى من الله إذا رضى عنى وأقبل علىّ .

وأشهد الله .. ما من مرة أشاح عنى هذا الشيخ بوجهه إلا عرفت أنى مذنب !!

كانت أوقات هذا الشيخ موزعة بين مسجد سيدى أحمد الدردير ، ومسجد الأزهر - لم أكن أعرف فى هذا الوقت مكان سيدى أحمد - كنت حديث عهد بالقاهرة ، والحرب العالمية الثانية يشتعل لظاها فى كل ناحية ، وذات ليلة انطلقت صفارات الإنذار معلنة عن قرب وقوع غارة جوية ، ولعلعت السماء بأصوات المدافع والكشافات من جهة القلعة .. وفجأة حدثت فرقعة شديدة انطلق بعدها الناس يلتمسون النجاة .. وهاموا

على وجوههم فى كل اتجاه ورأيتنى فجأة أسير مع السائرين إلى مسجد يقع فى شارع « الكحكيين » ، المتفرع من شارع « الباطنية » .. كان هذا المسجد هو مسجد « سيدى أحمد الدردير » وكان هذا مقامه الذى يتضرع عنده العابدون .

إن الشيخ الدردير كان من كبار الأولياء الذين عرفوا بالصلاح والتقوى ، ويروى عنه العارفون القصص والحكايات التى تؤكد هذه الدعوى .

لقد عرفت الآن أنه كاتب (دلائل الخيرات) التى كنا نقرأها صغارًا على أرواح الموتى .

يقول عنه صاحب (كرامات الأولياء) :

« ... وشهرته بكثرة العلم والعمل والولاية والإرشاد ، وكثرة المناقب والفضائل على تعدد أنواعها تغنى عن الإطالة بشرح حاله ، فهو شمس العرفان ، وعارف الزمان المُجْمَعُ عند المسلمين كافة على اختلاف المذاهب والمشارب على جلالة قدره وولايته وإرشاده واتساع علمه ، وعموم نفعه فى سائر بلاد الإسلام » .

ذكره شيخنا الشيخ « حسن العدوى » فى كتابه (النفحات الشاذلية فى شرح البردة البوصيرية) فكان مما قاله :

« إن شيخه الشيخ محمد السباعى كان يبشره بالفتح ، وتتكرر منه مرارًا فى أيام متعددة قوله : (والله أو وعزة ربى إنك لمحبوب الدردير) .. قال : فتعلقت آمالى بمحبة هاتيك الأعتاب وأكثرت زيارته : أى الشيخ الدردير إلى أن يقول :

(وقد وقعت لى أزمة ومحنة مع الحكومة خفت على نفسى منها فرأيت كأنى فى قصر مغلق الأبواب ممتلئ بالأفاعى والحيات ، ورأيت كل الأبواب مغلقة فأيقنت أنى هالك لا محالة ، فإذا بشباك مفتوح فى أعلى

القصر فنظرت فرأيت قصرًا آخر مقابلًا للقصر الذى أنا فيه يسمى « قصر الأمان » ، فتحيرت فى الوصول إليه لبعد المسافة فإذا بجوهرة يتلألأ نورها بين السماء والأرض تخاطبنى بقولها :

أنا روح الدردير ، افتح فمك ففتحت فمى ، فدخلت فيه فقالت : سر كيف شئت ، فوجدت نفسى فى قصر الأمان قائلاً : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم . واستقررت فى قصر الأمان ، وانتبهت فانصرف عنى ما كنت أجد وحصل لى النصر التام) !!!

* * *

لقد كان الشيخ الدردير من كبار شيوخ العلم ، وكان مجلسه المختار أمام القبلة القديمة فى الجامع الأزهر ، وكان إمامنا الراحل عبد الحليم محمود يحرص على زيارة هذا المكان كلما سنحت فرصة للصلاة فى هذا المسجد . وأذكر أن المرحوم الشيخ عبد الرحيم فودة المدير الأسبق « لمجلة الأزهر » أخذنى قبل وفاته بليلة واحدة لزيارته وقراءة « سورة يس » فى مسجده .

إن تاريخ الأزهر هو تاريخ هؤلاء العلماء الذين تجردوا للعلم طلباً لمرضاة ربهم الأعلى .. وما قيمة القباب والمآذن إن لم تكن نفيرًا يجلجل بكلمة الحق ويعلن إلى الناس كلمة الله الأخيرة إلى الخلق ... ؟ .

وقد كان الأزهر دائماً عند حسن الظن ، لم يتخلف يوماً عن واجبه تجاه الشعب ولم يرض لعلمائه أن يقفوا ساكتين أمام الظلمة والطغاة من حكام مصر ! .

كان الأزهر هو المثابة التى يفزع إليها الناس حين يحز بهم أمر ، والمأمن الذى يقصده الشعب حين تضيق به السبل ، وكان العلماء والمجاورون يستمعون إلى الشعب حين يلجأ إليهم فيغضبون على من أوقع

بهم الظلم .. بل نجد فى بعض الأحيان أن الحاكم الظالم كان يعلن توبته أمام العلماء .. ويعاهد أمامهم الله أن يعدل بينهم فى حكمه ! .

فالأزهر كان أشبه بالبرلمان الذى يترجم عن رغبات الشعب رضاً وسخطاً، والترجمة عن السخط كانت أكثر بطبيعة الحال ، لأن شئون الحكم فى ذلك الوقت كان فيها الكثير مما يسخط ، والقليل مما يرضى ، وكان وجدان الناس فى أغلب أقطار الإسلام وجداناً دينياً ، وكانت عاطفتهم فى أغلب الأحوال قائمة على الدين والعقيدة ، والعلماء هم حماة الدين ، والأزهر هو كعبة العلماء والعلم .

فكان العلماء يشعرون بما لهم من مكانة بقدر ما فى نفوس الناس من عاطفة دينية ، وكان الناس ينظرون إليهم كحماة للشرع والعدل ، ورقباء على صلاح الحكم وتوجيه الحاكم ، وكبح جماح من يرون فيه الفساد أو الشطط ، وكان الحكام يخشونهم لهذه الأسباب وبخاصة إذا اجتمعت كلمتهم مع الشعب .

* * *

لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة ، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها ضاق صدر الخديوى إسماعيل ، فركب يوماً مع شريف باشا ، وهو محرج فأراد أن يفرج عن نفسه لشريف باشا : ماذا تصنع حين تلم بك ملمة تريد أن تدفعها ؟

فقال : يا أفندينا : إن الله عودنى إذا حاق بى شىء من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخارى يقرؤه لى علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عنى ! .

قال : فكلم الخديوى شيخ الأزهر وكان الشيخ العروسى فجمع له من صالحى العلماء جمعاً أخذوا يتلون البخارى أمام القبلة القديمة فى الأزهر . قال : ومع ذلك ظلت أخبار الهزائم تتوالى ، فذهب الخديوى ومعه شريف

باشا إلى العلماء ، وقال محنقاً : إما أن الذى تقرءونه ليس صحيح البخارى ، أو أنكم لستم العلماء الذين نعدهم من رجال السلف الصالح ؟!

فإن الله لم يدفع بكم ، ولا بتلاوتكم شيئًا ، فوجم العلماء لذلك .. وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له :

إن سبب هذه الهزائم منك يا إسماعيل ، فإنا روينا عن النبى ﷺ أنه قال : « **لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسطلن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم** » !!

فزاد وجوم المشايخ وانصرف الخديوى ومعه شريف باشا ، ولم ينبس بكلمة ، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه .

فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسال : أين الشيخ القائل للخديوى ما قال ؟

فقال : أنا ، فأخذوه وقام .

وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونه وداع من لا يأملون أن يرجع ، وسار شريف باشا بالشيخ إلى أن دخل على الخديوى فى قصره ، فإذا به قاعد فى البهو وأمامه كرسى أجلس عليه الشيخ وقال له :

أعد يا أستاذ ما قلته لى فى الأزهر ، فأعاد الشيخ كلمته وردد الحديث وشرحه فقال له الخديوى : وماذا صنعت حتى ينزل بنا البلاء ؟

قال له : يا أفندينا أليس الزنا برخصة ، والربا برخصة ، والخمر برخصة ، وعَدَّدَ له منكرات تجرى بلا إنكار ، فكيف تنتظر النصر من السماء ؟

فقال الخديوى : وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب ؟

فقال له الشيخ : إذن فما ذنب البخارى وذنب العلماء ؟

ففكر الخديوى مليا وأطرق طويلًا ثم قال له : صدقت ، صدقت !!

في صحن الأزهر أدركنا تلك الأروقة التى كسيت جدرانها بخزائن الخشب ، وسمعنا عن « المجاورين » الذين عاشوا أكثر من نصف قرن بين الجدران والخزائن حرصاً على الطلب ، ورأينا كثيرًا من الطلاب عكفوا فى الجامع مستعينين بخزائنهم ، وقد حوت كتبهم وثيابهم ، وفرغوا أنفسهم لطلب العلم وأداء الصلوات ، فلا يخرجون منه إلا يوم الخميس ظهرًا إلى النهر.. كانوا يعيشون على الكفاف ويرضون بالقليل من الزاد ، وكان أقصى ما يتمتعون به من طعام أن يشترك جماعة منهم فى شراء طبق من الفول المسلوق يفتتون فيه خبزهم الجاف ، ثم يتبعونه بقدح من الشاى المخلوط بالنعناع !!!

* * *

منذ أكثر من خمسين عاماً .. ومذ خطت قدماى أولى الخطوات فى طريق العلم .. وفى « كُتَّاب القرية » الذى لا يزال مبناه قائمًا يذكرنى بفقيهه الورع التقى .. كان أمل الآباء والأمهات أى يصبح أحد أبنائهم شيخاً تلتمس منه البركة ، ويمسك (عمودًا) من أعمدة الأزهر يتحلق حوله الشيوخ والطلبة ، كان خيالى فى هذه المرحلة المبكرة من العمر متوهجاً بأحلام الطفولة الجميلة ، فقد كنت أتصور هذا « العمود » عصا طويلة صنعت من الذهب أو الفضة كما كنا نتصور قصور الملك فى هذا الوقت نسخة من قصور « ألف ليلة وليلة » !!!

لم تكن أحاديث الناس فى هذه القرية تخلو من هذه الحكايات التى تعدد مناقب شيوخ الأزهر ، وتشير إلى مكانتهم العالية الرفيعة .

كان سمتهم جميلًا ، وخلقهم نبيلًا ، وعلمهم لوجه الله خالصًا .. كانت قريتنا تتميز على غيرها من القرى بحب العلم ، لقد عاصرت فى هذه القرية أكثر من مائة عالم وطالب .. إنها قرية « سيدى عبد الوهاب العفيفى » الذى يقول عنه الجبرتى :

(كان من الزاهدين فى الدنيا ، متحرزًا فى أكله وملبسه ، لا يأكل إلا ما يجيئه من بلده « ميت عفيف » من الخبز الجاف و « الدقة » ، وكان الأمراء يقصدونه للزيارة فينفر منهم ، ومن تفضل الشيخ بمقابلته قدم له من خبزه الجاف ليأكله) .

ويضيف صاحب « كرامات الأولياء » عن هذا القطب فيقول :

(إنه كان من أكابر الأولياء ، وأعيان العلماء الأصفياء ، وكراماته كثيرة منها ما ذكره العلامة البراوى أنه رآه فى عرفات حين حج مع أنه لم يخرج من مصر) !!

كان فى قريتنا رجل معمر اسمه الشيخ « سيد » عاش أكثر من مائة عام بعشر سنوات ، كانت حافظته قوية ، وذاكرته دائماً حاضرة ، وكان من عادته أن يحضر إلى القاهرة فى فترات متباعدة ، وكان « صحن الأزهر » مكانه المختار فى كل زيارة . لقد عاصر أحمد عرابى وسعد زغلول ، والشيخ حسن الطويل ، وكان يحفظ الكثير من حكايات هذا العصر ونوادره كأنه يراها رأى العين ، وكأنها ماثلة أمامه كما رآها قبل عشرات السنين .

وفى واحدة من زياراته النادرة جلس يحدثنا عن ذلك الشيخ الذى وقف من السلطان العثمانى عبد العزيز موقفًا طار بسببه صواب الخديوى إسماعيل، فقد كان من برنامج زيارة السلطان لمصر أن يلتقى بعلماء الأزهر. وفى اليوم المحدد لهذه الزيارة ، أعد الشيوخ أنفسهم لاستقبال السلطان المعظم .. كل العلماء أوقفوا الدروس ، وقفوا يرحبون بالضيف الذى تطير من خوفه الرءوس : إلا شيخاً واحدًا ظل مكانه يقرأ ويشرح ، ويفسر، ويوضح ، كان جالسًا على الأرض وقد مد رجليه غير عابئ بما يدور حوله ، وحين اقترب منه السلطان والخديوى لم يتوقف ولم يتحرك .

وجن جنون الخديوى إسماعيل ، إن هذا الشيخ المجنون أفسد عليه خطة

الزيارة ، ولكن السلطان تريث وأراد أن يختبر الشيخ قبل أن يتخذ منه أى موقف ، لقد نادى السلطان على أحد أعوانه ، وأعطاه « صرة » من المال ليقدمها إلى هذا الشيخ الذى لم يقم لاستقباله .

قال رسول السلطان للشيخ : لماذا لم تقم كغيرك من العلماء لاستقبال مولانا الخليفة ؟

قال الشيخ : إن مجلس العلم يحضره الله جل جلاله ، فكيف تطلب منى أن أفارق الله لاستقبال عبد من عباده ؟ !!

قال رسول السلطان للشيخ : إذن فأقبل هدية مولانا الخليفة ..

قال الشيخ : قل للسلطان : إن الذى يمد رجله لا يرفع إلى غير الله يده !!

* * *

يقول شاعر فارسى :

لا أحب أن أبيع خرقتى المتواضعة برايات الملوك وأعلام السلاطين .. ولا أرضى بأن أهجر « فقرى » حرصًا على مملكة سليمان !!

* * *

ومن نعم الله على مصر أن قام الأزهر الشريف فى رحابها الطاهرة يوجه ويرشد ، ويُقَوِّمُ ، ويصلح ، ويتصدى علماؤه العاملون لمقاومة الطغيان والبغى ، ويقودون بتقواهم وصلاحهم قوافل الإصلاح والحرية دون رهبة ولا خوف ، ويصححون مسيرة الحياة العابثة حين تنحرف وتعوج .

(ومن فهم الواقع على جليته أن نذكر أن أهل البلد قد حددوا وظيفة الأزهر ، ووظيفة علمائه تحديدًا يعز أحياناً على الدستور المكتوب ، فكان منهم من يتولى الصدارة فى شئون السياسة ومخاطبة الحكام ، لأنه أقدر على هذا العمل وأصلح ، وكان منهم من يثق الناس فى تقواه ، ويطمئنون إلى

نزاهته فى أمور الدين والرياسة ، وكان منهم من يفاوض الوالى التركى ، وليس هو بأعظم علماء البلد ، وكان منهم من يفاوض (نابليون) وليس منهم بمكانة الرياسة العلمية ولكنهم كانوا مرشحين لوظيفة السفارة بما لهم من خبرة فى سياسة الناس وأساليب الإقناع ، وعلاج المشكلات) .

* * *

فى الحلقات الجانبية أمام أبواب الأروقة القديمة كنت أسمع هدير المناقشات حول مقال نشر فى مجلة « الرسالة » ، أو بحث كتب فى مجلة « الثقافة » هاتان المجلتان كانتا من أكثر المجلات تداولًا بين طلبة الأزهر وكانت « الرسالة » أكثر حظًا من شقيقتها فى الانتشار والذيوع ، أما المجلات الشهرية مثل مجلة (الكاتب) أو مجلة (الكتاب) فكانتا معروفتين بين خواص طلبة الأزهر المهتمين بشئون الثقافة والأدب ، وكان (البيان والتبيين) للجاحظ و (العقد الفريد) لابن عبد ربه وكتاب (الكامل) للمبرد من أهم الكتب التى يحرص الطلاب على اقتنائها وقراءتها . فلم يكن عجبًا أن يكون طلاب الأزهر هم خطباء مصر كلها بدءًا من المسجد وانتهاء بالنادى الثقافى ، أو الحزب السياسى .

وهل يصدق أحد الآن إذا قلت : إن طلاباً فى السنة الثالثة ، أو الرابعة الابتدائية كانوا يؤلفون الكتب ، ويكتبون القصص ، وتنشر لهم الصحف ؟ خيال أبعد من التصديق وهو أكثر بعدًا وخيالًا حين نعرف أن فقراء الطلاب كانوا يقومون بنسخ الكتب التى يعجزون عن شرائها من السوق !!

كان فى معهد القاهرة أكثر من خمس جمعيات ثقافية وأدبية منها (جماعة التعاون الثقافى) [1] و (جماعة أبناء الأزهر للخطابة) ، و (نادى الأدب العالمى) .

---

(١) أنشأ هذه الجماعة الطالب (كمال حسين حمودة) وكان ينفق على هذه الجماعة من ماله الخاص .

كانت روايات المنفلوطى ، ومسرحيات وديوان شوقى ، ووحى القلم للرافعى ، ووحى الرسالة وآلام فرتر للزيات يكاد يحفظها بعض طلاب الأزهر كلها عن ظهر قلب ، وقد بدأت تجربة للحفظ مع (رسائل الأحزان) و (أوراق الورد) ، أما كتاب (ماجدولين) و (الفضيلة) للمنفلوطى فكان فيهما العزاء للكثير ممن تعرضوا لتجارب عاطفية فى الحياة أو الحب !!

كان لعلوم الشرع والنحو وقتهما المقدس عند كل طالب ، أما الاشتغال بفنون الأدب والشعر فله أوقات الفراغ بعد مراجعة الدروس المقررة ، وحين تتاح الفرصة للحوار والمناقشة .

* * *

فى صحن الأزهر وفى المناسبات الإسلامية .. كان يحتشد فى هذا المكان أكثر من عشرة آلاف عمامة ، كل طلبة الكليات وطلبة معهد القاهرة ، وطلبة القسم العام .

كان من عادة مشيخة الأزهر أن تحتفل برأس السنة الهجرية احتفالاً يحضره الملك ، ويخطب فيه شيخ الأزهر ، وتلقى فيه الخطب والقصائد ، ويدعى إليه الوزراء وكل رجال الدولة .

مهرجان تاريخى يتجدد على مدار العام يوم المولد النبوى ، وفى شهر رمضان ، وفى أيام الأعياد ، لم تكن احتفالات كتلك التى تراها فى هذه الأيام .. بل كانت مهرجانات يفرض فيها العلم مكانته ، ويعزز فيها الأزهر شأنه ، ويؤكد فيها شيخه الأكبر سموه وتألقه [1] .

* * *

يقول أُستاذنا الشيخ صالح شرف : كنت فى زيارة للشيخ الأكبر

---

(١) وقد عادت هذه الاحتفالات إلى سابق عهدها بفضل الله ، ثم بمجهود وزير الأوقاف السابق الدكتور محمد على محجوب .

« المراغى » فى منزله بحلوان ، وبينما نحن جلوس إذ حضر جماعة من الباشوات ، فلما جلسوا نادى على واحد منهم قائلًا : يا فلان دون ذكر لقبه : قم وأغلق النافذة التى وراء ظهرك !!

يقول الشيخ صالح : لقد كان منا نحن العلماء من هو أقرب إلى هذه النافذة من هذا الباشا ، ولكن الشيخ أراد أن يستخدم الباشا فى هذه المهمة ليؤكد للعلماء أنهم أعلى من هذا الباشا شأناً ومكانة !!

* * *

كان الشيخ المراغى يسكن فى شارع (رقعة القمح) (١) فى بداية عهده بالدراسة ، وحين تولى أمور المشيخة تسلل ذات يوم إلى هذا الشارع خفية حتى اهتدى إلى البيت الذى كان يسكن فيه قبل خمسين سنة .

ثم توقف أمام حجرة دق على بابها دقة خفيفة ، لقد كان الشيخ من سكان هذه الحجرة عند قدومه إلى القاهرة ، واشتاقت نفسه لرؤيتها بعد هذه المدة الطويلة ، كان فى الحجرة طالب يسكن وحده ، وحين استأذن الشيخ فى الدخول سمح له الطالب فى حياء ومودة ، وبعد برهة سأل الشيخ هذا الطالب أن يصنع له شاياً أو قهوة ، فاعتذر الطالب لضيق ذات اليد وعجزه عن تحقيق هذه الرغبة .

لقد أنقذ الشيخ الموقف بسرعة ، وتصرف بما يليق بشيخ الأزهر فى هذه الحالة ! ، وفى أثناء شرب الشاى أخذ الشيخ يسأل الطالب عن بلده ، ودراسته ، ومشكلاته ، ثم عاد يسأله عن الأزهر وشيخه . لقد تكلم الطالب عن كل شىء بصراحة إلا أنه توقف عن الكلام عن شيخ الأزهر ، لأنه لا يعرفه ولا يسمح أحد بلقائه !

---

(١) اختفى هذا الشارع الآن .

فقال له الشيخ : ألم تحاول ذلك ؟ فقال الطالب : وما فائدة المحاولة إذا كان الشيخ لا يعرفنى ؟ فقال الشيخ : ولكن شيخ الأزهر يعرفك ، إننى أنا شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغى !!

يا بنى : اسمح لى أن أتردد عليك من وقت لآخر ، ففى هذه الحجرة كان مقامى منذ قدمت إلى الأزهر ، وفى هذه الحجرة ضاع من عمرى عشر سنوات أو أكثر !!

(.. وحين قامت الحرب العالمية الثانية كان مركز انجلترا فى بدايتها ضعيفًا حرجاً ، إذ توالت انتصارات هتلر على نحو يؤذن بانهزام الحلفاء ، واضطرت انجلترا أن تذيع فى الناس أنها تحارب من أجل الإنسانية أمام دكتاتورية النازية ، وطلب المستر « مايلز لامبسون »[1] من الأستاذ محمد مصطفى المراغى أن يذيع على العالم الإسلامى بيانًا يعلن فيه أن انجلترا تحارب فى سبيل الديمقراطية لترعى حقوق العدالة والأخوة والمساواة ، وتعاظم على الشيخ الأكبر أن يجرؤ السفير على طلبه ، فلم يشأ أن يغفل الطلب كأن لم يكن ، ولكنه انتهز فرصة الاحتفال بموسم دينى ، فالقى أمام الملك خطبة رنانة توضح ما قاسته مصر والعالم الإسلامى من أهوال هذه الحرب المدمرة ، حيث سقطت القنابل على الإسكندرية ، وبعض المدن المصرية فأحدثت من الضرر النفسى ما فاق الضرر المادى ، ثم هتف صريحاً بأن مصر تكابد حرباً « لا ناقة لها فيها ولا جمل » ، وأن المتحاربين فى المعسكرين المتنابذين لا يمتان إليها بسبب !

وانتشرت خطبة الإمام على الأثير فى شتى أنحاء العالم ، ففزع السفير البريطانى « مايلز لامبسون » فزعاً شديدًا ، وهاتف رئيس الوزراء « حسين سرى » فى منتصف الليل يطلب منه إقالة المراغى ، وفزع رئيس الوزراء تبعاً

---

(١) السفير البريطانى فى ذلك الوقت .

لما شاهد ، واتصل تليفونياً قبل الفجر ليحتج على الشيخ المراغى ، وينذره بأنه لابد أن يحيطه علماً بكل ما يقول قبل أن يخطب به . وبعد أن فرغ « حسين سرى » رئيس الوزراء من كلامه قال له الشيخ : أتريد أن أعرض عليك كلامى ؟ من أنت !؟ إننى أستطيع ان أقيلك بخطبة واحدة من فوق منبر الأزهر أو منبر الحسين !! [1]

* * *

كان المأمون قد وكل « الفراء » ليعلم ولديه النحو ، وفى ذات يوم أراد الفراء أن يقضى بعض حوائجه فأسرع ولدا المأمون إلى حذاء الفراء كل يريد أن يحمل هذا الحذاء إليه .. فتنازعا واختلفا ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة ، وحين علم المأمون بذلك استدعى الفراء إلى قصره ثم سأله :

– قل لى من أعز الناس يا فراء ؟

فقال الفراء لا أعرف أحدًا أعز فى هذه الدنيا من أمير المؤمنين .

– فقال المأمون : لا .. إن أعز الناس فى هذه الدنيا من إذا قام من مجلسه تنازع على تقديم نعليه إليه أبناء خليفة المسلمين [2] .

يقول مقاتل بن سليمان : دخلت على « حماد بن سلمة » فإذا ليس فى البيت إلا حصير وهو جالس وفى يده مصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه – أى كتبه – ومطهرة يتوضأ منها .

فبينما أنا جالس إذ دق الباب فقال : يا حبيبة أخرجى فانظرى من هذا ؟ فقالت رسول محمد بن سليمان (أى الحاكم) .

---

(١) النهضة الإسلامية المعاصرة - دكتور محمد رجب البيومى ج٢ ، ص ٩ - ١٠ طبع بمجمع البحوث الإسلامية .

(٢) من أخلاق العلماء ص ١٤١ .

فأذن له فدخل . فقال : أما بعد : فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته . وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها . فقال : يا حبيبة هلم الدواة ، ثم قال لى : اقلب الكتاب واكتب : أما بعد .

فأنت صبحك الله بما صبح أولياءه وأهل طاعته ، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا فإن وقعت لك مسألة فأتنا وسل ما بدا لك ، وإن أتيتنى فلا تأتنى بخيلك وَرَجِلِكَ فلا أنصحك ولا أنصح إلا نفسى والسلام !!

قال : أى مقاتل : فبينما أنا جالس إذ دق الباب . فقال : يا حبيبة اخرجى فانظرى من هذا ؟

قالت : محمد بن سليمان (أى الحاكم) .

قال : قولى له : يدخل وحده ، فدخل وجلس بين يديه .

ثم ابتدأ فقال : ما لى إذا نظرت إليك امتلأت رعباً ؟!

قال حماد : حدثنى ثابت البنانى قال : سمعت أنساً يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شىء ، وإذا أراد أن يكنز الكنوز هاب من كل شىء** » .

* * *

فانظر – رحمنى الله وإياك – إلى هذا الميزان الدقيق الذى أقامه المصطفى ﷺ إذا أراد العالم بعلمه وجه الله .. هابه كل شىء .. فإذا أراد به دنيا فانية ، أو عرضاً تافهاً من أعراضها الزائلة كان مثالًا للخوف الذى ترتعد به مفاصله . وكان ترجماناً للزيف الذى ينطق به لسانه ، وكان فتنة فى الدين تنتهى بالناس إلى ضلالة مضلة ، وفتنة فى الدنيا تهوى بهم إلى درك المهانة والذلة !!

وقد شاء الله سبحانه أن أسافر إلى أقطار عديدة .. حول العالم وأن أمثل مصر والأزهر فى أكثر من سبعين مؤتمرًا دوليًا .. وقد أتاحت لى هذه

المؤتمرات وهذه الأسفار أن أرى العالم الإسلامى على حقيقته ، وأن أرى الأزهر فى كل مكان ذهبت إليه . إن الذى حدث فى « رانجون » عاصمة « بورما » لا يخطر ببال أحد ، ولا يمكن تصوره وتصديقه لولا أنه وقع وحدث .

* * *

فقد ذهب صحفى مصرى إلى المسجد لصلاة الجمعة فى هذه المدينة ، وبعد الانتهاء من الصلاة بحث عن حذائه فلم يجده .. لقد خطر بباله على الفور ما يحدث فى مثل هذه المناسبة .. ماذا يفعل وهو غريب ولا يعرف طريق الوصول إلى محل لشراء حذاء جديد ؟

وهنا كانت المفاجأة التى لا تخطر على بال أحد ، لقد عرف المسلمون الذين كانوا يصلون معه فى المسجد أنه من مصر بلد الأزهر .. وبما أنه من مصر ومن القاهرة بالذات فلابد أن يكون حذاؤه هذا قد مس تراب الأزهر !

هذا الحب للأزهر جعل الناس يتخاطفون هذا الحذاء ويتبركون به فى نوبة عاطفية جعلت الصحفى المصرى يبكى من شدة التأثر !![1] .

* * *

---

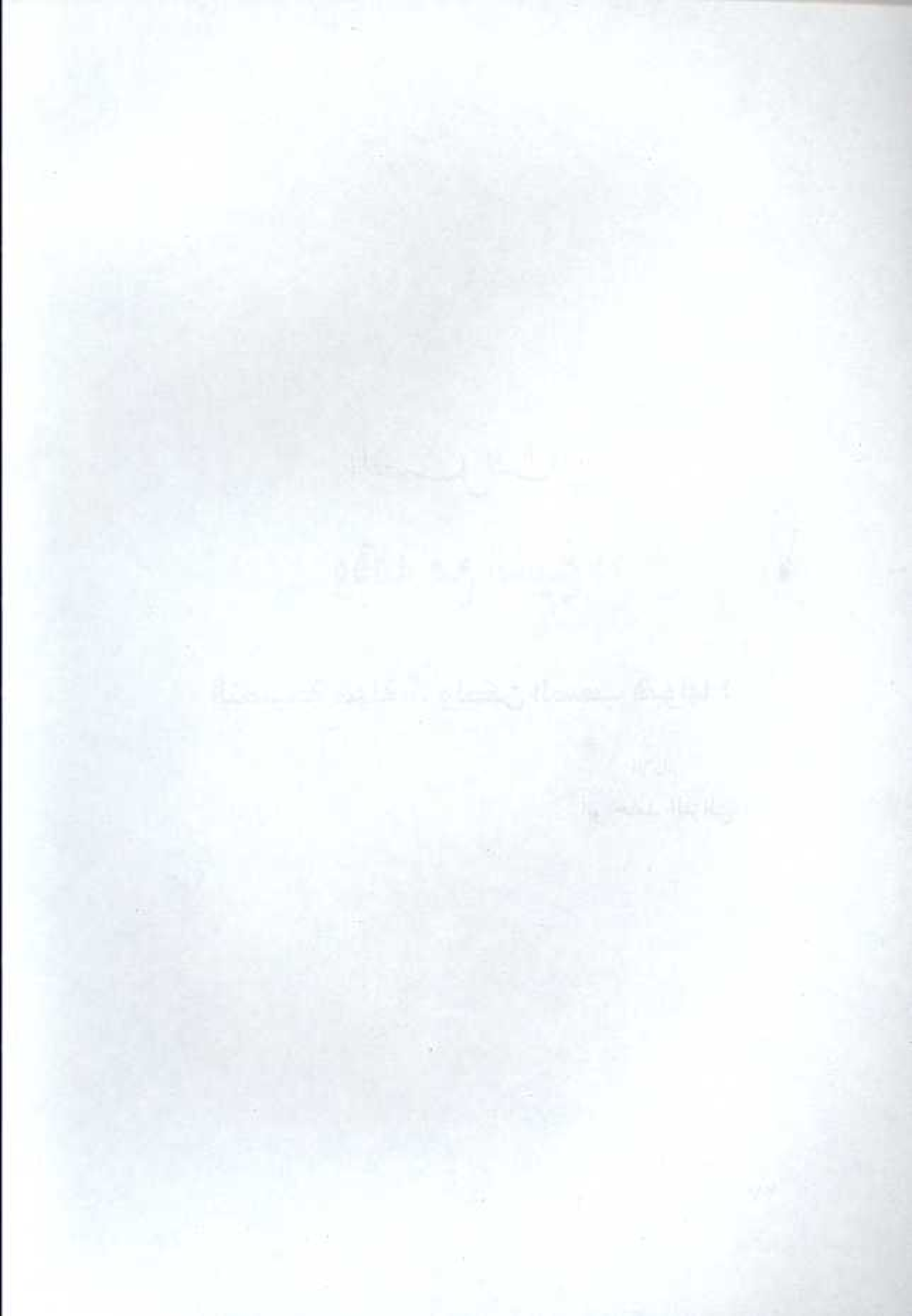
(١) من مراجع هذا الفصل :
- عجائب الآثار للجبرتى .
- من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان .
- كرامات الأولياء للنابلسى .
- مصر فى القرن الثامن عشر للشيخ محمود الشرقاوى .
- محمد عبده للأستاذ العقاد .
- النهضة الإسلامية المعاصرة د. محمد رجب البيومى .

الفصل الثانى

وقفة مع الشيخ !

النصيحة سهلة .. ولكن الصعب قبولها !

الامام
أبو حامد الغزالى



يا فضيلة الإمام ..

لقد نشأت فكرة هذا الكتاب فى « الاوتوبيس » المتجه إلى الأزهر من « العتبة » !! وقبل اعتلائك كرسى المشيخة بسنوات كثيرة .

أما كيف نشأت هذه الفكرة ؟ فإليكم هذه القصة :

فى « الأوتوبيس » كنت أجلس خلف مقعد يجلس عليه طالبان من طلبة المعهد الأزهرى . فسمعت أحدهما يقول للآخر :

– هل علمت بما حدث معى ؟

– وماذا حدث ؟

– لقد نقلونى من الدين « الحنفى » إلى الدين « الحنبلى » !!

وصعقت ..! ومنذ ذلك اليوم قررت .. وعزمت على أن يخرج هذا الكتاب إلى « الأمة » فى أقرب وقت ..! واختمرت الفكرة فى عقلى ، فلم يكن بد مما ليس منه بد !

البعض كان مشفقاً ومتخوفاً لسببين : من سوء الظن ، أو سوء الفهم ، أو خشية الفرحة والشماتة من الغير ؟!

قلت لهذا البعض : هذا الخوف لم يعد له محل . فالذى يهمنى هو الأزهر أولًا وقبل كل شىء ؟

ولم الخوف بعد أن ساق بعضنا بعضاً إلى المحاكم ..!

وبعد أن تناثرنا أشلاء وشظايا على صفحات المجلات والجرائد !؟

لقد أصبحنا جميعاً « عرايا » فى عصر التكنولوجيا .

لم يعد هناك شىء مستور فى عصر الاتصالات المذهل .

والبابا .. والكنائس تنشر فضائحهم كل يوم عبر شبكات « الانترنت » وقنوات السى . ان . ان (C. N. N.) .

فعلى أبواب الفاتيكان الخارجية تنتشر أكشاك بيع الصحف ، وفى هذه الأكشاك بالذات تباع الجرائد والكتب والمطبوعات التى تهاجم البابا ، بعضها يتهمه بأنه يمارس السياسة الممنوع ممارستها على الباباوات ، وأنه ينفذ مخططات أمريكا فى العديد من دول العالم ، وأنه لعب دورًا بالتنسيق مع الـ سى . آى . ايه . يعنى المخابرات المركزية الأمريكية فى إسقاط النظام الشيوعى فى بولندا وغيرها من دول الكتلة الشرقية .

* * *

وهناك من يتهم حكومة الفاتيكان بالفساد المالى والتستر على عمليات غسيل الأموال التى تتم فى بنك الفاتيكان بالذات .

وهناك من يرى أن البابا قد خضع للابتزاز اليهودى بدليل أن الكنيسة قد مارست الدور الأكبر فى تراجع الأب « بيير » الفرنسى عن حملته لتأييد المفكر « روجيه جارودى » .

اقرأ إن شئت كتاب (أسرار الفاتيكان) الذى كتبه (ليوبولد ليدل) [١] أو كتاب (القتل باسم الله) [٢] الذى ألفه (ديفيد يالوب) ، أو اقرأ قصة الراهبة التى مزقت صورة البابا علناً فى إحدى كنائس نيويورك ؟!!

---

(١) كاتب نمساوى .

(٢) النسخة الإنجليزية .

لقد أجرت مجلة (تايم) حوارًا مع هذه الراهبة حول الأسباب التى دفعتها إلى تمزيق الصورة ..

• سألتها المجلة : لماذا فعلت ذلك ؟

أجابت : لم أكن أقصد صورة الرجل شخصيًا .. ولكن مقصدى كان هو الرموز التى تعمل بها الكنيسة الكاثوليكية .. فانا أعتبرهم مسئولين عن دمار أجناس كثيرة ، وأساؤا إلىّ شخصيًا منذ كنت طفلة !!

• ما وجه الارتباط بين الكنيسة وسوء تربية الطفل ؟

• فى بلدى « أيرلندا » تجسيد لهذا العمل .. ففى المدارس الإنجليكية يقوم القساوسة بضرب الأطفال وتعذيبهم وإساءة استعمالهم جنسيًا .. لقد تحكمت فينا الكنيسة وفرضت نفوذها على كل من سمح لهم بذلك !!

• ولكن ما علاقة ذلك بإساءة تربية الطفل ؟

• إننى أتحدث عن تجربتى الشخصية كامرأة أيرلندية تربت فى ظروف قاهرة لأقصى حد ممكن .

• ما نوع هذا الإساءة التى عشتها تحديدًا ؟

• جنسيًا .. وبدنياً .. ونفسياً .. وروحياً .. وعاطفياً .. ولفظياً .. كنت أذهب إلى المدرسة يومياً ووجهى وجسمى به عاهات .. ولم يكن أحد يملك التعقيب على دموية هذه الأفعال الشائنة .. ومن الطبيعى أن أحترق من هذه التصرفات الشائنة .

• ماذا فعلت إذن ؟

لقد فعلت كل الأشياء من قراءة كتب ، والذهاب لأماكن اللهو .. وتعاطى الكحوليات .. وأمى كانت مدمنة هيروين .. وما حدث لى سيحدث لها كرد فعل لسوء المعاملة فى الكنيسة .

• هل تقصدين بذلك أنه يوجد سوء معاملة للتربية فى عائلتكم ؟

* أنا أقول بذلك حتى لو أنكروها واعتبروها أمرًا مفروضاً عليهم بسبب التسلط الكنسى منذ طفولتهم الأولى ، وشعور الإنسان بالهوان والمذلة منذ الصغر .

• ذلك تعريف غامض وغير محدد .. فهل أنت منصفة فيما تقولينه بخصوص معاملة الطفل ؟

* نعم لقد كنت من الأطفال الذين وقعت عليهم الإساءة .. وهذا هو السبب الذى دفعنى لأن أفعل ما فعلت لتحطيم هذه القواعد المتحجرة التى بمقتضاها يعيش المجتمع عندنا تحت نفوذ الكنيسة الكاثوليكية ، وورثة الامبراطورية الرومانية .

• ألم تكن هناك وسيلة أخرى أفضل من تمزيق صورة البابا لشرح رأيك ؟

* أنا فعلت ذلك كتعبير عن رفض ما يعلّمونه للناس .. وفى رأيى لابد من كشف نفوذهم عالمياً .. لقد فعلت ما فعلت من أجل بلدى . ولفضح الأشياء المفجعة التى ترتكبها الكنيسة عندنا ، وعند كل الدول التى تعيش ظروفنا نفسها .. فعدونا وعدوها واحد .. وهو (الفاتيكان) الذى يمثل مجلس حرب الامبراطورية الرومانية المعاصرة ويتخذ من الكنيسة ستارًا لبسط هيمنته على العالم !!

• يبدو أنك تتهمين الكنيسة بأنها رأس كل شر فى العالم ؟

* نعم أنا أقرر ذلك ولدى الأدلة عليه .. بل أنا شخصياً دليل واقعى على هذا الشر .. وبرغم أننى مسيحية فإننى أعتبر الفاتيكان ضد المسيح .. وما فعلوه بأثيوبيا والصومال والشعوب الأخرى دليل على تآمر الفاتيكان على العالم كله .. إننى أوْضَحُ دليل منذ طفولتى .. لقد كنت أتجرع الخوف

بين جدران الفاتيكان المليئة بالفزع .. علمونا الكذب .. وعليهم أن يواجهوا الكذب بالحقيقة إن استطاعوا !!

• ألم تخجلى عندما قابلك أنصار البابا وزملاؤك فى الكنيسة بعد تمزيقك للصورة ؟

• معظمهم كان يهنئنى على شجاعتى ، ومسرورًا مما فعلت !!

يقول القس (ليم لاهاى) مؤسس ما يسمى بالأغلبية الأخلاقية فى الولايات المتحدة .. يقول عن البابا والفاتيكان :

إن البابا هو عدو المسيح .. ورجل مخادع .. وحليف للشيطان .. إن الكاثوليكية انحدرت من صلب الشيطان (لوسيفر) !! وأن الآباء الكاثوليك يقومون باغتصاب الفتيات وهن أمامهن على كرسى الاعتراف !! [1] .

* * *

حتى « الكنيسة الأرثوذكسية » لم تعد بمنأى من النقد ، والبابا شنودة يتعرض كل يوم للهجوم والضغط فى كل وقت .

فالسلطان « الكنسى » أصبح من الضرورى تحديد معالمه وسلطاته حتى لا يتحول إلى ديكتاتورية ، أو لتبرير أعمال تعسفية تصدر عن نفوس مريضة !

وقد هبت رياح الغضب من داخل الكنيسة ، وسقطت الأقنعة بأيدى « الكهنة » ولم يعد للبابا هذه الهيبة التى كانت له منذ خمس وعشرين سنة [2] !

---

(١) انظر فى هذا الموضوع كتاب : (أبو جهل يظهر فى بلاد الغرب) للمؤلف .

(٢) انظر مجلة المصور - العدد رقم ٤٦٤٠ ، والعدد ٤٦٤١ ، ومجلة روز اليوسف العدد رقم ٣٤٥٠ ، وما ينشر كثيرًا فى جريدة الأخبار اليومية .

وكما يقول علماء « اللاهوت » : إن الرغبة فى البقاء فى حضن الكنيسة [1] والإبقاء على هيبتها تدفعنا دائماً للإكثار من نقدها .. فتصبح قراءتنا للكتب المقدسة وتراث الآباء الأولين قراءة غير عادية بأسلوب لا يأخذ النصوص على علاتها .. بل على الإطار التاريخى الذى كتبت فيه ، وما يحتويه هذا الإطار من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، ثم نحاول من خلالها أن نكشف الطريقة المثلى لتطبيق هذه النصوص بطريقة واقعية تتواءم مع المكان والزمان اللذين يراد تطبيقها فيهما لتكون تجسيدًا للعدالة لا تقنيناً للتعسف ، وتجسيماً للحق ، لا استمرارًا للظلم الملتحف بثياب الشرعية الدينية . إذ إن الدين لم يكن يوماً إلا لتحقيق إنسانية الإنسان والحفاظ على كرامته .

* * *

لقد خرجت الكنيسة المصرية من القوقعة .. وقوانين (الشلح) أو (الطرد) من سلك الكهنوت أضحت بالية .. وعديمة الفائدة .

إننى لا أزال أذكر حتى هذا اليوم موقف (الأنبا يوساب الثانى) البطريرك الأسبق من القمص (سرجيوس) ..

لقد كانت لهذا القمص آراء جريئة ومتحررة .. وكانت مجلة (المنارة) التى تصدر عن الكنيسة فى حى القللى شرارة تشعل النار فى المياه الراكدة [2]

إن الأنبا يوساب لم يطق هذا الصوت الصارخ فى البرية فأصدار قراره (بشلح) القمص سرجيوس وطرده إلى خارج الكنيسة !!

---

(١) السلطان الكنسى « أبوة لا إرهاب » القس إبراهيم عبد السيد ص ٤ وما بعدها – مطبعة المحبة .

(٢) كانت هذه المجلة تصدر فى نهاية الأربعينات وأوائل الخمسينات .

فإذا كان هذا شأن الكنائس البابوية فى العالم ، وإذا كان هذا شأن الكنيسة القبطية فوق أرض الوطن .. فما بالنا .. نحن وليس فى ديننا لأحد من البشر قداسة .. وما بالنا نحن وديننا هو دين المحجة الواضحة .

إن الصمت فى مثل هذه الحال جريمة .. وقد أصبح ما يقوله الناس - بالأمس - همساً .. أصبح صراخاً وزئيرًا فى عصر الاتصالات والتكنولوجيا !

فليتسع صدرك يا فضيلة الامام لما سوف أقوله .. فالله وحده هو العليم بما فى النفس ، وماذا أريد من الدنيا ، وقد بلغت من العمر ما بلغت ؟!

فالذى يهمنى هو « الرمز » لا الشخص ، والأزهر وليس الشيخ !

إن شيخ الأزهر ليس لمصر وحدها .. إنه فى نظر المسلمين شيخهم جميعاً وإمامهم وقدوتهم جميعاً ، ورمزهم وفخارهم فى مختلف أقطارهم جميعا !

إنها إمامة عظمى تمثل فى تاريخنا الحديث مقام (الإمامة) فى تاريخنا القديم ، ومن ثم .. لابد من توفر شروط (الإمامة) فيمن يختار لهذه المهمة وهى شروط أُهدرت وضُيعت فى العقود الأخيرة !

* * *

وأحب أن أذكر .. كما سبق أن قلت : إن الذى يهمنى أساساً هو « الرمز » لا الشخص .. والأزهر .. وليس الشيخ !

غير أننى أتوقف معك عند قضيتين أثارتا الجدل ، وأشعلتا فى النفوس ثورة الألم والغضب :

أولى هاتين القضيتين زيارتك إلى أندية الروتارى فمن البديهيات أن ننأى بأنفسنا عن مواطن الشبهات .. والزعم بأن العبرة بما يقال من (كلام) لا بالمكان غفلة وإفراط فى حسن النية .

* * *

أذكر : أن صديقين [1] ذهبا إلى إدارة الأزهر لتهنئتك بالمشيخة ومن العجيب والغريب معاً أنهما قدما إليك كتاباً يكشف عن مؤامرات الروتارى والماسونية ، وفى يقينى أنك لم تقرأ هذا الكتاب ووصفت من اعترضوا على هذه الزيارة بأنهم جهلة وسفهاء !

لقد أوقعك (الروتاريون) فى الفخ .. وحصلوا منك على ما لم يحصلوا عليه من قبل ! بل جعلوا من زيارتك (إعلان براءة) و (فتوى شرعية) تبيح لهم التصرف بلا حذر والتغلغل فى أعماق الشعب المصرى بلا خوف ! وهذا هو الهدف الحقيقى من دعوتهم لك .. وهذا هو (الفخ) الذى وقعتم فيه من غير قصد .

وسأضرب لك مثلاً على ما يؤدى إليه حسن النية من الضرر وفى قصة من تاريخنا المعاصر :

عندما تألق نجم الرئيس جمال عبد الناصر .. أرسل إليه المحفل الماسونى فى مصر - قبل إلغائه طبعاً - رسالة تأييد ومبايعة ، ويقول نص هذه الرسالة :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر [2]   القاهرة

---

(١) إسماعيل حمد ، وعبد المبدى أحمد .

(٢) حقيقة الماسونية - دكتور محمد على الزغبى - مكتبة معتوق - لبنان ١٣٩٤ - ١٩٧٤م .

لقد حققت الثورة لنا العزة والكرامة ، وبعثت مبادئها السليمة القوية الاستقرار فى جميع الحياة وجمعت حولها قلوب جميع من يعيشون معنا على أرض هذا الوطن الكريم ، على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم .. فحق لنا أن نفخر بالثورة وزعيمها وقادتها الاحرار ، وأن ندعو الله تعالى أن يحقق لمصر والعروبة كل ما يهدف إليه رجالها من إصلاح فى الداخل ، ومجد وانتصار فى الخارج .

والماسونية المصرية فى عهدها الجديد ، إذ تشكر للسيد الرئيس ما شملها به من عطف ، تؤكد مناصرتها للثورة ومساهمتها الفعالة معها ، فيما يعود على البلد وأبنائه بالخير !

طـه مخلوف
الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى
لمصر والأقطار العربية

١٠ / ١ / ١٩٥٦م

* * *

وقد رد الرئيس عبد الناصر بهذا النص على رئيس المحفل :

تحية طيبة وبعد : فأشكر لك أجزل الشكر تهنئتك القلبية وثقتك الغالية بالدستور الجديد الذى استلهم من روحك وكلمتك .

وبفضل إيمانك يعلو وتصبح مواده المرجع والغاية .

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير بلادنا العزيزة ..

والله أكبر والعزة لمصر .

جمال عبد الناصر

وفجأة ظهرت صورة هذا الخطاب مع صورة الرئيس فى جميع المحافل الماسونية فى جميع أنحاء العالم ، وألصقوا بالرئيس عبد الناصر من حيث لا يدرى تهمة (التمسون) ! وقبل أن يجف مداد هذه الرسائل أمر الرئيس بإغلاق كل هذه المحافل بعد أن ثبت تآمرها فى الخارج والداخل ..!

* * *

والماسونية لم تمت يا فضيلة الامام كما قلت فى مجلة المصور .. الماسونية تحكم العالم .

وقد اكتشفت حكومة اليمن أخيرًا تنظيماً ماسونياً يستهدف قلب نظام الحكم ، ويروج للانحلال والإباحية بين مختلف طبقات الشعب[(١)] .

وفى بريطانيا اكتشفت الحكومة البريطانية مؤامرة بين كبار رجال الشرطة .. مؤامرة تدبرها الماسونية لزعزعة الاستقرار والأمن فى المملكة المتحدة ، فأمرت الحكومة باستصدار قانون يحرم انتساب رجال الشرطة إلى هذه الجمعية السرية .. وأنذرت من يخالف ذلك بالفصل[(٢)] من جهاز الشرطة .

وقد عادت الماسونية إلى عالمنا الإسلامى عن طريق أندية الروتارى والليونز حين أنشئ أول ناد للروتارى فى مصر وضم ٣٥ سيدة من زوجات رجال الأعمال وغيرهن .

ومنذ ذلك التاريخ استقر فى ذهن المواطن العربى أسماء مثل « بلوتو والريفورم والروتارى » .

---

(١) حدث هذا فى شهر نوفمبر عام ١٩٩٦م .
(٢) الأهرام ٧ / ١ / ١٩٩٧ م .

والليونز وسان جورج وأصدقاء المرضى وتنمية المرأة وغيرها من مسميات لجمعيات وأندية اتخذت من الحرية والخدمة الاجتماعية والعمل الخيرى التطوعى أهدافاً معلنة تتستر خلفها لتحقيق مراميها الصهيونية التى أنشئت من أجلها .

وجميع هذه الأندية لا تريد من المسلم أن يخرج من دينه على الفور .. بل البداية عندها ألا تكون هناك فروق بين جميع الديانات وهى تلقن أفرادها قائمة بالأديان المعترف بها لديها على قدم المساواة ، وهى حسب ما ورد فى نشراتهم التى اطلعنا عليها : البوذية ، المسيحية ، الكونفشيوسية ، الهندوكية ، اليهودية ، المحمدية (ويقصدون بها الدين الإسلامى) .. وفى آخر القائمة لديهم يأتى التاويزيم (الطاوية) وهى عقيدة صينية وجدت فى القرن السادس قبل الميلاد ، وتؤمن بأن تحقيق السعادة يتم بالاستجابة لمطالب الغرائز البشرية وتسهيل العلاقات الاجتماعية والسياسية بين جميع البشر .. ولأن هذه المبادئ تتوافق مع أغراض تلك الأندية فقط ، تم ذكرها وسط ما أسموه بـ « قائمة الأديان المعترف بها » .

وكما يقول أحد من خدعوا بهذه المنظمة :

خلال خمس سنوات قضيتها عضوًا فى هذه الأندية لم أشاهد عملًا نافعًا قدمناه للناس .. كل أسبوع كنت أشارك فى حفلات الغداء أو العشاء التى تعقد ويستضيف القائمون على النادى شخصيات هامة تتحدث فى « اللاشىء » لا أستطيع أن أجزم بأننى خرجت بمعلومات جديدة أو رؤية مختلفة من خلال هذه اللقاءات .

يوماً بعد يوم أصبحت أدرك أن الهدف من هذه الحفلات هو استدراج تلك الشخصيات المشهورة ، وبعدها تكتب وسائل الإعلام خبر اللقاء مصحوباً باسم النادى وكيف تمت مناقشة أخطر القضايا خلال هذا اللقاء .. وهكذا تتم عملية تشكيل الوجدان الثقافى والإدراكى للأمة ويصبح مترسخاً

فى الأذهان كم هى جميلة هذه الأندية ، أهدافها المعلنة غير الخفية ، فى الظاهر الابتسامات تعلو الوجوه ، والأمنيات بعالم أفضل على كل لسان .. ولكن الواقع يؤكد أن الأفضل دائماً هو الخاص بهم وليس بمجتمعاتهم .

إن أندية الليونز .. وأمثالها .. تتحرك على محورين أساسيين :

الأول : من خلال التعرف على مواطن الخلل فى الأجهزة الحكومية والتسلل إليها بحجة علاج هذا الخلل .. ويتم ذلك عن طريق أصحاب المراكز الكبيرة والذين يلعبون دور الوسيط فى هذه الصفقات ؟!!

أما المحور **الثانى** : فيتم من خلاله التعرف على مواطن الخلل داخل المجتمع الأسرى والظهور بمظهر أهل البر والإحسان الذين يمنحون دون مقابل ويذرفون الدمع أسفاً على الفقراء والمحتاجين !!

* * *

إن (جهنم) كما يقال يا فضيلة الامام مليئة بأصحاب (النوايا الطيبة) والجهل بالقانون لا يعفى - كما تعلم - من المسئولية .

هل تريد مزيدًا من الأدلة ؟

عندما توفى أحد البطاركة قال شيخ الأزهر - فى ذلك الوقت - : لقد مات حبيب الله وحبيب الشعب) !!!

لو قال هذه الكلمة « مطران » أو « قمص » أو حتى « شماس » لتقبل الناس ذلك بالترحيب والرضا ..

أما أن يقولها شيخ الأزهر فداهية من دواهى الدهر .. ومصيبة وقعت على رءوس المسلمين فى مصر وفى خارج مصر .. ذلك لأن (المجاملة) بمثل هذا الكلام تجاوزت حدود الدين والعقل .. وألقت بالإسلام والمسلمين فى

بحار من الريبة والشك !

ولم تمض سوى أيام قليلة حتى امتلأت مصر كلها بإشاعة تقول : إن شيخ الأزهر قد ارتد وتنصر !! ووصلت الإشاعة إلى الشيخ نفسه فبادر إلى كتابة مقال نشرته صحيفة الأهرام تحت عنوان : (إن الدين عند الله الإسلام) والله أكبر .. !!

❊ ❊ ❊

ولأن الشيء بالشيء يذكر .. هل فكرت يا فضيلة الامام وقبل سفرك إلى الولايات المتحدة ، وذهابك إلى الجامعة الإنجيلية التى منحتك الدكتوراه الفخرية .

هل عرفت شيئاً عن هذه الجامعة ؟

بل لماذا أُنشئت هذه الجامعة ؟

هذه الجامعة هى مركز الدراسات التنصيرية .. أى الجامعة التى تعد وتؤهل المنصرين الذين يقومون بتنصير المسلمين فى آسيا وفى أفريقيا !!

و « القس » الذى سافر معك ، وحصل على نفس الشهادة .. هذا القس هو رئيس الكنيسة الإنجيلية التى تقوم بتنصير المسلمين هنا فى مصر المحروسة !!

إن أسماء من ارتدوا على أيدى كهنة هذه الكنيسة معروف عند الجهات المختصة ! وهذه الأسماء عندى إن شئت الاطلاع عليها .. بل إن أحد كهنة هذه الكنيسة حاول تنصير طالب أزهرى - يعمل الآن إماماً وخطيباً - فى إحدى محافظات الدلتا !

ألم تفكر يا فضيلة الامام .. لماذا وجهت إليك هذه الدعوة ؟ ولماذا

منحت هذه الشهادة ؟

إن هذه الشهادة لا تمنح أصلاً إلا لمن قدموا خدمات جليلة للكنيسة ! - ومعاذ الله - أن تخطر ببالنا هذه الخاطرة ! .. ولكن حسن الظن يورط صاحبه أحياناً فى مزالق خطيرة !!

اطلب الملف الخاص بالكنيسة الإنجيلية أو كنيسة قصر الدوبارة من أمانة الدعوة .. هذا إذا كان الملف لا يزال موجودًا فى مكانه بالأمانة العامة ؟!!

وأما ثانياً يا فضيلة الامام : فعن موقفك من إسرائيل وزيارة إسرائيل والتطبيع الكامل مع إسرائيل .

صحيح .. إن هذا حدث قبل اعتلائك كرسى المشيخة وفى حوار مع مجلة المصور التى أنقل عنها ما قلته كلمة كلمة [1] :

* **المصور** : فضيلة المفتى ألم يحدث أن دعيت لزيارة القدس بدعوة من إسرائيل ؟!

** **المفتى** : لم يعرض علىّ هذا ..

* **المصور** : ولو عرض عليك هل ستلبى ذلك ؟

** **المفتى** : مرحباً بذلك .. لأننى أسير على مبدأ أننى لا أحاسب على ذهابى ولكن أحاسب على ما سأقول ، وأحاسب إذا أسأت إلى دينى وإلى وطنى .. لأن المصارحة والمواجهة والمكاشفة هى خير وصول إلى الحقوق ، والانكماش والابتعاد ليس من شأن العقلاء .

* **المصور** : قيل إن شيخ الأزهر رفض مقابلة « وايزمان » فكيف تقابل

---

(١) مجلة المصور - العدد الصادر يوم ٢٧ / ١ / ١٩٩٥ م .

أنت حاخامات اليهود ؟

** **المفتى** : إننى أقابل من هو أهم من « وايزمان » ومن هو فوق « وايزمان » ومن هو أقل من « وايزمان » ولا يهمنى المقابلة ما دامت على أرض صلبة فى مناقشة الدين ، وإذا أساء الظن بالدين الإسلامى فأرد عليه .

* **المصور** : إذن أنت لا ترى ما يمنع من تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل ؟

** **المفتى** : أنا لست رجل سياسة ولكننى رجل دين ومبدئى أن أقول مرحباً بالتطبيع مع أى إنسان ما دام هذا التطبيع ليس تطبيع العاجز ، وإنما هو تطبيع القوى والذى يستطيع أن يأخذ حقه ، وأن يدفع من يعتدى عليه ..

* **المصور** : ماذا يعنى التطبيع من وجهة نظركم .. خاصة أن مفهوم إسرائيل هو تطبيع فى العلاقات الاقتصادية فى الوقت الذى مازال السلام يلقى فيه عثرات كثيرة ؟

** **المفتى** : مرة أخرى أنا لست رجل سياسة ، وأنا أضع مبادئ وهى : مرحباً بالتطبيع مادام هذا التطبيع من مركز قوة بحيث لا يستطيع من أطبع معه أن يخدعنى أو أن يستغلنى .. بل إننى الذى أستطيع أن أجعل كلمتى هى العليا .

* **المصور** : لكن البابا شنودة يرفض التطبيع ؟

** **المفتى** : البابا له وجهة نظر وهو صديق عزيز .. ومرحباً بما يقوله . وإنما أنا أتكلم عن مبادئ عامة أومن بها .. ولذلك أومن بالطريقة التى سلكها الرئيس السادات - رحمه الله - عندما ذهب إلى عدوه فى عقر داره وذهب وهو قوى .. وقال له : إننى جئت إليك ولست ضعيفاً وإنما جئت وأنا قوى .

* **المصور** : تعلم أن رسالتك « الدكتوراه » كانت حول اليهود .. هل هناك صِدَامٌ ما بين الرؤية النظرية التى طرحتها فى الدكتوراه ، وبين الخبرة العملية من مقابلة الحاخامات ؟

** **المفتى** : هذه قصة أخرى .. وكانت كتابة الرسائل فى أواسط الستينات وكانت الحال غير الحال .. وعندما كتبت هذة الرسالة أتيت بجميع الآيات القرآنية التى تحدثت عن بنى إسرائيل ، وأشهد الله أننى لم أكن متجنياً .. وإنما كنت أسوق الحقائق من واقع القرآن الكريم ، فإذا كان القرآن الكريم مدحهم فى موطن ، فقد ذمهم فى مواطن كثيرة ، وبينت ان القرآن كان موضوعياً فى تناول هؤلاء القوم .. فهو بين لنا أن منهم من هو صالح ومن هو ليس كذلك ﴿ **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ .. فهذا مدح ولذلك مدح القرآن من يستحق المدح ، وذم من يستحق الذم .

* **المصور** : قلت إنك كتبت رسالتك منذ ٣٠ سنة وكانت الحال غير الحال .. ماذا لو قدر لك أن تعيد صياغة هذه الرسالة مرة أخرى ؟

** **المفتى** : من ناحية التفسير .. لا تختلف لأن التفسير القرآنى لا يتغير .. ولكن يجوز تغيير الجزء الأخير الذى يتعلق بفلسطين لأن الحال تغيرت من الستينيات إلى التسعينيات ، وسأكتب ما قام به الرئيس السادات .. وعموماً هى رسالة دينية وليست سياسية !!

* **المصور** : ألم يتطلب منك التطبيع ألا تزور القدس إلا مع المسلمين كما هو موقف البابا شنودة ؟

** **المفتى** : هذه اجتهادات .. وأنا أرى ان أدخل على عدوى فى داره وأبين له أنه مخطئ ، وأتخذ كل الوسائل التى توصلنى إلى حقى .. ولكن ماذا أدت إليه المقاطعة عملياً .. عندما أقاطع عدوى وهو يحتل أرضى ما هى

النتيجة ؟ وماذا فعل السلبيون من موقفهم ؟[1] .

هذا هو نص الحوار الذى دار بينك وبين مجلة المصور ..

والسؤال هو : تقول : إنك رجل دين .. ولست رجل سياسة .. فهل تغير الدين فى التسعينات عن الدين فى الستينيات ؟ أم أن السياسة هى التى تغيرت ؟

إن السياسة هى التى تغيرت يا فضيلة الإمام وللحاكم أو ولى الأمر اختيار ما يراه لصالح الوطن ، ولصالح المواطن ..

والسياسة لا تخضع لمبادئ ثابتة دائمة السياسة هى فن الممكن .. والسياسة تتغير من يوم لآخر كما تتغير نشرة الأرصاد التى تصيب حيناً وأحياناً تخطئ !

ومن أخطر ما قلته فى حوارك مع مجلة المصور : أنه يجوز أن تحذف القسم الخاص بفلسطين من رسالتك لأن أحوال الستينيات تختلف عن أحوال التسعينات .. وهذا الذى قلته يمثل أقصى درجات التناقض !!

فقبل قليل قلت : إنك رجل دين ولست رجل سياسة ..

وهذا الذى قلته من صميم السياسة ولا علاقة له بالدين بالمرة !!

وأسأل للمرة الثانية .. ما الذى تغير فى فلسطين .. هل عادت إلى أرض الإسلام كما كانت ؟

وهل أعيد (الأقصى) إلى المؤمنين من أمة محمد ؟ وهل توقفت المذابح ضد المصلين فى المساجد ؟ وهل يجوز التطبيع مع الظالم الغاصب ؟

---

(١) مجلة المصور ٢٧ / ١ / ١٩٩٥ م .

إن إسرائيل .. لم تكن فى يوم ما .. حقيقة يا فضيلة الامام .. ولم يكن لليهود عبر عصور التاريخ أية حقوق فى فلسطين .. وإذا كان للأوهام والأكاذيب أن تروج هذا الرواج أصبحت الحياة كلها عبثاً ..

اليهود لم يحكموا فلسطين سوى عقود قليلة .. والفرس والبابليون والرومان والمصريون أقاموا فى فلسطين أضعاف هذه العقود ولسنوات طويلة .

أما الكنعانيون - أى الفلسطينيون - أصحاب الأرض وسكانها الأصليون .. فكانوا ومنذ آلاف السنين يعيشون فوق هذه الأرض .. كما كانوا ومنذ آلاف السنين أصحاب هذا الحق ، وأهلها الأصليون دون أى شعب ..

ولأن (رجاء جارودى) كشف هذه الأوهام على الملأ وفضح هذه الأساطير حول العالم [1] .. فقد أقامت له إسرائيل مقصلة فى محاكم باريس ، وحشدت لهذه « المقصلة » أو « المحاكمة » كل مزورى التاريخ .. ووجد الرجل المسلم نفسه وحيدًا فى مواجهة كل هذه الأعاصير .. ولم يجد من يسانده سوى الاب الكاثوليكى « بيير » !!

وقد بين المسيح عليه السلام أن مملكة الله ليست كياناً سياسياً يلم شمل اليهود .. وإنما هى حقيقة روحية موطنها القلب :

(ولما سأله الفريسيون : متى يأتى ملكوت الله ؟

أجابهم وقال : « لا يأتى ملكوت الله بمراقبة .. ولا يقولون هو ذا هاهنا ، أو هو ذا هناك .. لأن ملكوت الله داخلكم) « لوقا : ١٧ - ٢٠) .

---

(١) انظر فى هذا الكتاب « جارودى » الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية - الناشر دار الغد القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .

وطبقًا للعهد الجديد فإن ورثة أرض الميعاد الروحية ليسوا بنى إسرائيل .. وإنما هم جميع المؤمنين بالمسيح .. لأنهم نسل إبراهيم الحقيقيون .. (فإن كنتم للمسيح فأنتم إذًا نسل إبراهيم .. وحسب الموعد ورثة) .

وشعب الله المختار - فى العهد الجديد - ليس جنساً بعينه هو ما يسمى بالجنس الإسرائيلى .. وإنما هو شعب عالمى من مختلف الأجناس يجمعه الإيمان بالمسيح .. (وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله) (يوحنا ١ : ١٢) .

والمسيح ذاته أدان اليهود ، وقرر أنهم فقدوا امتياز الاختيار حين قال لهم : (لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى .. أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا) (يوحنا ٨ : ٤٢) .

كما حكم المسيح على اليهود بالجحيم بسبب إنكارهم له .. وقرر أنهم لن يكونوا فى الجنة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب .. وأقول لكم : (إن كثيرين سياتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السماوات .. وأما بنو الملكوت « اليهود » فيطرحون إلى الظلمة الخارجية .. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان) (متى ٨/١١ - ١٢) .

وأنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حالياً هو تحقيق لنبوءة توراتية ، ومن ثم فإن كل الأفعال التى قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب [1] .

وقد قال ميشا ذلك بكل وضوح : (استمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب ، وقادة بيت إسرائيل ، يا من تكرهون الخير وتحبون الشر .. يا من

---

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية - رجاء جارودى ص ٤٠ - ٤١ دار الغد العربى - القاهرة .

تبنون صهيون وسط حمامات من الدم والقدس بجرائمكم .. إن صهيون سيحرث كالحقل، وستصبح القدس (أورشليم) كومة من الإطلال ، وسيُصبح جبل المعبد مكاناً لعبادة الأصنام) !!

* * *

إن السيوف - يا فضيلة الامام - لا تزرع المحبة .. ! والحروب لا تمنح حقاً للغزاة أو القتلة ..! وإسرائيل تستعد الآن للحرب ، وتخطط للاستيلاء على « المدينة المنورة » بعد الفراغ من مدينة القدس !! فاليهود - كما قلت فى كتابك عنهم - لا عهد لهم ولا ذمة إنهم ينظرون إلى البشر . كل البشر كعبيد . وموصوفون بعشر نقائص سجلتها عليهم فى بحثك الفريد[1] !!

أولاً : نقضهم للعهود والمواثيق .

ثانياً : سوء أدبهم مع الله ، وعداوتهم للملائكة ، وقتلهم أنبياء الله .

ثالثاً : جحودهم الحق ، وكراهتهم الخير للناس .

رابعاً : تحايلهم على استحلال محارم الله تعالى .

خامساً : نبذهم كتاب الله واتباعهم للسحر والأوهام الشيطانية .

سادساً : تحريفهم كلام الله عن مواضعه .

سابعاً : حرصهم على الحياة الدنيا .

ثامناً : تعلقهم بعبادة الأوثان ، وكراهيتهم للتوحيد .

تاسعاً : عبادة العجل من دون الله .

عاشرًا : تنطعهم فى الدين .

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة - دكتور محمد السيد طنطاوى ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - دار الزهراء - القاهرة .

فكيف غابت عنك يا فضيلة الامام كل هذه الحقائق .. هل أذكرك يا فضيلة الامام بما سبق أن قلته من قبل ؟ وبما سجلته فى كتابك بالنص ؟

إليك .. إن تكن نسيت ما سبق أن قلته وكتبته بالكلمة .. وبالحرف !

أولاً : علينا أن نعلم أن حرباً فاصلة ستقع بين المسلمين واليهود .. وأن النصر فيها سيكون للمسلمين ما داموا معتصمين بالدين[1] !

ثانياً : كما يجب علينا أن نوقن بأن الأيام دول وأن ما أصابنا بفلسطين من الممكن تداركه ، متى تحلينا بالإيمان الصادق وبالعزم وبالتصميم على استعادة أرضنا المقدسة ، وباتخاذ الوسائل الكفيلة بذلك .

ثالثاً : كما يجب على الأمة الإسلامية والعربية ، أن توحد قيادة المعركة وأن تسلمها لأيد أمينة مخلصة ، وأن تحوطها بالتأييد إذا أحسنت واستقامت ، وبالتوجيه والإصلاح والتقويم إذا أخطأت وضلت ، وأن تنأى بها عن الخلافات والمنازعات التى قد تحدث بين الزعماء والملوك والرؤساء .

رابعاً : كما يجب أن تبذل الأمة العربية والإسلامية قصارى جهدها فى التذكير بقضية فلسطين وأن تقوم وسائل الإعلام المختلفة فى كل دولة بالدعاية الواسعة لها ، وأن يدرس تاريخها فى المدارس والمعاهد والجامعات وأن توزع خريطتها وصور أماكنها المقدسة فى كل مكان ، وبذلك تبقى نكبة فلسطين حية فى القلوب والمشاعر !

خامساً : كما يجب أن تقف الأمة العربية والإسلامية من الدول التى ناصرت الصهيونية موقفاً قوياً حاسماً ، وأن تستعمل أسلحتها المتنوعة فى صرف هذه الدول عن مناصرتها الباطلة لليهود ، ومن أقوى الأسلحة سلاح

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة - دكتور محمد السيد طنطاوى ، ص ٦٨٦ وما بعدها - دار الزهراء - القاهرة .

البترول الذى يوجد فى بلادنا بكميات هائلة والذى لو أحسنا استغلاله واستعماله ، لكفت دول الكفر عن تأييدها للصهيونية الباغية ، ولن يأتى هذا السلاح وغيره بالثمار المرجوة منه إلا إذا وحد العرب كلمتهم ووقفوا صفاً واحدًا أمام مؤامرات الاستعمار واليهودية العالمية .

سادساً : كما يجب أن تعمل الدول العربية والإسلامية على تقوية (الفدائيين الفلسطينيين من كل النواحى ، وأن تختارهم من العناصر المأمونة والمؤمنة بربها وبدينها وبوطنها .. وأن تعطيهم من الإمكانيات ما يجعلهم يستطيعون أن يزلزلوا كيان الصهيونيين ، عن طريق (حرب العصابات) لأن هذه الحرب من شأنها أن تهدد أمن إسرائيل واستقرارها واقتصادها وجميع مرافقها ؟!! .

* * *

يا فضيلة الامام :

فقبل أن يأخذ هذا الكتاب طريقه إلى الطبع حدث أمران يستحقان وقفة أخرى مع الإمام والشيخ ..!

أول هذين الأمرين :

إعادتك النظر فى موقفك من إسرائيل . فقد صرحت أكثر من مرة ، وفى أكثر من مناسبة أنه من المستحيل أن نسمح لإسرائيل بتهويد مدينة القدس ! وأنه من الواجب إيقاف إسرائيل ومنعها من التوسع فى بناء المستعمرات على أرض المسلمين والعرب ! ، وأن الجهاد هو الطريق الوحيد للوقوف فى وجه العدو الصهيونى المتعصب ! ، وأن من يبيع أرضه إلى اليهود يعتبر خائناً يستحق الإعدام والموت [1] !! .

---

(١) الأهرام ١١ / ٦ / ١٩٩٧ م .

وهذا الكلام يعنى :

• أن (مفتى مصر) السابق .. و (شيخ الأزهر) اللاحق .. تراجع عن كل ما قاله بشأن التطبيع مع العدو ! وبشأن زيارة القدس ، وبشأن الثقة فى إسرائيل التى لم تعرف سوى الخديعة والغدر ! .

• كما يعنى هذا الكلام .. أن (المفتى السابق) و (شيخ الأزهر) اللاحق عاد إلى « فطرته النورانية » التى كان عليها حين كتب رسالته الجامعية عن « بنو إسرائيل فى القرآن والسنة » .

• كما يعنى هذا .. التراجع عن الخطأ ، والاستمساك بالحق والعودة « بك » مرة ثانية إلى الثقة وحسن الظن .

* * *

لقد خيبت - بموقفك هذا - ظنون من راهنوا عليك من أعداء الأمة .. فقد كانت إسرائيل - ومن قبلها الولايات المتحدة يراهنان عليك لتمرير كل مخططاتهم الجهنمية باسم الدين . كانوا « يرون » فيك « مسمار جحا » فى قلب الأزهر ! حتى أن صحيفة « الهرالد تريبون » الأمريكية نشرت قبل عام مقالاً تحت عنوان : (هل الشيخ طنطاوى) جاهز ؟! أى جاهز لتبرير كل ما تفعله إسرائيل ضد المسلمين والعرب !

وقد بهتوا جميعاً بمواقفك التى قلبت السحر على الساحر وخابت ظنونهم جميعاً بعد أن فوجئوا بموقفك القوى الواضح ! .

وهذا هو السر فى زيارة سفير أمريكا إلى مكتبك فى إدارة الأزهر .. لقد أراد السفير أن يتأكد بنفسه من صحة ما نشر ، ثم كرر زيارته بعد ذلك إلى (المفتى) فربما يجد عنده ما لم يجده عندك من خبر ! .

فلما تأكد بنفسه من صحة ما نشر .. فوجئ العالم كله بموافقة

(الكونجرس) الأمريكى بنقل سفارة أمريكا إلى القدس ! وإعلانها عاصمة موحدة لإسرائيل رغم أنف العرب والمسلمين وهيئة الأمم ومجلس الأمن ! .. وبدلًا من الثناء عليك - كما كان يحدث من قبل - ظهرت صحف إسرائيل لتعلن أنك لا تختلف فى شىء عن هتلر وموسولينى وجيويلز ! .

أما الأمر الثانى :

فعن موافقتك أو « فتواك » بجواز التبرع بالجثث ! وعن جواز نقل الأعضاء بين الحى والميت !

وبادئ ذى بدء دعنى أسألك كأخ .. هل يجوز لأحد أن يتصرف فيما لا يملك ؟ وبماذا نصف من يفعل ذلك فى القانون والشرع ؟ وأسألك للمرة الثانية من يملك جسدك ؟ أنت أم الله ؟!!

بالتأكيد المالك هو الله ! وأنا وأنت وكل البشر مكلفون بالحفاظ على أمانة الله ! فلا يحق لك كما لا يحق لى كما لا يحق لأحد أن نتصرف فى هذه « الأمانة » بغير إذن الله ! .

* * *

أذكر يا فضيلة الامام ومنذ عشرين عاماً .. وحين كنت ممثلًا لرابطة العالم الإسلامى فى استراليا ومنطقة جنوب الباسفيك ، وفى مدينة سيدنى حيث كان مقر عملى وإقامتى أن اتصل بى قس بروتستانتى اسمه « مارك » اتصل بى هذا « القس » لمعرفة رأى الإسلام فى قتل المرضى - الميئوس من شفائهم - بعد أن أثيرت هذه القضية على صفحات « جريدة سيدنى مورننج هيرالد » واشتد فيها الخلاف بين رجال الدين والاجتماع والطب .

لقد قلت للأب « مارك » :

أولاً : إن الإنسان لا يملك حياته حتى يتصرف فيها كما يشاء . إن

هذه الحياة « وديعة » استودعها الله عنده ، ومن الخيانة أن يتصرف أحد فى هذه الوديعة قبل الرجوع إلى المالك وصاحب الحق .

ثانياً : فبالرغم من إحساسنا بالألم الذى يشعر به المريض الميئوس من شفائه فإن الإسلام ينظر إلى هذه الحالة من جانبين مختلفين :

الجانب الأول : أن الابتلاء ظاهرة من ظواهر الحياة منذ نشأت، وهذا البلاء ليس وقفاً على آلام الجسد ، فقد يكون البلاء فى المال ، وقد يكون البلاء فى الأهل ، وقد يكون البلاء فى اضطهاد الإنسان وظلمه من الغير ، وقد يكون البلاء فى الحرمان وشظف العيش . والصبر على البلاء من علامة المؤمن الحق ، وأشد الناس بلاء الأنبياء كما يقول النبى ﷺ : وبقدر الصبر على البلاء يكون علو الدرجة ورفعة مقام الإنسان عند ربه فى الدنيا والآخرة .

أما عن الوجه الثانى لهذا القضية :

فإن الطب يتقدم .. ويحرز فى كل يوم جديدًا فى صناعة الدواء وعلاج الأمراض والعلل . فقد يحدث أن يقتل إنسان إنساناً عمدًا .. بينما لو تأخر القاتل دقائق لمات هذا الإنسان قضاء وقدرًا ! وقد يموت المريض – الميئوس من شفائه – منتحرًا .. بينما لو أجل انتحاره يوماً لاكتشف أن علاجه لم يعد مستحيلًا ، وأن « الطب » اكتشف لمرضه دواء ناجحا ! .

قال لى القس « مارك » : إنى أوافقك فى كل ما قلته تماماً وأن نظرة الإسلام إلى هذه المشكلة هى النظرة العادلة والمتوازنة والمعقولة !!

* * *

بعد ذلك أسأل يا فضيلة الإمام :

ماذا يقول أولادك – بعد عمر مديد بمشيئة الله – حين يرون أباهم

يعبث به فى ظلمات المشارح ! وتعمل فيه « المقصات والمباضع »[1] !

اسأل أحد أولادك « اسأله » ولسوف تسمع من أحب الناس وأقربهم إليك صراخاً وعويلاً يملأ جنبات البيت صراخًا وعويلاً لمجرد التصور والتخيل لما سوف يحدث !! ولو كان أحد أبنائك فى كلية الطب فلسوف يتركها فورًا لو حدث هذا « التبرع » !!

أقول « التبرع » تماشياً مع الضجيج الذى يملأ الساحة زورًا وإفكاً .. حول هذا « التبرع » !

إن الفطرة هى الميزان الحق الذى يراجع الإنسان فى ضوئه الصواب والخطأ ! وديننا كما – تقول أنت دائماً – دين الفطرة وصبغة الله التى ليس أحسن منها صبغة ؟!

إنك رجل حسن النية .. بل حسن الظن فيما يكتبونه عنك فى المجلات والصحف !

خدعوك فقالوا : شيخ عصرى و « مودرن » ! ألبسوا الباطل ثوب الحق حتى خفيت عليك أبعاد هذا الباطل الذى يتهدد حياة الأحياء وكرامة الموتى فى أرض مصر ! .

* * *

إنى أرجوك .. بل أطالبك كأخ أن تعبر « ليلاً » شارع « صلاح سالم » إلى المقابر الواقعة وراء هذا الشارع ! لقد رأيت بنفسى كيف تقطع جثث الموتى وتمزق .. ففرت هارباً إلى جبل المقطم !

---

(١) فى الندوة التى أذيعت مساء الثلاثاء على القناة الأولى للتلفزيون يوم ١٧ / ٦ / ١٩٩٧م تأكد الجميع أن نقل الأعضاء جريمة ، وأن هذه الجريمة تتم لحساب الأغنياء على حساب الفقراء.

لم تصدق عيناى ما رأيته !! ولم تحتمل أعصابى رؤية هذه المجزرة التى تحدث قريباً من مبنى «دار الافتاء» ومبنى «جامعة الأزهر» ومبنى «إدارة الأزهر» !!!

* * *

إن فى هذه المنطقة سوقاً رائجة لتجارة الأعضاء والجثث سوقًا يديرها «أطباء» و«تُربيَّة» و«حانوتية» !! بل سوقًا دخلها أخيرًا «تجار المخدرات» الذين يبحثون عن العظام البالية لطحنها وإضافتها إلى «الهيروين» !!

كل هذا يحدث على مقربة من مكتبك، وفى الطريق إلى بيتك .. لم يكن هؤلاء القتلة والسفاحون فى حاجة منك إلى «فتوى» أو «تبرع» فسماسرة تجارة «الموتى» يعرفون جيدًا كل شىء وأين تؤكل الكتف؟ وكيف يمكن الحصول على الجثث!

* * *

ألم تقرأ فى الصحف يا مولانا أن هؤلاء السماسرة يسيرون وراء أية جنازة لمعرفة أين تدفن! إنهم يسيرون وراء هذه الجنازة سير الذئب ليعرف أين توارى هذه الضحية، أو بعبارة أدق هذه «الصفقة» !!

وقد جاءت «فتواك» لتفتح الباب واسعاً أمام سُرَّاق الأحياء والموتى من عصابات المقابر ومن «مافيا» المستشفيات التى استشرى خطرها فى القرى والبنادر ؟!

إن إيذاء الميت كإيذاء الحى .. وكسر عظام الموتى مثل كسر عظام الأحياء دون فرق .. هذه قاعدة إسلامية معروفة لكل من درس الحديث والفقه .

وحتى هذا اليوم لم نسمع أن « بابا » روما أو « بابا » القبط أعلن موافقته على مثل هذا الرأى ، أو الانسياق وراء حملات الدعاية والإعلان التى تدمر خلايا المخ والعقل .. إنهم يا فضيلة الشيخ الإمام يعرفون قيمة الإنسان كما عرفها الإسلام ! لقد دارت مفاوضات طويلة بين البابا « شنودة » والبابا « جون بول » بشأن استعادة « جمجمة » رأس القديس مرقص ! إنهم يحرصون جميعاً على الحفاظ على جثث الآباء مهما طال بهم العهد .. ويحتفظون بعظامهم وجماجمهم فى مقابر خاصة بعيدة عن التخريب والنبش ! حتى فى كنيسة « سانت كاترين » الموجودة فوق أرض « سيناء » يحتفظ آباء هذه الكنيسة بكل الجماجم وكل العظام فى مكان خاص يقيهم خطر النسيان والسطو !

* * *

وأعتقد يا فضيلة الإمام أنك لم تسمع بهذه القصة .. قصة المقبرة اليهودية التى تقع حول طريق دائرى أرادت الحكومة إنشاءه وتوسعته .. ولم يكن هذا التوسع ممكناً قبل اقتطاع جزء من مقبرة اليهود فى هذه المنطقة .

أتدرى ماذا حدث ؟

لقد قامت قيامة اليهود فى أنحاء العالم كله .. وخرجت المظاهرات فى لندن وباريس وواشنطن تندد بهذا العمل وترفضه ، وعرضت الجاليات اليهودية فى العالم تقديم عشرات الملايين من الدولارات لتحويل الطريق عن مساره الأصلى كما هددت إسرائيل برفع القضية إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم !

هل سمعت بعصابات سرقة الأطفال فى الصومال والهند والبوسنة والبرازيل ؟

إنها عصابات دولية تقوم بخطف هؤلاء الأطفال ثم تبيعهم بعد ذلك « كقطع غيار » بشرية فى أمريكا وأوربا ؟!!

إن هذه الحضارة الملعونة ستدفع الثمن قريباً ومن حيث لا يتصور أحد.. وفى هذه الدنيا قبل يوم الفزع الأكبر ، وبايدى أبنائها وقادتها وصانعيها لا بعنصر بشرى آخر ، وإن لم تمت هذه الحضارة « الملعونة » حتف نفسها فلسوف تنتحر غدًا وتذهب !

أمامى الآن ، وتحت يدى آراء أكبر أطباء العالم فى جريمة نقل الأعضاء.. تحتاج هذه الأراء إلى مجلد ضخم للتأكيد على أن مريض الغيبوبة لم يمت ، وأن ذبحه لجنى أعضائه جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد.. وسأختصر هذه الآراء :

• الدكتور كارى بايرن (CAREY BYRNE) : إن أخذ الأعضاء من مريض الغيبوبة سواء لنقلها لغيره أو لاستخدامها للأبحاث الطبية أدت إلى أسوأ العواقب الطبية والاجتماعية فى علاقة الطبيب بمريضه .

• الدكتور ريتشارد نيلجز (RICHARD NILGES) : إن مريض جذع المخ يتم شفط الإفرازات من حلقه ، ويتم تغيير وضعه على السرير لمنع إصابته بقرح الفراش والالتهابات الرئوية التى يمكن أن يصاب بها ، وهذا ما يتم عمله مع مرضى الأمراض الأخرى ، فكيف نسميه ميتاً .

ثم يقول نفس الطبيب : إن الحقيقة الأخرى التى تؤكد عدم موت مريض جذع المخ أن الأم الحامل والتى يتم تشخيصها كمريضة موت مخ ، تظل حاملًا حتى تضع حملها وتلد مولودًا حيًا .. فكيف نما المولود نمواً طبيعياً ؟ وكيف نطلق عليها ميتة ؟

• يقول الدكتور إيرل ابلبى (EARL APPLEBU) : إن وسائل الإعلام تلجأ إلى تكرار الأكذوبة المتعلقة بما يسمى موت المخ حتى يصدقها الناس مع التكرار ، فالأكذوبة المكررة يمكن أن تصدق مع الوقت والإلحاح . إن هذه أكذوبة .. وأكذوبة لم تمت ، ولكن الضحايا هم الذين ماتوا نتيجة مباشرة لأكذوبة « موت » المخ . إنهم يصورون موت المخ على أنه ثمرة

التكنولوجيا الحديثة التى مكنتهم من « معرفة » موت المخ ، ولكن التكنولوجيا الحديثة يجب أن يسخرها الاطباء للحياة لا للموت والقتل .

الآراء كثيرة .. وحاسمة .. ومن علماء العالم .. ومتوافرة أمام هؤلاء الذين يريدون فتح بوابة جهنم على شعب مصر .

فى ألمانيا أباحوا نقل الأعضاء من مرضى الغيبوبة العميقة فماذا حدث ؟

تكونت عصابات للتجارة فى نقل الأعضاء ، وتحولت مراكز نقل الأعضاء وهى مراكز طبية على مستوى عال جدًا إلى وكر لهذه التجارة ، وأصبح لها مندوبون فى معظم دول العالم ، بما فى ذلك مصر مهمتهم تجهيز المرضى الراغبين لنقل الأعضاء البشرية إليهم ، وتنشر الإعلانات فى الصحف لصيد راغبى الأعضاء البشرية ، وقد نشروا فى الصحف المصرية هذه الإعلانات .. فمن أين تأتى المراكز الألمانية بقطع الغيار البشرية ؟

المعروف أن جرحى وأطفال البوسنة قد نقلوا إلى ألمانيا ورحبت بهم المستشفيات الخاصة هناك ، وتم إدخالهم فى غيبوبة ، ثم تم نقل أعضاء هؤلاء إلى القادمين من دول العالم ، وقالت وكالات الأنباء أن آلاف الأطفال والجرحى البوسنيين الذين نقلوا إلى بلاد أخرى ، تحت مسمى العلاج أو التبنى قد استخدموا كقطع غيار بشرية !!

وفى جريدة « الأهرام » يوم ١٦ مايو عام ١٩٩٤م ، وتحت عنوان (المافيا تتاجر فى الأعضاء البشرية لضحايا حرب البوسنة) قالت « الأهرام » بالحرف الواحد :

انتقدت مجلة « لونوفيل اوبزيرفاتور » الفرنسية ممارسة تجارة الأعضاء البشرية ووصفتها بالازدهار فى سوق ينمو فيها الطلب ويقل فيه المعروض بطريقة مشروعة .

وأشارت المجلة إلى ما كشف عنه القضاء الإيطالى مؤخرًا من أن المافيا

تقوم بالتجارة فى الأعضاء البشرية المنتزعة من ضحايا الحرب فى البوسنة والتى يتم نقلها للمستشفيات الخاصة لتباع بأسعار باهظة .

وكشفت المجلة النقاب عن أن البنك الأوربى للأعضاء البشرية له عدة فروع تجارية فى دول عديدة تقوم بتسويق الأعضاء والأنسجة البشرية ، وأن شركة « لوبين » بمدينة ليون الفرنسية تقوم بتسويق العظام البشرية بعد جمعها ومعالجتها فى الولايات المتحدة !!

وأضافت المجلة أن فرنسا تعانى عجزًا كبيرًا فى الأعضاء البشرية ، وأن هناك قوائم انتظار كبيرة حيث توفى نحو ٣٠٠ شخص خلال العالم الماضى أثناء انتظارهم لعمليات زرع أعضاء بديلة .

وكانت فرنسا مسرحاً لنحو ٣٥٠٠ عملية زرع أعضاء فى عام ١٩٩٠م ، إلا أن هذا الرقم يتراجع بنسبة ٦٪ سنوياً .

وقد أذاع التليفزيون المصرى يوم ٨ مايو ١٩٩٧م فى أحداث ٢٤ساعة بالقناة الثانية أن وزير خارجية البوسنة قد اجتمع بوزير خارجية ألمانيا ، حيث تم فى الاجتماع الموافقة على طلب الوزير البوسنى بالبحث عن المواطنين البوسنيين الذين نقلوا إلى ألمانيا أثناء الحرب .. واختلفوا !!؟

فى ضوء ما أثير حول الشروع فى استصدار قانون نقل أعضاء الشخص الذى يعانى من توقف وظائف جذع المخ ، انعقدت بنادى أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة حلقة دراسية حول تحديد مفهوم الموت وعلاقته بنقل الأعضاء .

وقد حضر هذه الحلقة جمع من أساتذة الطب الشرعى والذين تناولوا : البعد الشرعى - المنافع والأخطار التى يترتب على نقل الأعضاء - تعريف الموت - المناخ الاجتماعى السائد فى مصر ، وقد ناقش الأعضاء هذه المحاور وانتهوا إلى التحليل الآتى :

من الممكن أن نقل الأعضاء قد تترتب عليه منفعة للمريض المتلقى ، ولكنها عملية يترتب عليها ضرر مؤكد يلحق بالشخص المانح سواء كان حيًا أو ميتاً بصرف النظر عن الضوابط التى تستخدم لتحديد الموت .

وإذا كان هذا الأمر يعرض المانح الحى إلى درجة أعلى من خطر الموت ، فإنه يعد أيضاً إيذاء للمانح الميت نهى الشارع عنه ويعد جريمة قتل للمريض الذى لم يمت .

وقد استقر فى وجدان المجتمع المصرى أن الموت يتحقق بخروج الروح ، وأن خروج الروح ينطوى على أسرار كثيرة لم يصل الطب إليها وذلك مصداق قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ وأن للميت حرمة صدر فى شأنها فى مصر قانون يحظر انتهاك حرمة الميت ، كما أن الأمر يتعلق أيضاً بقضية ملكية جسد الإنسان وأعضائه .. على أن قضية نقل الأعضاء من جسد الميت تتسع للاجتهادات فى ضوء المنفعة التى ترجى والضرر الذى يخشى .

وقد أجمع الحاضرون على أن توقف وظائف جذع المخ لا تعنى الموت إذ أن تلك الوظائف تتوقف وما زالت الروح لم تفارق الجسد ، وما زالت الأعضاء الحيوية (المخ - القلب - الكبد - الكلى - والرئتان) تعمل كما أن الواجب المهنى والأخلاقى والشرعى على الطبيب هو أن يبذل قصارى جهده علمياً وجسدياً لإنقاذ حياة المريض الذى يعانى من توقف وظائف جذع المخ لا أن يستأصل عضوًا من هذا المريض ويعجل بموته أملًا فى نقل العضو إلى مريض آخر .

كما أن أى تشريع لابد أن يراعى المناخ الاجتماعى والأخلاقى السائد فى المجتمع المصرى المعاصر ، وهو الأمر الذى تكتنفه تحفظات كثيرة ، وفى ضوء ذلك فإن الحلقة الدراسية أصدرت التوصيات التالية :

(أ) أن الموت لا يتحقق إلا بتوقف جميع الوظائف الحيوية للجسم ، وذلك بتوقف وظائف القلب - المخ - الكبد - الكلى - الرئتين ، وأن توقف وظائف جذع المخ لا يعد مسوغاً طبياً لتحقق الموت ، وعلى ذلك فإن نقل الأعضاء قبل التحقق من الموت ينطوى على جريمة اعتداء على جسد حى .

(ب) إن قضية نقل الأعضاء من جسد الميت الذى تحقق موته بتوقف جميع وظائف الأعضاء الحيوية ، تتسع للاجتهادات الفقهية والطبية فى ضوء المنفعة التى ترجى والأضرار التى تخشى .

(ج) ينبغى أن يلتزم أى تشريع يصدر فى هذا الشأن بالضوابط السابقة . إن الحلقة الدراسية بنادى أعضاء هيئة التدريس تضع هذه الآراء والتوصيات أمام المسئولين بالدولة وتهيب بهم إيقاف هذا التشريع المقترح ، واضعة فى اعتبارها الرأى الطبى والشرعى والقانونى [1] .

* * *

لقد نشرت الصحف الإنجليزية قبل عدة سنوات قصة امرأة بريطانية دخلت فى غيبوبة لمدة خمس سنوات ، وفجأة دبت الحياة فى المرأة ، وعاد إليها وعيها كاملاً بعد هذه المدة الطويلة !!

وهناك قصة يرددها الناس فى حى السيدة نفيسة تقول هذه القصة : إن رجلاً بعد أن دفن .. وبعد أن غسل وكفن .. وبعد استخراج تصريح من الطبيب المختص بأنه مات وشبع موتاً .. هذا الرجل يا فضيلة الإمام خرج من القبر مرة ثانية ! وتبين أنه كان قد دخل فى غيبوبة ظنها الطبيب موتاً ومن

---

(١) دكتور عبد الفتاح ندا - مقرر اللجنة الطبية - دكتور بدر الدين غازى - مقرر لجنة الشئون العامة .

ثم .. حكم بموته وصرح بدفنه ، وشطب اسمه من قائمة الأحياء الذين عاد إليهم هذا الرجل مرة ثانية بلحمه وعظمه وشحمه !

وقد حدثنى صديق عن قصة « مهندس » فى جامعة الزقازيق غاب عن وعيه تماماً لمدة تسعين يوماً .. وفجأة عاد الرجل إلى الوعى .. وبدأ يمارس حياته العادية كما كان يمارسها من قبل !

ليس كل ما يقوله الأطباء صحيحاً !! وبخاصة فى هذا العصر الذى سقطت فيه القيم جميعاً !!

يقول الطبيب العالمى الفرنسى (جاك تستار) أول طبيب فرنسى قام باستيلاد طفل الأنابيب قال هذا الطبيب بعد أن اعتزل المهنة وطرحها تماماً وراء ظهره : كنت أظن أن التجارب التى يقوم بها الأطباء فى المعامل تستهدف الخير للناس .. وأن البحوث التى يقومون بها تسعى للشفاء وعلاج الأمراض ! .

لقد اكتشفت بعد تجربة أن كل هذه المعامل وكل هذه البحوث بعيدة تماماً عن كل القيم !! وأنها تستهدف شيئاً واحدًا هو المال وجمع الثروة لا غير!!

ألم أقل لك يا فضيلة الإمام أنهم خدعوك فقالوا : أنت شيخ عصرى وشيخ مودرن !

قالوا ذلك ليوقعوك فى شراكهم السامة ! وفى فخاخهم التى لا ترعى فى إنسان إلا ولا ذمة ! والتى أهدرت فيها الشريعة والقانون وشرف المهنة !!

* * *

ولست أدرى يا فضيلة الإمام متى أتوقف عن حديثى معك ؟

كنت أود أن ينتهى هذا الفصل من الكتاب قبل أن أنتقل إلى ما هو أجدى وأنفع ..

ولكن ما الحيلة .. إذا كانت الرياح تأتى بما لا تشتهى السفن !!
وما الحيلة إذا كانت للإمام فى كل يوم جديد يثير السخط والغضب ؟!
وما الحيلة إذا كان الإمام الأكبر لا يستقر على حال يتميز فيها الخبيث من الطيب ؟!

ولا أدرى يا فضيلة الإمام إن كنت لا تزال تذكر شيخنا الجليل الشيخ محمد الأودن ؟ لابد إنك تعرفه .. فقد كنت وإياك من تلاميذه فى كلية أصول الدين .. صحيح إننى تخرجت قبلك ببضع سنوات .. وصحيح أيضاً أنك كنت إماماً وخطيباً فى وزارة الأوقاف فى الوقت الذى كنت أنا فيه مفتشاً فى إدارة الثقافة بهذه الوزارة ..

إننى لازلت أذكر مقابلة معك تمت فى مكتب المرحوم الشيخ الغزالى والشيخ سيد سابق .. أى أن معرفتى بك قديمة مما يسمح لى بالتحدث معك فى أخوة وصراحة ودون تكلف أو حرج ..

أعود إلى أستاذنا المرحوم الشيخ محمد الأودن .. لا أظن أنك زرته فى بيته فى ضاحية « الزيتون » هذا البيت الذى كان مثابة للعلماء والمجاهدين من ضباط الجيش .. رشاد مهنا ، وكمال الدين حسين وغيرهم من رجال الثورة .. فى حجرة من هذا البيت لا يزيد أثاثها عن « دكة » خشبية وحصير قديم وبعض المقاعد القديمة المتهالكة ! .. كان فى هذه الحجرة جمجمة « سمكة قرش » معلقة على الحائط ذات أنياب بشعة حادة أهداها إليه رجل يونانى .. لقد كتب الشيخ تحت هذه الجمجمة كلاماً لا أزال أحفظ بعض كلماته :

تقول هذه الكلمات التى كتبها الشيخ تحت هذه الجمجمة : انظر إلى هذه الأنياب الحادة .. إن سوء خلق العالم أشد فتكاً بالأمة من هذه القواطع !! وأن الاعتداد بالرأى فتنة ومهلكة لهذا العالم ! .. وهذه الكلمات كثيرًا ما كان يرددها الشيخ لزواره .. وبخاصة من علماء الأزهر الذين كانوا يحرصون على زيارته ..

أذكر أن سلفكم الصالح الإمام عبد الحليم محمود كان من زوار الشيخ الأودن الدائمين .. وفى إحدى هذه الزيارات سأل الإمام عبد الحليم :

- لماذا لم تقبل يا مولانا مشيخة الأزهر حين عرضها عليك رجال الجيش ؟

فقال الشيخ الأودن مجيباً على سؤال صفيه وحبيبه الدكتور عبد الحليم :

- إن العالِم الحقيقى ليس هو الذى يشرف بالوظيفة .. بل العالم الحقيقى هو من تشرف به الوظيفة .. لا من يشرف بالوظيفة !! فخسة النفس لا ترتفع بالوظائف .. بل تسمو هذه الوظائف وتعلو بالعلماء الزاهدين في هذه الوظائف وهذه المناصب !!

(فأدلة الطريق كما يقول الإمام الغزالى هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء [1] ، وقد شغر منهم الزمان .. ولم يبق إلا المتمرسون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان ، واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفاً : فصار يرى المعروف منكرًا والمنكر معروفاً !!

* * *

ترى يا فضيلة الإمام أين تجد نفسك فيما قاله الإمام الشيخ محمد الأودن ؟

إن مقام المشيخة عظيم ، وأعظم من ذلك كله أن يكون الجالس على مقعد هذه المشيخة جديرًا بالاحترام والتقدير !!

وكما قلت سابقاً .. ما الحيلة إذا كان للإمام الأكبر فى كل يوم جديد يثير السخط والغضب !! وما الحيلة إذا كان الإمام الاكبر لا يستقر على حال يتميز فيها الخبيث من الطيب !!

---

(١) انظر فى هذا الموضوع : « رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » - العلامة أبو الحسن الندوى - صفحة ٢٢٤ وما بعدها .

إن ثورتك على من - استنكروا - زيارة حاخام إسرائيل الأكبر تجاوزت كل حد !! وهل يتصور أحد أن يتفوه الإمام الأكبر بمثل ما تفوه به من سباب وشتائم ضد الذين خالفوه الرأى ؟!!

وهل من المعقول أو المقبول فى عرف أى عاقل أو مجنون أن يصف شيخ الأزهر من اعترضوا على هذه الزيارة بأنهم (ولاد كلب)[١] !!

* * *

لقد كانت مثل هذه الشتائم تبلغنى عنك عندما كنت مفتياً ، وقد أكد لى هذا صحفيون شرفاء لا يشك أحد فى نزاهتهم .. غير أننى لم أكن أتصور أن يحدث مثل ذلك من المفتى ..

والآن لم يعد هناك شك بعد أن بلغت هذه الشتائم آذان العالم فى أقصى الأرض !!

* * *

لن أناقشك فى مقابلة هذا الحاخام أو غيره .. فقد رضيت لنفسك ما لم يرضه من قبلك أحد !!

حتى (الأنبا شنودة) لم يرضى لنفسه هذا الموقف .. وهل أبالغ يا فضيلة الإمام إذا قلت : إن موقف (الأنبا شنودة) هو الموقف الحق !!!

قد تقول : إن بيننا وبين إسرائيل اتفاقات وعهودًا واجبة الاحترام ؟

لقد نسيت ما قلته فى كتابك بشأن مثل هذه الاتفاقات والعهود مع اليهود !! ثم أى اتفاقات تلك التى « تقرر » نفى شعب مسلم من أرضه ومحوه من الوجود ؟!!

---

(١) حسين كروم - مجلة الأسبوع - العدد الصادر فى يوم ٢١ رمضان ١٤١٨ هـ - ١٩ يناير ١٩٩٨م .

هل أذكرك بموقف الإسلام من مثل هذه الاتفاقيات وهذه العهود ؟!

عد إلى كتابك وأعد قراءته من جديد !!

ولأجل أن تعرف حكم الشريعة الإسلامية فى الصلح مع اليهود دون نظر إلى الناحية السياسية يجب أن نعرف حكم هجوم العدو على أى بلد من بلاد المسلمين هل هو جائز أو غير جائز ، وإذا كان غير جائز فما الذى يجب على المسلمين عمله إزاء هذا العدوان .

إن هجوم العدو على بلد إسلامى لا تجيزه الشريعة الإسلامية مهما كانت بواعثه وأسبابه ، فدار الإسلام يجب أن تبقى بيد أهلها ولا يجوز أن يعتدى عليها أى معتد .

وأما ما يجب على المسلمين فى حالة العدوان على أى بلد إسلامى فلا خلاف بين المسلمين فى أن جهاد العدو بالقوة فى هذه الحالة فرض عين على أهلها .

يقول صاحب المغنى : يتعين الجهاد فى ثلاثة :

الأول : إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان .

الثانى : إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

الثالث : إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير .

ولهذا أوجب الله على المسلمين أن يكونوا مستعدين لدفع أى اعتداء يمكن أن يقع على بلدهم .. قال الله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ (الأنفال ٦٠) .

فالاستعداد للحرب الدفاعية واجب على كل حكومة إسلامية ضد كل من يعتدى عليهم وضد كل من يطمع فى بلادهم فإنهم بغير هذا الاستعداد يكونون أمة ضعيفة يسهل على الغير الاعتداء عليها .. وأن ما فعله اليهود فى

فلسطين هو اعتداء على بلد إسلامى يتعين على أهله أن يردوا هذا الاعتداء بالقوة حتى يجلوهم عن بلدهم ويعيدوها إلى حظيرة البلاد الإسلامية وهو فرض عين على كل منهم وليس فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين .. ولما كانت البلاد الإسلامية تعتبر كلها داراً لكل مسلم فإن فرضية الجهاد فى حالة الاعتداء تكون واقعة على أهلها أولًا ، وعلى غيرهم من المسلمين المقيمين فى بلاد إسلامية أخرى .. ثانياً ، لأنهم وإن لم يعتد على بلادهم مباشرة إلا أن الاعتداء قد وقع عليهم بالاعتداء على بلد إسلامى هى جزء من البلاد الإسلامية .

وبعد أن عرفنا حكم الشريعة فى الاعتداء على بلد إسلامى يمكننا أن نعرف حكم الشريعة فى الصلح مع المعتدى هل هو جائز أو غير جائز ؟

والجواب : إن الصلح إذا كان على أساس رد الجزء الذى اعتدى عليه إلى أهله كان صلحاً جائزًا ، وإن كان على إقرار الاعتداء وتثبيته فإنه يكون صلحاً باطلاً لأنه إقرار لاعتداء باطل وما يترتب على الباطل يكون باطلاً مثله [1] .

« .. وكنت أود [2] من الشيخ الذى اتسع صدره لمقابلة حاخام إسرائيل التى هى العدو الأكبر للمسلمين أن يتسع صدره لمخالفيه .. ولا يوسعهم ذماً وشتماً .. ويصفهم بأقبح الأوصاف من الجبن والعجز والذل والسفه والجهل والسلبية .. إلى آخر هذا القاموس الذى لا يليق بمن كان فى منصب الإمام الأكبر أن يستخدمه وقد نهى النبى ﷺ عن سب الإنسان والحيوان والجماد . وقال : (ما بعثت سباباً ولا لعاناً) ..

---

(١) الإمام الراحل الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر الأسبق .. وهذا ما قرره مجمع البحوث الإسلامية فى جميع مؤتمراته .

(٢) دكتور يوسف القرضاوى – جريدة الشعب .

ولم يُعفِ من ذلك بعض من سبقوه إلى رئاسة الأزهر .. الذين لقوا ربهم وأفضوا إلى ما قدموا .. فوصفهم بما لا يليق من مثلهم فى مثله !!

ومن أعجب ما قرأت وسمعت تشكيك الشيخ فيما أجمعت عليه الأمة من رفض (التطبيع) وقوله ما معنى التطبيع ؟ إنها كلمة (جوفاء) لا معنى لها .

ومما يذكر للشعب المصرى بالفخر : أنه رفض تطبيع العلاقات مع الصهاينة برغم اتفاقية كامب ديفيد التى عقدتها حكومة الرئيس السادات رحمه الله ، وكان من بنودها تطبيع العلاقات ، فكان الإسرائيليون يأتون لزيارة مصر ، ولكن الشعب المصرى لا يذهب إلى إسرائيل ، ولا يشترى منهم ، ولا يروج لهم شيئاً .

إن المقاطعة بكل صورها ، ورفض التطبيع مع القوم سلاح مهم من أسلحة الحرب الطويلة بيننا وبين إسرائيل ينبغى أن نحافظ عليه ، وأن نبقيه مشحوذًا صارماً ، لا أن نسعى إلى فله وكسره .

من هنا كانت خطورة زيارة الحاخام للإمام الأكبر ، أنها كسرت الحاجز ، وفلَّت السلاح ، وأضعفت المقاومة الصلبة ، والمقاطعة الحاسمة .

ولقد قال شيخ الأزهر : ما المانع من لقاء رجل دين برجل دين آخر يهودى أو نصرانى ، للحوار فى أمور دينية ؟

ونقول للشيخ : أى حوار دينى بيننا وبين القوم ؟ هل النزاع القائم بيننا وبينهم نزاع على أمور العقيدة حتى نحاورهم فى أمور الألوهية والنبوة والآخرة؟ أو النزاع على قضية أخرى غير العقيدة ، هى قضية اغتصاب الأرض ، وتشريد أهلها ، ومحاولة ابتلاع ما بقى منها ، وتهديد القدس الشريف ، وهدم المسجد الأقصى ؟

هذه هى القضية يا شيخنا ، وهى لا تحتاج إلى حوار الشيخ والحاخام

إنما تحتاج إلى حوار رجال السياسة ورجال السلاح ، وأنت باعترافك لست منهم .

إن لكل مقام مقالاً ، والمقام هنا ليس مقام الحوار مع رجال الدين ، بل مقام الجهاد مع رجال القوة ، أو المفاوضة بشروطها مع رجال السياسة .

وقد استدل الشيخ الأكبر بلقاء النبى ﷺ مع يهود بنى قينقاع ، ويهود بنى النضير ، وهذا صحيح ، ولكنه استدلال فى غير موضعه لأنه حين ذهب إليهم كان بينهم وبينه معاهدة معروفة ، فذهب يطالبهم بالوفاء بعهودهم ، ولكنهم قابلوه بما يدل على غدرهم ، فنصب لهم الحرب التى انتهت بجلاء بنى قينقاع ، وإجلاء بنى النضير .

فلم يذهب إليهم ليحاورهم فى الدين ، أو ليحاوروه فى الدين ، إنما ذهب لأمر من أمور السياسة التى يقوم بها بوصفه إماماً للأمة ، ورئيساً للدولة .. فهو يمارس صلاحياته السياسية .. فأين هذا مما وقع بين الشيخ والحاخام ؟

ومما استدل به الشيخ : ما جاء فى التعامل مع أهل الكتاب ، حتى أن القرآن أجاز مؤاكلتهم وأباح مصاهرتهم ، أى التزوج من نسائهم .

ونسى الشيخ أن أهل الكتاب فى النظر الشرعى ثلاثة أصناف ذميون ومعاهدون وحربيون ، ولكل منهم أحكامه الخاصة .

فالذميون هم من أهل دار الإسلام ، أى المواطنون من غير المسلمين الذين لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا فى الجملة .

والمعاهدون الذين بيننا وبينهم عهود واتفاقيات ، وهم ليسوا من أهل دارنا ، فيوفى لهم بعهودهم .

والحربيون هم الذين قامت الحرب بيننا وبينهم ، وهذا هو واقع الحال

بيننا وبين الإسرائيليين ، فهم حربيون باتفاق الأمة ، وهم الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ (الممتحنة : ٩) .

فهؤلاء لا حوار بيننا وبينهم إلا بلغة واحدة هى لغة السيف والقوة ، قال تعالى : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يُحب المعتدين ۝ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** ﴾ (سورة البقرة الآيتان : ١٩٠ - ١٩١) .

المشكلة فى استدلالات الشيخ ومن وافقوه : أنهم يستدلون بالعموميات ويغفلون عن مخصصاتها ، ويحتجون بالمطلقات ويهملون مقيداتها ، ويستشهدون بالأقوال وينسون سياقها ، ويتحدثون عن أهل الكتاب وكأنهم كلهم فئة واحدة ، ويتحدثون عن حالة الحرب والعداوة وكأنها حالة السلم والمودة ، لقد رفض الشيخ أن يذهب إلى زيارة القدس ويصلى فى المسجد الأقصى إذا كان دخوله إليها عن طريق تأشيرة تمنحها إسرائيل ، إلا أن تكون السلطة الفلسطينية هى التى تعطيه التأشيرة ، وهذا موقف يسجل له ، وهو مبنى على فقه صحيح .. فلماذا لم يقل هنا : إن الصلاة فى المسجد الأقصى مشروعة ، وقد جاء فى الحديث الصحيح « شد الرحال إلى المسجد الأقصى » ؟

وقال الشيخ : إنه أيد قرار وزير العدل الفلسطينى بتحريم بيع الأرض الفلسطينية لغير الفلسطينيين ، وهو قرار سليم بلا ريب فلماذا لم يحتج هنا بأن الله تعالى قال : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ (البقرة : ٢٧٥) .

ذلك أن الفتوى الصحيحة لابد أن تدخل فى اعتبارها ظروف الزمان والمكان والحال ، ولا تصدر الحكم مقطوعاً عن ملابساته .

ولو مشينا مع الشيخ فى الاستدلال بمطلق ما جاء عن النبى ﷺ لأمكننا أن نستدل بتعامل النبى ﷺ مع اليهود حتى آخر حياته ، فقد استلف من يهودى ثلاثين وسقاً من شعير فى نفقة أهله ، ورهنه درعه ضماناً لذلك ، ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند اليهودى ، وهذا حديث متفق عليه .

يمكن أن يستدل بهذا الحديث لإبطال المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل ، ونسى أن هذا اليهودى الذى عامله النبى ﷺ لم يكن محارباً .

وقد سأل مندوب قناة الجزيرة الإمام الأكبر : هل تجيز للفلسطينى الزواج من يهودية إسرائيلية ؟ فقال له : هل أحرم ما أحله الله ؟ الله تعالى فى كتابه أباح ذلك ، وتلا عليه الآية الكريمة من سورة المائدة :

﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ .
(سورة المائدة : ٥)

ونسى الشيخ أن هذا فى غير الحربيين ، وقد جاء عن ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لا تحل نساء أهل الكتاب إذا كانوا حرباً (أى على المسلمين) وتلا هذه الآية :

﴿ قَاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتو الكتاب ﴾ (التوبة : ٢٩) .

ومعنى كلام ابن عباس : أن الله تعالى أمرنا بقتالهم ، فكيف نصاهرهم ؟ فمقتضى المصاهرة : أن تكون زوجتك منهم ، وأحماؤك منهم ، وأجداد أولادك وجداتهم ، وأخوالهم وخالاتهم منهم ، وهؤلاء لهم حقوق الأرحام وذوى القربى من الصلة والمودة ، والإسلام يوجب قطيعتهم ، ويحرم موالاتهم وموادتهم .

ونقل أبو بكر الرازى (الجصاص) فى (أحكام القرآن) عن الحكم قال : (حدثت بذلك - يعنى بكلام ابن عباس - إبراهيم (اى النخعى) فأعجبه .

قال أبو بكر : ومما يحتج به لقول ابن عباس قوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾ (المجادلة : ٢٢) ، والنكاح يوجب المودة بقوله تعالى : ﴿ **خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ (الروم : ٢١) ، فينبغى أن يكون نكاح الحربيات محظورًا ، لأن قوله تعالى : ﴿ **يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾ إنما يقع على أهل الحرب ، لأنهم فى حد غير حدنا ، وهو توجيه قوى لا غبار عليه ، ومن هنا يكون من يتزوج إسرائيلية أو يهودية اليوم يرتكب محرماً ، فكأنه يدخل بيته جاسوسة لإسرائيل .

وكنت أود من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - ولابد أن فيه ثلاثة أو أربعة أو أكثر من رجال الفقه - أن يكون موقفه أبصر من هذا وأقوى ، وأن يناصر الشيخ بتصويبه إن أخطأه الصواب ، فكل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .. فالحق فوق كل اعتبار ، وقد قال أبو بكر رضى الله عنه فى أول خطبة له بعد الخلافة : إن أحسنت فأعينونى ، وإن أخطأت فسددونى .

كما أحيى جبهة علماء الأزهر فى موقفها الشجاع فى قول الحق ، وأن هون الشيخ من أمرها ، وقال : إنهما شخصان وكلاهما من تلاميذه ؟ وربما يقصد رئيسها وأمينها العام .

ولا يضر الرجل الكبير شيئاً أن ينزل أحياناً على رأى تلاميذه ، فقد يخطئ الشيخ ويصيب تلميذه ، وليس فى العلم كبير ، وفوق كل ذى علم عليم .

وقديماً وقف عالم صغير أمام عالم كبير ، فنقده فى بعض قوله ، فكأنما أنكر عليه ذلك فقال : إن كنت كبيرًا فلست أكبر من لسليمان ، وإن كنت - أنا - صغيرًا ، فلست أصغر من الهدهد ، وقد قال لسليمان : أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين !!

كنت أود من الشيخ الأكبر أن يرفض لقاء الحاخام ، ولا يحقق له أمنيته فى اقتحام الأزهر ، ويرجعه خائباً مغيظاً ، فإن (غيظ الكفار) المحاربين من أهداف المسلم ، ومما نوه به القرآن ، فقد قال تعالى : ﴿ **يعجب الزُرّاع ليغيظ بهم الكفار** ﴾ (الفتح : ٢٩) ﴿ **ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار** ﴾ . (التوبة : ٢١)

وأن يقتدى بذلك الصحابى المجاهد الذى وقع فى أسر الروم ، فحبسه قائدهم ، يريد إذلاله ومنع عنه الطعام أياماً ، ثم جاء به ووضع أمامه لحماً فسأل : أى لحم هذا ؟ فقيل له : خنزير ! فقال : للملك أو القائد الرومى أما والله إني لأعلم أن الله تعالى أحله لى للضرورة ، ولكن لن أقر عينك بالأكل منه ! وأبَى ان يأكل حتى مَنَّ الله عليه بالفكاك من الأسر .

لقد قال الشيخ : إن الحاخام رجاه ان يقابله ، فلم ير بأساً فى مقابلته ، وكنت أتمنى ألا يحقق له رجاءه ، فهو سيستغل هذه الزيارة لصالحه وصالح قضيته ، والأزهر أولى المؤسسات بألا يُمكِّنَ الصهاينة من استغلاله بالحق أو بالباطل [1].

* * *

ومذبحة لجنة الفتوى !! والأسباب الحقيقية وراء إجهاضها ؟

وقصة القرار رقم (١١٥٠) [2] بإعادة تشكيلها ؟ ولماذا حدث كل هذا أصلا يا مولانا ؟!

---

(١) جريدة الشعب - دكتور يوسف القرضاوى ٦ / ١ / ١٩٩٨م .

(٢) قرار (١١٥٠) الصادر فى ٢٦ شعبان ١٤١٨ هـ - ٦ ديسمبر ١٩٩٧م .

أسئلة إجابتها معروفة فلم تكن المصلحة هى الدافع ، ولم يكن لإعادة تشكيلها سبب جوهرى واضح .. فالكل يعرف الأسرار الحقيقية وراء هذا (الإجهاض) أو هذا الذبح ! وهى أسرار لم تعد خافية على أحد ممن يهمه أمر الأزهر .. فقد حدث ما حدث لأسباب « شخصية » بحتة ! ولموقف سابق من أعضاء هذه اللجنة من فتاواكم التى خالفت بها إجماع الأمة ! ومن (رئيسها)[1] الذى لم يدخل إدارة الأزهر منذ جلستم فى مقعد (الإمامة) أو كرسى (المشيخة) !!!

ألا ما أبعد الفارق بينك وبين من سبقوك إلى مشيخة الأزهر يا فضيلة الإمام !!

ففى عهد الإمام الراحل عبد الحليم محمود - حين كنت آنذاك رئيساً ومديرًا لمجلة الأزهر - أرسل الإمام الراحل « مقالاً » فاعتذرت عن عدم نشره !

وحين سألنى الإمام عبد الحليم محمود عن سبب عدم النشر قلت له : إن مقال شيخ الأزهر إن لم يتفوق على « مقالات » غيره من الكُتَّاب فلا اقل من أن يكون مقاله فى مستوى « مقالات » غيره من الكتَّاب !!

فاقترح الإمام الراحل موضوعاً آخر هو « تفسير القرآن » فقلت له : سيقول الناس : إن شيخ الأزهر قد اختار « الأسهل » ! فتفسير القرآن يكتب فيه العالم وغير العالم ؟!

فابتسم الشيخ العظيم ولم يغضب .

ثم فوجئت بعد أيام بسلسلة من مقالات جديدة أرسلها الشيخ تحت عنوان « موقف الدين من الفن والعلم والفلسفة » .. وكانت هذه المقالات جديدة ومبتكرة ، وذات أثر بعيد فى مجال الفكر والثقافة .

---

(١) الشيخ عطية صقر الذى ذهب إلى مكتبه فى أول يوم تولى فيه أمر المشيخة فنصحه ثم خرج ولم يعد إلى مكتبه مرة ثانية .

هل يجرؤ أحد فى إدارة الأزهر على مراجعتك فى موقف ؟ أو معارضتك فى بعض ما تقول أو تكتب ؟!

* * *

وأخيرًا وليس آخرًا يا فضيلة الإمام ..

ما قصة (المعركة) أو (المهزلة) التى دارت رحاها فى الأزهر ؟ والتى تطايرت شظاياها حتى وصلت إلى الشرطة ؟ والتى وضعت (الأزهر) و(قياداته) فى مأزق كريه الأثر والرائحة !!!

هل سمعت بالشاعر الفيلسوف المسلم « محمد إقبال » ؟ .. إنه الرجل الذى بشر بقيام دولة باكستان المسلمة .. فى ديوان له اسمه (أرمغان حجاز) أو (هدية الحجاز) يقول الشاعر « محمد إقبال » :

إن « الملاَّ » – أى العالم – الذى لا نصيب له من الحكمة بعيد عن تعاليم النبى !

فسماؤه مظلمة ليس فيها كواكب !!

نظرته قصيرة وذوقه أعمى !

يتجول بلا هدف !

الملة أصبحت بأقواله متفرقة إلى أفراد !

وماذا يبقى من الأمة تفرق أفرادها أيدى سبا !

* * *

هل تجتاز المؤسسة الدينية الرسمية فى مصر أزمة ؟ أو هل هى على وشك مواجهة[١] .

---

(١) أزمة المؤسسة الدينية – دكتور محمد سليم العوا – دار الشروق – القاهرة – صفحة ١٣ وما بعدها .

سؤال يطرحه كثيرون من المعنيين بالهَمّ المصرى ومن المشتغلين بمراقبة ما يجرى فى مصر باعتباره من أهم ما يجرى فى معظم بلدان الوطن العربى والإسلامى .. ويكتسب هذه الأهمية من الموقع المصرى تاريخياً وحضارياً وبشرياً وفكرياً .

والمؤسسة الدينية المعنية تتقاسمها رموز ثلاثة : الأزهر الشريف ، ودار الإفتاء ، ووزارة الأوقاف .. فى كل من هذه الرموز بوادر تجعل السؤال مشروعاً ، وتدعو الغيورين إلى التكاتف للوقوف بهذه البوادر عند الحدود التى وصلت إليها ، وتجنيب المؤسسة الدينية الرسمية أزمة وشيكة أو تخليصها من أزمة واقعة .

فأما الأزهر الشريف فبوادر الأزمة فيه تلوح من موقف فضيلة الإمام الأكبر من المشيخة ، إذا قورن بالدور التاريخى لها ، وبالواجب القانونى المنوط بها .

فالإمام الأكبر يرى المشيخة وظيفة من وظائف الحكومة .. ويرى أن عليه - بهذا الاعتبار - أن يتحرك فى حدود ما تسمح به الجهات الحكومية - السياسية والأمنية - ويقرر صراحة أنه يقول لهذه الجهات - سمعاً وطاعة - بشأن ما يوجه إليه من دعوات رسمية خارجية .. فإذا أعطى الضوء الأخضر من تلك الجهات سارع بتلبية الدعوة .. وأنه لا يلبى الدعوات الخارجية إلا عندما تأذن له الدولة بذلك (المصور ١٧ / ١ / ١٩٩٧ - نقلاً عن جمال سلطان - فى الشعب ٢/٧ /١٩٩٧) .

وهذا التصور للمشيخة جدير بأن يحمل فى رحمه أزمة حقيقية بل أزمات .. فالأزهر ليس جهة من الجهات الإدرارية التابعة للحكومة ، بل هو (الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى وتجليته ونشره) .. وتهتم ببعث الحضارة العربية الإسلامية .. وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة

الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن الكريم [1] .

والإمام الأكبر شيخ الأزهر هو صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام [2] .

وهذه المكانه لم يسندها القانون إلى شيخ الأزهر من عنده ، أو من الدولة ، أو من السلطة التشريعية التى أصدرته ، وإنما منحها للشيخ الجليل جلال الأزهر وتاريخه المجيد فى الحفاظ على الإسلام وعلومه ، وفى الدفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة ، وفى حمل لواء الوسطية الإسلامية عبر القرون .

ومنحها للشيخ الجليل ، وللجامع العتيق ، موقف رجاله شيوخاً وشباناً فى الذود عن حرمات الدين والوطن ، وفى مقاومة الغزو والاستعمار منذ عرفت أقدام الأجنبى أرض الوطن ، وهو ما هيأ للأزهر مكانة ومهابة فى قلوب الحاكمين والمحكومين على السواء .

وبسبب التصور (الوظيفى) للمشيخة صدرت عن الأزهر عبارات تقول : إن شيخه الجليل ليس مختصاً بالفتوى ، وأن دار الإفتاء هى المنوط بها هذا الأمر .. ونقلت عنه الصحف أن رأيه بشأن (هلال شوال) هو نصيحة فحسب .. وهذا كله يتعارض - بلا ريب - مع المكانة المُسَلَّمة تاريخياً وقانونياً للأزهر وشيخه ..

ووعد فى رده على أسئلة محررى المصور ١٠ / ١ / ١٩٩٧ بالرد على أسئلة وجهها إليه السيد الصادق المهدى فقال :

(وإننا ملزمون أمام الله بعدم كتمان الشهادة ومنع العلم) وأن فتواه ستكون بحيدة كاملة - نقلاً عن جمال سلطان ، الشعب ١٩٩٧/٢/٧م) .

---

(١) م / ٢ من قانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر .
(٢) المادة ٤ من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر .

والحق أن هذا الموقف الأخير هو موقف نتمنى أن يتمسك به الشيخ الجليل ، وأن يكون فى جميع الظروف والمناسبات والأوقات قوالًا للحق بلا تردد ، وألا يخشى فيه لومة لائم ، وأن يعمل بنص المادة الرابعة من قانون إعادة تنظيم الأزهر .. مدركاً للدور التاريخى العظيم الذى لعبه أسلافه الكبار فى مواجهة التحديات التى تعرض لها الإسلام السنى الذى يمثل الأزهر حصنه الحصين وخط دفاعه الأول والأقوى ، وأن يعمل من خلال هيئات الأزهر وأخصها (مجمع البحوث الإسلامية) على استعادة دور المشيخة فى القيادة الروحية الراشدة للمسلمين جميعاً ، فالقيادة الروحية الراشدة هى الجامع العاصم من الزيغ والانحراف للعامة والخاصة على السواء .

والقيام بحقوق هذا كله يتنافى تمام التنافى مع النظر إلى المشيخة باعتبارها وظيفة ، وإلى الشيخ الجليل باعتباره (موظفاً) فى الدولة ..

أما بعد ..

فانظر أى رجل تكون إذا وقفت بين يدى الله عز وجل ، فسألك عن نعمته عليك كيف رعيتها ؟

لقد أصبحت شيخاً كبيرًا أثقلتك النعم .. وعلمت حجج الله تعالى مما حملك من كتابه ، وفقهك فى دينه .. وفهمك من سنة نبيك محمد ﷺ فرمى بك فى كل نعمة أنعمها عليك .. وقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك عليها أن يرحمك منها [1] .

أجل يا فضيلة الإمام .. لقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك عليها أن يرحمك منها !!

---

(٢) من وصية أبى حازم الأعرج إلى الإمام الزهرى .

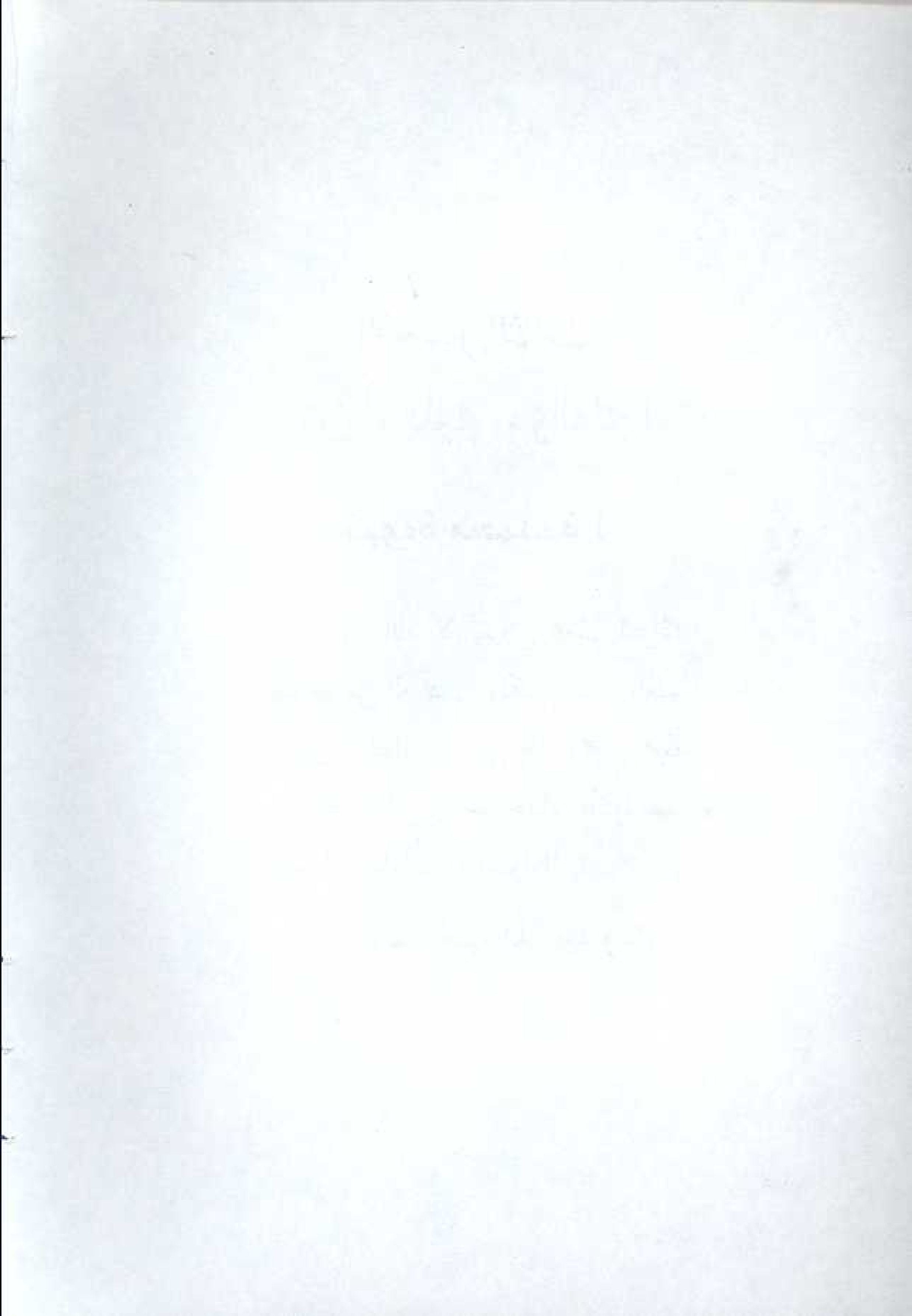
الفصل الثالث

عن التعليم .. والعلم !

نبوءة محمدية !

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد .. ولكن يقبض العلم بقبض العلماء .. حتى إذا لم يُبق عالماً .. اتخذ الناس رءوساً جهالاً فأفتوا بغير علم ! فضلوا .. وأضلوا !! » .

(محمد صلى الله عليه وسلم)



منذ خمسين عاماً قام الرحالة الأمريكى « جون جنتر » برحلة إلى أفريقيا .. وقد سجل هذا الرحالة مشاهداته وانطباعاته عن هذه الرحلة فى كتاب اسمه (فى داخل أفريقيا) .

من الملاحظات التى سجلها الرجل فى كتابه تلك الملاحظة التى وصف فيها رجال الكنيسة الارثوذكسية فى أفريقيا أنهم أجهل رجال الدين فى الدنيا !!

وقد كان هذا الكلام صحيحاً فى هذه الفترة ، لأن معظم الكهنة والقساوسة كانوا عادة يختارون من بين الصيارفة ، أو محصلى السكة الحديد ، أو مفتشى البريد الذين أحيلوا إلى التقاعد .. بعد نهاية الخدمة !

هذا القول صحيح فى مجمله .. وإن كان من بين هؤلاء الكهنة والقساوسة رجال يشار إليهم بالأصابع و (القمص سرجيوس » راعى كنيسة القللى وخطيب ثورة عام ١٩١٩م كان مثالًا على هذا الامتياز وهذا التفوق .

ومنذ تولى « الأنبا شنودة الثالث » رئاسة الكنيسة خرجت الكنيسة فجأة من القمقم ! وانطلقت تحت قيادته إلى ثورة إصلاحية شاملة فى كل شىء .. فى اختيار الرجال .. فى التعليم .. فى التثقيف والتربية .. فى الخروج إلى ساحة العالم .. فى رعاية الأبناء فى بلاد المهجر .. فى إنشاء الكنائس .. وفى إصدار المجلات والصحف .. وفى الحضور البارز والمؤثر فى أى مؤتمر .. وفى جباية الأموال التى تدعم طموحات (البابا) فى تنفيذ ما يراه من مشروعات .. وفى توفير الأمن والرعاية للقس أو الكاهن أو الراهب الذى يعيش فى الصحارى والمغارات !!

« والأنبا شنودة » نفسه يمثل ظاهرة ! إنه مختلف عن كل من سبقه .. شخصية مؤثرة .. وثقافة واسعة .. يقرأ فى كل شىء .. ويتحدث فى كل شىء .. ويمزح ويمازح كل من عرفه أو تحدث إليه !

* * *

لا أنسى حتى هذا اليوم هذا اللقاء الذى دعا إليه الرئيس السادات .. هذا اللقاء الذى جمع بين القيادات الدينية فى الأزهر والقيادات الدينية فى الكنيسة ..

لقد كات « الأنبا » هو الفارس الذى استحوذ على إعجاب الجميع .. وأنا منهم بالرغم من تحفظى على كثير من توجهاته وتوجيهاته !!

ولكن الإسلام يطالبنا بالعدل .. والإقرار بكلمة الحق ..

إن الكلمة التى ألقاها الرجل فى هذا اللقاء يعرفها أى مثقف مسلم .. فمعظم ما قاله لا يتجاوز صفحتين أو ثلاثا من كتاب (الدعوة إلى الإسلام) الذى كتبه المستشرق (توماس ارنولد) أو ما كتبه الفقيه الأديب الدكتور الشيخ (مصطفى السباعى) فى كتابه عن (روائع حضارتنا) !!

ولكن من يعرف هذين الكتابين أو المؤلفين من علماء الأزهر .. من يقرأ كتاباً خارج المنهج المقرر ؟ ومن يشغله أمر الإسلام أو المسلمين فى هذا العالم؟!

لقد سمعت من أحد سفرائنا المعتمدين فى إحدى دول وسط أوربا أنه ما من مرة زار فيها الأنبا شنودة إلا وجده غارقًا بين الكتب !! وكتب فقهاء الأئمة المسلمين على الأخص !!

وقد كان الأزهر - فيما مضى - يفتح - أمام طلابه - كل أبواب المعرفة .. وكان الأساتذة يجيدون التحدث فى أى موضوع أو أية قضية ..

وكما قلت - فى المقدمة - كان هناك طلاب يؤلفون الكتب فى المرحلة الابتدائية ! .. وكان معظم أدباء وشعراء وزعماء مصر ممن أكلوا من (الجراية) [1] !!

* * *

فكيف تغير الحال من النقيض إلى النقيض فى الكنيسة والأزهر ؟ بل كيف فقد الأزهر مكانته وتأثيره بعد أن كان ملء السمع والبصر ؟! بل كيف كانت الكلمة منه أو من شيوخه تهز جهات الدنيا الأربع !! كانوا فيما مضى يطاولون نجوم السماء تألقاً .. وسموًا .. فإذا بهم اليوم يمشون فى السفح والظل !

وكانت الحكمة تنبع من شفاههم .. فإذا بهم اليوم لا يفرقون بين الحياة .. والموت .. !!

لقد أصبحوا كالصدفة الخالية من اللؤلؤ ! ولم تعد لهم تلك اليد البيضاء التى تنير الطريق أمام الحيارى .. والضالِّين من أمة محمد ﷺ !!

إن الأزهر الذى عرفناه لم يعد قائماً ، والعلم الذى درسناه أصبح دارساً!! غير أن الأزهر لن يموت .

لقد عبر القرون العشرة الأولى من حياته ولم يسقط .. فالشعلة المقدسة لا تخمد والروح لا تفنى ولا تموت .. والأزهر هو هذه الشعلة .. وهو هذه الروح .. غير أن الأزهر شأنه شأن أى كائن حى .. ويتعرض لمثل ما يتعرض له الكائن الحى .. وهى سنة باقية منذ خلق الله الخلق .. وظاهرة كونية منذ نشأت الحياة فوق هذه الأرض !!

---

(١) الجراية : هى ما كان يصرف كل يوم من الخبز على طلبة الأزهر .

فالأزهر أمانة فى أعناقنا جميعاً .. أمانة مقدسة نشترك فى الحفاظ عليها جميعاً .. ولن نخون هذه الأمانة أبدًا .. ونموت دون المساس بالأزهر ليبقى علمه مرفوعاً .. ودائماً .

* * *

وأولى خطوات الإصلاح تبدأ بعد معرفة الخلل .. كما أن أولى خطوات العلاج تبدأ بعد تشخيص وتحليل أسباب العلة والمرض !! وقد استفحل المرض بالأزهر فعلًا .. لا أعنى الفوضى الإدارية الضارية فى كل ركن من أركانه .. فهذا بلاء عام فى كل الجامعات ودواوين الحكم .. ولا أعنى الفوضى العشوائية فى إنشاء الكليات والمعاهد فتلك مصيبة كبرى من مصائب الدهر .. بل أعنى ما انتهت إليه العملية التعليمية فى الأزهر بعد مرور خمسة وثلاثين عاماً على القانون رقم ١٠٣ لعام ١٩٦١م .. وكيف أصبح خريجوه وطلابه .. بعد كل هذه السنين .

إن الأزهر القديم لم يعد موجوداً .. وما بقى من رصيده الضخم أوشك على النفاد ، شكلاً وموضوعاً .. فليس معقولًا ولا مقبولا أن ينتهى الحال بخريجى الأزهر إلى هذا الجهل المفزع .. وإلى هذا الفراغ العلمى والروحى البشع .

إنه لمن الصعب على أى مسلم أن يكتب إلى العالم الإسلامى نعى هذه الجامعة العريقة ، وإنها لكارثة أن يتردد عاقل مخلص من المشاركة فى إقالة عثار هذا الصرح الإسلامى قبل وقوع الكارثة .

وهل يصدق مسلم أن خريج الأزهر لا يعرف الفرق بين الشيعة والشيوعية ؟!! وهل يخطر ببال أى مسلم ألا يعرف (موجه) فى العلوم الشرعية والعربية الفرق بين الأفعال الثلاثة المعروفة ؟!!

هل يتصور مجنون أو عاقل أن يقرأ أحد خريجى الأزهر أول سورة

(التكاثر) فيقول : إلاهُكم التكاثر بدلا من أَلْهَاكُمُ التكاثر !!

وهل سمع أحدكم بسورة فى القرآن اسمها سورة (عمر) !!!

إن المُدرسة التى كتبت ذلك على سبورة الفصل لتلميذاتها لم تكن تعرف الفرق بين خط النسخ وخط الثلث !! فقرأت سورة (النبأ) المعروفة بسورة (عم) على أنها سورة عمر !!؟

* * *

فى رسالة لبعض أولياء أمور الطلبة والطالبات فى جامعة الأزهر نشرها الأستاذ ثروت أباظة فى مقاله الأسبوعى بصحيفة الأهرام تقول هذه الرسالة [1] :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الكاتب الكبير ثروت أباظة – وكيل مجلس الشورى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يتقدم إلى سيادتكم أولياء أمور طلبة جامعة الأزهر .. ويعرضون عليكم ما أثر فى نفوسهم ألمًا وحزناً أليماً .. فأولادنا الذين أدخلناهم الأزهر لينهلوا من ينابيع الدين لا يحفظون شيئًا من كتاب الله ، والسور والآيات التى يحفظونها لا يتقنون ترتيلها ، لأنهم فى المراحل السابقة كانوا ينتقلون من فرقة إلى التى بعدها بعد اختبار سهل لين لا رسوب فيه .. ولما التحقوا بالجامعة وجدوا أن تدريس القرآن الكريم أسنده الدكتور عبد الفتاح الشيخ إلى المعيدين وهم لا يحضرون لأنهم ما زالوا طلبة فى الدراسات العليا ، وعسير عليهم الجمع بين التدريس صباحاً والتعلُّم بعد الظهر ، والذى زاد

---

(١) يوم ١٠ فبراير ١٩٩٧ م .

الأمر سوءًا أنه صدر قرار بإلغاء تدريس القرآن الكريم ، وعلى الطلبة أن يمتحنوا فيه آخر العام من حفظهم .

ولما سألنا عن سبب الإلغاء قيل لنا : إن أحد نواب رئيس جامعة الأزهر عند زيارته لفضيلة شيخ الأزهر عرض عليه أن المكافأة التى يحصل عليها علماء الأزهر المنتدبون لتدريس القرآن الكريم لا تكفى للمواصلات ، فكان رد فضيلة شيخ الأزهر أنه قدم اقتراحاً لمجلس الأزهر الأعلى بإلغاء تدريس القرآن الكريم فى الجامعة ، لأنهم حفظوه فى المراحل الأولى مع أنهم لا يحفظون شيئاً .

إننا نتحدى أن يوجد ٥٠٠ طالب وطالبة فى جامعة الأزهر يحفظونه حفظاً جيدًا .. والذين يحفظونه حفظوه من بيوتهم ..

لهذا نرجو مخاطبة مشيخة الأزهر لتراجع قرارها فى إلغاء تدريس القرآن الكريم فى الجامعة .. مع مطالبتها باختيار المدرس المتقن للترتيل من هيئة التدريس ، وعلماء الأزهر المحالين على المعاش والمتخرجين من معهد القراءات .. ونعتقد أن الدولة لا تضن على الأزهر بأى مال يصرف على العناية بكتاب الله عز وجل ..

حفظكم الله للعلم والدين وسدد خطاكم .. آمين .

أولياء أمور طلبة جامعة الأزهر

* * *

وفى رده على هذه الرسالة كتب شيخ الأزهر يقول للأستاذ ثروت أباظة :

السيد الفاضل الأستاذ ثروت أباظة ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد .. فقد اطلعت على مقال سيادتكم الذى عنوانه (القرآن ودائماً القرآن) والذى نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٠ من فبراير ١٩٩٧م ، وأنى إذا أشكر سيادتكم على غيرتكم الدينية وعلى حرصك على أن يكون طلاب الأزهر وطالباته من حفاظ القرآن الكريم أحب أن أعرض على سيادتكم الحقائق التالية :

١ - أننا نحرص كل الحرص على أن يحفظ طلاب الأزهر وطالباته القرآن الكريم منذ التحاقهم بالمعاهد الأزهرية وهم فى السادسة من أعمارهم ، ويقوم بهذه المهمة السامية من يصلح لها من الرجال أو النساء .

٢ - من الأدلة على ذلك أن عدد حصص حفظ القرآن الكريم فى المرحلة الابتدائية تقارب نصف مجموع الحصص الكلية للدراسة أى أنه فى اليوم الدراسى الواحد تخصص ثلاث حصص أو حصتان لحفظ القرآن الكريم .. علماً بأن المقرر على الطلاب والطالبات فى هذه المرحلة ثمانية عشر جزءًا يمتحن الطلاب فيها امتحاناً دقيقاً وحازمًا .

٣ - فى المرحلة الإعدادية وهى ثلاث سنوات يحفظ الطلاب والطالبات سبعة أجزاء من القرآن الكريم إلى جانب امتحانهم فيما سبق حفظه فى المرحلة الابتدائية .

٤ - فى المرحلة الثانوية وهى أربع سنوات يحفظ الطلاب والطالبات خمسة أجزاء من القرآن الكريم إلى جانب امتحانهم فيما سبق حفظه فى المرحلتين الابتدائية والإعدادية .. وبهذا ينتهى الطالب أو الطالبة من حفظ

القرآن وتجويده بنهاية المرحلة الثانوية .. ويدخل الجامعة بعد ذلك وقد حفظ القرآن كله حفظاً تاماً مع المعرفة لقواعد التجويد .

٥ - بعد دخول الطالب أو الطالبة جامعة الأزهر يمتحن سنوياً فى المقدار المكلف بحفظه شفوياً وتحريرياً ، دون حاجة إلى مدرس بعد أن قضى قبل ذلك ثلاث عشرة سنة فى المعاهد الأزهرية حفظ خلالها القرآن الكريم كله .

٦ - أولياء الأمور الذين شكوا لسيادتكم عدم حفظ أبنائهم للقرآن الكريم عليهم أن يتكرموا بالحضور إلينا لنتفاهم معهم فى هذه المسألة .. أما الذين يحرصون على أن يقوموا بتدريس القرآن لطلاب أو طالبات جامعة الأزهر فليتكرموا مشكورين بالحضور إلينا لتعيينهم فورًا فى المراحل التعليمية التى هى فى حاجة إلى محفظين للقرآن الكريم ..

وختاماً لسيادتكم شكرنا وتقديرنا

شيخ الأزهر
محمد سيد طنطاوى

* * *

فأين هى الحقيقة بين هذا الكم الهائل من التناقضات ؟ إن أولياء أمور الطلبة والطالبات يشكون من إلغاء « تحفيظ القرآن » فى جامعة الأزهر .. فهل حدث هذا أم لم يحدث ؟ لقد جاء رد شيخ الأزهر خاليًا من الإجابة على هذا السؤال ، أو هذه النقطة ، لأن الذى قاله أولياء أمور الطلبة حدث فعلاً .. وتم إلغاء « تحفيظ القرآن » فى جامعة « القرآن » المعروفة باسم جامعة الأزهر !!

فقد جاء من بين قرارات المجلس الأعلى للأزهر الجلسة رقم (١١٤)

والمنعقدة فى يوم الأحد ٣٠ من شهر جمادى الأولى ١٤١٧هـ الموافق ١٣من أكتوبر ١٩٩٦م ، وفى الفقره (ب) من القرار السابع ما يلى بالنص وبالحرف :

« .. يفوض فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر فى اقتراح تعديل عدد ساعات المواد الدراسية بما يتلاءم مع نظام الفصلين ، مع مراعاة أن تنتهى المادة فى فصل دراسى واحد ، ولا تمتد إلى فصلين .. وألا يخصص أى عدد من الساعات لمادة القرآن الكريم ، وأن يكون الامتحان فيها فى الفصل الدراسى الثانى .. وإذا رسب الطالب يعمل له امتحان دور ثان فى موعده تحدده الجامعة » !!

هذا القرار لم يشر إليه رد الإمام الأكبر .. لأن حفظ القرآن وتحفيظه يتم فى المراحل التعليمية الثلاث قبل الالتحاق بجامعة الأزهر .. ومن ثم فلا حاجة إلى « تحفيظه » مرة أخرى فى جامعة الأزهر !

هذه هى الحقيقة المرة التى تغاضى عنها الشيخ الإمام فى رده على أولياء أمور الطلبة ، وفى رسالته إلى الأستاذ ثروت أباظة !

* * *

يقول المرحوم الدكتور الشيخ عبدالجليل شلبى الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية فى مقال كتبه فى صحيفة الأخبار قبل سنوات :

طلاب الأزهر الآن ، وفى كل مراحله غرباء عن اللغة العربية .. عن العلوم التى تستمد من القرآن ، وهذه حقائق يعرفها الناس جميعاً ولا ينكرها أحد .. فطلاب الأزهر من سنيه الأولى إلى آخر مرحلة عليا فيه لا يحفظون القرآن فكيف يكونون دعاة للإسلام وهم لا يعرفون دستور الإسلام ؟!

وطلاب الأزهر الآن لا قدرة لهم على إقامة ألسنتهم بالعربية الفصحى ..

فكيف يفهم نصوص الشريعة من لا يفقه العربية ؟!

كان فخر الأزهريين فيما مضى أنهم يعرفون النحو العربى وأوجه تخريج الكلام بما لا يجاريهم فيه أحد من معاهد اللغة الأخرى .. ويعرفون من أحكام الشريعة وطرق استنباطها بما لايوازيهم فيه أى دارس فى معهد آخر .. والآن .. لا لغة .. ولا فقه .. فبأى كيان يعيش الأزهر ؟!

لقد أراد أحد الوزراء المخلصين من أبناء الأزهر الحفاظ على القرآن فأمر أن يؤدى الطلاب المستجدون امتحاناً تحريرياً فيه .. غير أن مدرسى المعاهد كانوا أكثر ذكاء فأملوا على الطلاب أجوبة الامتحان .. وكتبوا لهم على السبورة إجابة كل سؤال [1] !!

والذى أود أن أكرره وأنا مؤمن به أن مصر كما تقوم على نهر النيل فى حياتها المادية .. تقوم على الأزهر فى حياتها الأدبية .. وهى سيدة العالم العربى والإسلامى بهذا الأزهر .. إليه تعشو أبصار المسلمين ، وتنصت أسماعهم وتصغى قلوبهم ، وخريج الأزهر فى كل بلد هو إمام المسلمين ورائدهم ، يطمئنون إلى فتواه ويتخذونه مثلًا فى السلوك وحجة فى الرأى .. وقد بدأ الأزهر يفقد هذه المكانة وبدأت مصر أيضاً تفقد كنزًا من أثمن الكنوز فى حياتها .

إنى لا أدعو الأزهريين وحدهم إلى تدارك الأزهر ، فقد فرض عليهم هذا الوضع فرضًا ، ولكنى أدعو كل من يعنيه شأن مصر وشأن إصلاحها شعباً وحكومة .. أفرادًا وجماعات .. إلى عمل ما ينقذ به هذا المعهد العريق وتنقذ به مصر .

إن الأزهر ومعه سمعة مصر ومكانتها الأدبية بين العالم على حافة هاوية

---

(١) وهذا الذى قاله الشيخ عبد الجليل صحيح .. غير أن هناك من وسائل الغش ما هو أخطر .. ولا يطاوعنى القلم فى تسجيل هذه الوسائل التى لا تعقل ولا تتصور !!

توشك أن تتردى فيها .. ثم لا قيامة لها بعد ذلك .. فإلى أين مصير الأزهر ومصيرنا معه إذا لم نسرع بتداركه ؟!!

قد لا تكون هذه صورة عامة .. ولكنها وفى - أحسن الفروض - مقدمة لكارثة قادمة .. وأنه لفرض دينى ووطنى أن يتقدم الغيورون للإسهام فى منع هذه الكارثة .. وفى انتشال الأزهر من محنته قبل أن يتحول إلى جثة هامدة !!

« ... وعندما تكون هناك مشكلة فى العثور على (مفتى) فمن حقنا أن نسال : أين أجيال فقهائنا ؟!

ليست مشكلتنا فى شغل الوظيفة أو فراغها ، ولكن الذى يعنينا فى الأمر هو مغزى تعذر العثور على شخص مؤهل ممن دون الستين ، يستطيع أن يملأها ، ويكون فى حجم المسئولية وما ترمز إليه .

ونقول دون الستين لأن المفتى - لا تعجب - يعتبر فى تصنيف الوظائف موظفًا عاديًا ، يحال إلى الاستيداع فى تلك السن !!

مشكلة تعذر العثور على شخص له مواصفات المفتى فى بلد الأزهر إعلان محزن ، لا تنقصه الدلالة على مدى الشح فى أجيال الفقهاء الذى بتنا نعانى منه .. وإذ يحسب هذا الإحجام لصالح جهة القرار التى تعرف قدر الوظيفة وتسعى لأن تشغلها بمن هو جدير بها ، إلا أن الأمر يحسب على الأجيال الجديدة من فقهائنا ومؤسساتهم التعليمية التى لم تستطع أن تفرز نماذج قادرة على تحمل مثل تلك المسئولية .

هذا الشح يلحظه كل من أتيح له أن يقترب من تلك الدائرة أو يحتك بأطرافها .. وإذا كانت مأساة الرسائل الجامعية - القاعدة دعك من الاستثناء - مستورة وغير منظورة ، إلا أن بعض الأبحاث التى تقدم إلى المؤتمرات الإسلامية تفضح المستور ، وتفاجئ الجميع بفقرها البالغ ، ليس فى الفكر

فقط ، ولكن فى اللغة وقواعد النحو والصرف أيضاً ، وكم دارينا وجوهنا خجلاً ونحن نستمع إلى أبحاث هؤلاء وتعقيباتهم فى عديد من المؤتمرات والندوات .. وفى واحدة من تلك الملتقيات ، وكنا جلوساً نستمع إلى أحدهم همس فى أذنى أحد فقهائنا المخضرمين قائلا : تلك بضاعة عصر الانفتاح الأزهرى [1] !!

وكم أسفنا عندما كنا نرى أبحاث هؤلاء تنحى بالجملة فى مجالس العلماء ، ومشهورة قصة بحث السيرة النبوية ، الذى أعده واحد ممن شغلوا منصباً رفيعاً ، وتقدم به ليحصل على جائزة مصرية ، ولما اعتبر البحث دون المستوى تقدم به صاحبه إلى من لا يقرؤون العربية فى إحدى الدول الإسلامية وحصل على جائزة من باب المجاملة ، أعلن أنها قدمت للأزهر وليس لمعد البحث .

ولا نريد أن نسترسل فى سرد النماذج ، ولا مصلحة لنا فى ذكر الأسماء ، كما أننا لا نريد أن ندين ونتهم جيلًا أو أجيالاً بأكملها .. لكننا نتحدث عن بعض الظواهر المرضية الملموسة التى تدلل على أن ثمة خللًا ما تسبب فى مثل تلك الأعراض وغيرها مما نمسك عن ذكره من باب الستر والحفاظ على سمعة جامعة الأزهر لا أقل ولا أكثر .

إن مفارقة الفقر فى العلم مع وفرة فرص الدراسة والبحث ، وكثرة الخريجين تحتاج إلى دراسة شجاعة ومسئولة لا تجامل أحدًا ، ولا تقدس تجربة .

ولأول وهلة لا يملك أى مَعْنِيّ بالأمر إلا أن يضع العديد من علامات الاستفهام أمام عملية « تطوير » الأزهر التى مضى ربع قرن على تطبيقها منذ عام ١٩٦١م ، وحق لنا أن نسأل الآن عن نتائجها الإيجابى منها والسلبى [2] .

---

(١) فهمى هويدى - التدين المنقوص - دار الشروق - القاهرة .

(٢) فهمى هويدى - التدين المنقوص - ص ١٥١ ، ١٥٢ - دار الشروق - القاهرة .

حاء فى مجلة « اللواء الإسلامى »[1] تحت عنوان :

الشيخ الشعراوى يرد على ندوة جامعة الأزهر .. نعم جامعة الأزهر .. لا الجامعة الأمريكية .. ولا حتى جامعة « تل أبيب » !!

والندوة التى أثارت هذا الكلام عقدت فى كلية أصول الدين لا فى الكلية الأكليركية .. ولا فى كلية اللاهوت .. قال أحد المتكلمين :

إن القرآن لابد أن يعرض على العقل .. وأنه لا يوجد شىء اسمه حضارة الإسلام !! وأن النصوص الدينية نصوص تاريخية قابلة للتغيير !! وأن الإيمان بالبعث ، وبالدار الآخرة ، وبالجنة وبالنار ليس عليها دليل[2] !!

فهل يخطر ببال مجانين كل أهل الأرض أن يحدث هذا فى مصر .. وفى جامعة الأزهر .. وفى كلية أصول الدين بالذات .. وعلى مرأى ومسمع من مئات الأساتذة والمساعدين والمعيدين .. وعلى مرمى جحر من مقر مشيخة الأزهر !!

والعجيب .. بل المصيبة كما تقول مجلة « اللواء الإسلامى » أن أحدًا لم يرد !!

لم يخطر ببال أحدهم أن يهان الأزهر فى عقر داره !! وأن تهاجم العقيدة فى كلية العقيدة !!

فلما وقعت الواقعة .. لم ينبس أحدهم بكلمة ولاذوا بالصمت الذليل حتى هذه اللحظة .. حتى هذه اللحظة ؟!!

* * *

---

(١) العدد رقم ٤٩٣ - ٢٢ من ذى الحجة ١٤١١ هـ .

(٢) انظر ما هو أعجب من ذلك فى الفصل الخاص عن « رجاء جارودى » .

يقول الأستاذ « أحمد زين » فى تعليقه على هذه المهزلة [1] :

تلقيت من الدكتور عميد كلية أصول الدين بالقاهرة ردًا على ما نشرته فى هذا الباب من ندوة العلمانيين فى الأزهر .. وهى التى نظمها الدكتور ليحقق بها مجدًا دنيوياً ! .. وقد أذهلنى ما كتبه عميد كلية أصول الدين فى رده .. فأول شىء أنه أنكر أن الدكتور زكى نجيب محمود قد قال : إن القرآن يجب أن يعرض على العقل أولاً .. ولم أكن أعرف أن الدكتور زكى نجيب محمود قد أعطى توكيلًا للدكتور ليقول ما قال .. وينفى ما لم يقل .. فالدكتور زكى نجيب محمود له قلم .. وهو يستطيع - إن أراد - أن يرسل ما يشاء حول ما قاله فى هذه الندوة .. ولكنه لم ينف أنه قال هذا الكلام ولم يكذب .. ولو أنه نفى لكنا أول من نشر له .. وأول من استقبل هذا استقبالًا حسناً .

ولكن الذى خرج علينا هو الدكتور ليقول : إن الدكتور زكى نجيب محمود قد عدل عن كثير من آرائه التى قالها .. ولسنا ندرى لماذا لم يقل الدكتور زكى نفسه هذا الكلام .. وخصوصاً أنها مسألة تخصه .. وهو قادر كما قلت على الرد .

ثم ينطلق الدكتور ويقول : إنه أقام هذه الندوة ليتناقش فيها أساتذة الفلسفة فى مختلف التيارات الفكرية .. ولسنا ندرى أى تيارات فكرية تلك التى تعرض .. ثم لا يرد عليها الرد الكافى بينما عميد كلية أصول الدين يحاول أن يدافع عما قيل فى هذه الندوة وأصحاب هذه الآراء أنفسهم لم ينفوا أنهم قالوا !!

ثم يقول الدكتور فى رده : أما رأى الدكتور حسن حنفى [2] رئيس

---

(١) جريدة الأخبار .

(٢) انظر فى هذا أيضًا الفصل الخاص بتكفير رجاء جارودى .

قسم الفلسفة بجامعة القاهرة فى أنه رفض النطق بالشهادتين .. يقول : إنها محاولة لشق الصدر .. ورسول الله ﷺ قال : « **هلا شققت عن قلبه** » ؟ ونحن نقول للدكتور : لقد خانك التعبير والاستشهاد برسول الله ﷺ .. فرسول الله ﷺ قال هذا الكلام لأن أحد الصحابة فى أحد الغزوات قتل أحد المشركين بعد أن نطق بالشهادتين .. فقال له الرسول ﷺ : أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله ؟ قال لقد قالها لينجو من القتل . فقال له : هلا شققت عن قلبه ؟

فأين هذه من هذه .. وكيف تريدون أن نشق عن صدره .. بينما هو أعلن بصراحة أنه يرفض النطق بالشهادتين .. وماذا يمكن أن نعرف لو شققنا عن صدره .. إن هذا المثل كان يمكن أن يضرب لو أنه نطق بالشهادتين .. ثم قلنا : هذا رياء .. ولكن إنساناً رفض أن ينطق بالشهادتين .. فلماذا تريد منا أن نشق صدره .

إن الدكتور .. للأسف الشديد بعد أن أحس أنه وقع فى « مطب » لهذا الإعداد الردىء لهذه الندوة أراد أن يدافع عن أولئك الذين تكلموا كلاماً لا يتفق مع جلال القرآن ، وجلال الإسلام .. بينما هم غير راغبين فى أن يدافعوا عن أنفسهم .. أو أن ينفوا أنهم قالوا هذا الكلام .. ولكن الدكتور أخذته الحمية ليقول : إن أستاذاً رفض النطق بالشهادتين لأنهم حاولوا شق صدره .. وفرق كبير بين الذى حدث فى أيام رسول الله ﷺ وبين ما يقول الدكتور .. فشق الصدر هنا لا لزوم له .. لأن ما أعلنه الدكتور حنفى هو ما يبطنه !!

* * *

ويقول الدكتور حسن رجب فى (يوميات الأخبار) الصادرة فى الخامس من شهر نوفمبر عام ١٩٩٠م :

الظاهرة العامة فى أكثر ما يأتى للصحف من كتابات هى تدهور مستوى اللغة بشكل فادح .. سواء أكان الكاتب من العامة .. أم من الصفوة المثقفة .

ولكن كاتباً لم يستفزنى مثل كاتب مقال سياسى .. أرفق بمقاله صورة ملونة أنيقة حسبتها فى البداية لنجم سينمائى .. لولا اللحية والعمامة .. ولولا أن صاحبها وقع مقاله (بالشيخ الدكتور .. بكلية أصول الدين والدعوة) !! وأعفونى من ذكر الاسم أولاً ، لأنه طويل ، وثانياً لأن الهدف من نشر هذا الكلام ليس تشهيرًا بأحد .. وإنما طرح لقضية عامة أظنها فى رأيى مؤشرًا على ما يتهدد ثقافة هذا الجيل من مخاطر .

ولا أريد أن أتطرق هنا إلى سذاجة الأسلوب ، فالأسلوب مسألة تخضع للذوق .. ولكن ما روعنى هو كَمُّ الأخطاء اللغوية (بضم اللام وليس بفتحها) كما يتفضل علينا بعض المذيعين والمذيعات حمانا الله من لغوهم (بفتح اللام) التى لو وقع فيها طالب من طلبتى فى مادة التحرير الصحفى بجامعة الإسكندرية أو حتى بالجامعة الأمريكية لكان مآله الرسوب بجدارة .. ولو وقعت فيها ابنتى الصغرى هند (السنة الثانية الثانوية) لحرمتها من المصروف شهرًا !!

* * *

يكتب الشيخ : « ويكون السعد **ذل** .. ويكون الكفار **والمؤمنين أحباب** .. **وأن يكون النبى وأبا جهل صحاب** .. ويرتفع الخس الوضيع يوم يكون البيت **قبر** .. والحلو صبر .. والشهد مر .. ويكون السم **دواء** .. **ويكون القزم حكيم** .. فأين قتلة الحسين .. يا منبع كل شين .. يأهل الغدر ومنبع الشر .. إلخ . بل باع كل شيء وزاد الأمر **طين** – يا خيبتك فى العالمين [1] !!

---

(١) نحن نسجل النص حرفياً كما ورد .

وبعد أن انتهى من شتائمه إلى كل من يراه مؤيدًا لصدام ومن بينهم « البشير » مدعى التحرير ، صاحب الكم الطويل ومقطف الرأس الجميل ؟! نراه يتجه إلى المسئولين عندنا يطلب لهم من الله السلامة ويقول : إن الله شاهدى من اشفاقى على صحتكم لا أنام !!

وهذا قليل من كثير مما ورد فى مقاله القصير .. الذى أطار من عينى أنا أيضاً النوم ! .. فهو يمثل بالقطع خطرًا داهماً على الأمن الثقافى والدينى . فى البداية وددت لو أبلغ أمره إلى الشرطة ولكن الشرطة لديها هذه الأيام ما يشغلها وزيادة ..

ثم فكرت أن أبعث بمقاله إلى الأزهر .. ولكنى خشيت أن تعتبر المسألة بلاغًا ضد الرجل .. وليس هذا قصدى .. حتى وإن كنت فى نفسى أرى أنه لا يستحق الدكتوراه التى حصل عليها من الأزهر ، ولا يجوز أن يُطْلَقَ على جموع الطلاب فى كليته يزيدهم جهلاً على جهل .. فليست المشكلة فردية .. ولن يحلها افتقاد هذا الدكتور بالذات من عالم التدريس .. فالمصيبة عامة ، والرجل ليس فريد عصره ..

ثم كيف أشكو أزهريًا إلى الأزهر ؟! كأنما أشكوه إلى نفسه .. أفليس هو نتاج هذه الحلقة الشريرة من عدم الكفاءة والتهاون والتواطؤ .. إذا كان المسئولون بالأزهر يعلمون المستوى الذى انحدر إليه التعليم عندهم .. فتلك مصيبة .. وإن كانوا لا يعلمون فالمصيبة أعظم !!

إلى هؤلاء الذين بحت حناجرهم من التحذير من الخطر الخارجى ممثلاً فى مدارس أجنبية للأطفال .. تغزو كل شارع وحى .. والناس تتدافع إليها لا تردعهم مصاريف دراسة أرقامها فلكية وتدفع بالدولار والاسترلينى بعد أن انهار التعليم الرسمى الكامل ، باعتبارها غزوا استعماريًا من القاع ! .. وممثلاً فى جامعات جديدة مثل الجامعة الأفريقية بالإسكندرية باعتبارها غزوًا من القمة ..

إلى هؤلاء وأولئك أقول : كل ما تقولون لا يخيفنى .. فقد صمدت الحضارة واللغة والعلوم العربية والإسلامية أمام كل الثقافات الوافدة (المستوردة) .. بل واستفادت منها ، لأنها كانت قوية ومتينة فى داخلنا.

المصيبة أن أسوارنا قد تساقطت واحدًا بعد الآخر .. وكنت أظن الأزهر هو سدنا العالى والأخير أمام موجات التغريب والعجمة وضياع اللغة والدين .. ولكن يبدو أننا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - وبعد أن صار هذا هو حال الأزهر سنشرب جميعاً .. وقريباً جدًا من البحر المالح !!

* * *

ما العمل ؟؟

أجل .. ما العمل ؟ .. وهل كان قانون تطوير الأزهر هو السبب فى هذا المرض .. وفى وجود هذا الخلل ؟

والجواب .. لا .. ونعم ..!

أما كيف يجتمع النقيضان فى شيء واحد :

فتعالوا نرجع إلى الوراء لنرى ماذا كان يدرس فى الكليات والمعاهد .. أمامى الآن نسخة من المرسوم الملكى رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م والقوانين الجمهورية المعدلة له إلى غاية القرار الجمهورى رقم ١٥٢٥ لسنة ١٩٥٩م بشان إعادة تنظيم الجامع الأزهر والمناهج التى تدرس فيه .. أى[قبل صدور القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م ، والمعروف بقانون التطوير :

* * *

أولا : فى كلية الشريعة

مادة (٥٠) : تمنح بناء على طلب كلية الشريعة وموافقة المجلس الأعلى الشهادات الآتية :

(١) شهادة الدراسة العالية فى الشريعة .

(٢) شهادة العالمية مع إجازة القضاء الشرعى .

(٣) شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول .

مادة (٥١) : المواد التى تدرس فى الكلية للحصول على شهادة الدارسة العالية فى الشريعة هى :

التفسير ، الحديث ، أصول الفقه ، المنطق ، الفلسفة ، اللغة العربية (النحو والصرف والبلاغة والأدب) ، مصطلح الحديث ورجال الحديث ، الفقه مع حكمة التشريع والميراث ، تاريخ الفقه الإسلامى ، الفقه المقارن بين المذاهب الإسلامية والميراث المقارن (المدخل للعلوم القانونية ، الاقتصاد السياسى ، القانون الجنائى ، القانون المدنى ، القانون التجارى ، القانون الدولى العام) اللغة الإنجليزية ، التربية العسكرية .

مادة (٥٢) : يشترط لقبول الطالب فى قسم إجازة القضاء الشرعى أن يكون حاصلًا على شهادة الدراسة العالية فى الشريعة .

مادة (٥٣) : المواد التى تدرس فى الكلية بقسم إجازة القضاء الشرعى هى الآتية :

التوثيقات الشرعية ، إجراءات وتمرينات قضائية وقضايا ذات مبادئ ، السياسة الشرعية ، القانون الدول الخاص ، تاريخ القضاء والقضاة فى الإسلام ، القانون الدستورى ، الاقتصاد السياسى ، محاضرات فى الطب الشرعى ، محاضرات فى

الفلك ، قانون الأحوال الشخصية للمسلمين وغيرهم والوقف ، مواد القانون الآتية :

(المرافعات وتتضمن المرافعات الشرعية وقانون المرافعات والتنفيذ ، القانون الإدارى ، قانون الإجراءات الجنائية ، القانون الدولى العام ، علم المالية والتشريع المالى) لغة أجنبية اختيارية وهى التى درست فى الكلية ، التربية العسكرية .

مادة (٥٤) : يشترط لقبول الطالب فى قسم التخصص للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول أن يكون حاصلاً على شهادة الدراسة العالية فى الشريعة .

مادة (٥٥) : المواد التى يتخصص فيها الطالب للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول هى :

الأصول ، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب ، تاريخ التشريع الإسلامى .

* * *

مادة (٦٠) : معدلة بالقانون رقم ٦١ لسنة ١٩٣٨ :

يشترط لقبول الطالب فى قسم التخصص للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى التوحيد والفلسفة أو فى التاريخ الإسلامى أن يكون حاصلاً على شهادة الدراسة العالية فى أصول الدين .

ويشترط لقبول الطالب فى هذا القسم للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف أن يكون حاصلًا على شهادة الدراسة العالية فى أصول الدين أو فى الشريعة .

مادة (٦١) : المواد التى يتخصص فيها الطالب للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ هى :

(أ) فى قسم التوحيد والفلسفة : التوحيد ، المنطق ، الفلسفة ، الأخلاق .

(ب) فى قسم علوم القرآن الكريم والحديث : التفسير ، علوم القرآن الكريم ، الحديث وعلومه .

(ج) فى قسم التاريخ الإسلامى : التاريخ الإسلامى وما يلزمه من الدراسات .

* * *

ثالثاً : فى كلية اللغة العربية

مادة (٦٢) : تمنح بناء على طلب كلية اللغة العربية وموافقة المجلس الأعلى الشهادات الآتية :

(١) شهادة الدراسة العالية فى اللغة العربية .

(٢) شهادة العالمية مع الإجازة فى التدريس .

(٣) شهادة العالمية من درجة أستاذ فى النحو .

(٤) شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة .

مادة (٦٣) : معدلة بالقانون رقم ١٦٤ لسنة ١٩٥٥ :

المواد التى تدرس فى الكلية للحصول على شهادة الدراسة العالية فى اللغة العربية هى الآتية :

النحو ، الصرف ، فقه اللغة ، اصول الفقه ، الإنشاء ، علوم البلاغة (البيان والمعانى والبديع) الآداب العربية وتاريخها ، التفسير ، الحديث ، المنطق ، الفلسفة ، علم الاجتماع ، التاريخ الإسلامى ، الفقه الإسلامى ، الجغرافيا ، اللغة الشرقية ، الخط ، المطالعة ، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) وتدرس بصفة إجبارية ، التربية العسكرية .

مادة (٦٤) : يشترط لقبول الطالب فى قسم إجازة التدريس أن يكون حاصلاً على شهادة الدراسة العالية من إحدى الكليات .

مادة (٦٥) : معدلة بالقانون رقم ٦١ لسنة ١٩٣٨ ورقم ١٦٤ لسنة ١٩٥٦ :

المواد التى تدرس فى الكلية بقسم إجازة التدريس تنقسم إلى قسمين :

الأول : مواد إجبارية وتشمل علم النفس التعليمى ، التربية التعليمية (العملية) ، أصول التربية والطرق العامة والتنظيم المدرسى ونظام التعليم المصرى ، التمرين على التدريس : طرق التدريس الخاصة للدين وفروع اللغة العربية ، تدبير الصحة المدرسية ، اللغة العربية ، تجويد الخط العربى ، التربية العسكرية .

الثانى : مواد اختيارية وتشمل الرسم ، التربية البدنية ، اللغة الأجنبية التى درست فى الكلية .

مادة (٦٦) : يشترط لقبول الطالب فى قسم التخصص للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى النحو أو فى البلاغة أو أن يكون حاصلاً على شهادة الدراسة العالية فى اللغة العربية .

مادة (٦٧) : المواد التى يتخصص فيها الطالب للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ هى :

(أ) **فى قسم النحو** : النحو ، الصرف ، الوضع ، فقه اللغة ، العروض والقافية ، وتدرس فى هذا القسم مبادئ اللغتين العبرية والسريانية !

(ب) **فى قسم البلاغة** : علوم البلاغة ، الأدب العربى وتاريخه ، العروض والقافية ، وتدرس فى هذا القسم مبادئ اللغتين العبرية والسريانية .

* * *

رابعًا : فى المعاهد الدينية

مادة (٩٣) : الغرض من المعاهد الدينية تزويد الطلاب بثقافة عامة فى الدين الإسلامى واللغة العربية ، وإعدادهم للدخول فى كليات الجامع الأزهر .

مادة (٩٤) : معدلة بالقانون رقم ٢ لسنة ١٩٥٤ ورقم ٢٨٣ لسنة ١٩٥٦ :

يكون لكل معهد شيخ من العلماء يديره ، ويكون تعيينه بقرار من رئيس الجمهورية ، ويكون لكل معهد فيه التعليم الابتدائى والثانوى وكيل من العلماء يعاون شيخه ، ويقوم مقامه حال غيابه ، ويعين بقرار من المجلس الأعلى .

مادة (٩٥) : يكون التعليم فى المعاهد على مرحلتين :

قسم التعليم الابتدائى : ومدته أربع سنوات ، وقسم التعليم الثانوى ومدته خمس سنوات .

مادة (٩٦) : المواد التى تدرس فى القسم الابتدائى هى :

علوم دينية : الفقه ، التوحيد ، السيرة النبوية وسيرة كبار الصحابة ، تجويد القرآن الكريم .

علوم اللغة العربية : الإنشاء ، النحو ، الصرف ، الإملاء ، المطالعة ، والمحفوظات .

علوم أخرى : التاريخ ، الجغرافيا ، الرياضة ، تدبير الصحة ، الرسم ، الخط ، القراءات للمكفوفين .

مادة (٩٧) : معدلة بالقانون رقم ١٦٤ لسنة ١٩٥٥ :

المواد التى تدرس فى القسم الثانوى هى :

علوم دينية : الفقه ، التفسير ، الحديث متناً ومصطلحاً ، التوحيد .

علوم اللغة العربية : النحو ، الصرف ، البلاغة (البيان والمعانى والبديع) ، الإنشاء ، أدب اللغة ، العروض والقافية ، المطالعة والمحفوظات .

علوم أخرى : المنطق وأدب البحث ، الطبيعة ، الكيمياء ، علوم الحياة ، التاريخ ، الجغرافيا ، التربية الوطنية ، اللغة الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) ، التربية العسكرية .

مادة (٩٨) : معدلة بالقانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٤١ :

يحدد المجلس الأعلى فى كل عام عدد الطلاب الذين يقبلون فى السنة الأولى من القسم الابتدائى بالمعاهد الدينية الملحقة بالأزهر والمعاهد الدينية الحرة التى تحت إشرافه .

مادة (٩٩) : يشترط لقبول الطالب فى السنة الأولى من القسم الابتدائى :

أولاً : ألا تقل سنه عن اثنتى عشرة سنة ولا تزيد على ست عشرة سنة .

ثانياً : أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله ، ويؤدى امتحاناً يثبت به ذلك .

ثالثاً : أن يؤدى بنجاح امتحاناً فى المطالعة والإملاء والخط والحساب طبقاً لما يقرر فى اللائحة الداخلية .

رابعاً : أن ينجح فى الكشف الطبى طبقاً للشروط التى توضع لذلك فى اللائحة الداخلية .

مادة (١٠٠) : يشترط لقبول الطالب فى السنة الأولى من القسم الثانوى :

أولاً : أن يكون حائزاً لشهادة الدراسة الابتدائية .

ثانياً : أن ينجح فى الكشف الطبى طبقاً للشروط التى توضع لذلك فى اللائحة الداخلية .

* * *

فالأزهر لم يكن بمعزل عن الحياة العامة ، ولا عن دراسة العلوم الحديثة .. فقد درسنا فى المرحلتين الابتدائية والثانوية معظم ما كان يدرس فى وزارة المعارف .. بل كان من بين أبناء هذه المعاهد من نبغ وتفوق فى هذه العلوم على أبناء المدارس .

لم يكن الفارق واسعاً إلا بقدر ما تفرضه ضرورة التخصص ، وبقدر ما تتطلبه الحاجة لإعداد عالم دينى ولغوى متمكن .

فكيف غابت عن واضعى قانون التطوير كل هذه الحقائق ؟

بل كيف رضى الأزهريون بالتفريط فى أعز ما وهبهم الخالق ؟!!

وقبل أن تتشعب بنا الطرق ويختلط فى أذهاننا الباطل بالحق وقبل أن يعزو البعض هذا الضعف أو هذا الخلل إلى إنشاء كليات حديثة كالهندسة ، والزراعة ، الطب .. أريد أن أؤكد :

إن هذه بضاعتنا ردت إلينا كما يقول المثل ، وأن الأزهر قديماً لم يكن بمنأى عن دراسة الهندسة والطب والفلك ، وأن الضعف والخلل لا علاقة له أبدًا - بعودة - هذه الكليات إلى جامعة الأزهر !!

الأزهر - قبل التطوير - كان منحصرًا فى كليات ثلاث هى : الشريعة ، اصول الدين ، واللغة .. هذه الكليات لا تزال قائمة .. بل أُنشئت إلى جوارها

كليات أخرى جديدة مشابهة .. بل ضوعف عدد هذه الكليات فى فروع جامعة الأزهر المختلفة .

العلة بدأت من (كتاتيب القرية) التى ألغيت !!

وبشروط الالتحاق التى أهدرت !!

وبمناهج المعاهد التى مسخت !!

وبمراجع الكليات التى اختصرت وشوهت !!

وبأقسام (التخصص) التى قتلت وأعدمت !!

* * *

عد .. مرة ثانية إلى قراءة ما سبق من مناهج .. ثم عد مرة ثالثة إلى قراءة ما يدرس الآن فى الكليات والمعاهد .. ثم قارن مرة رابعة بين أستاذ الأمس وأستاذ اليوم !!

بل اذهب إلى إدارة الأزهر .. وسائل جدرانها المتشحة بالحزن ! واليأس !! وتاريخها الذى لم يعد له خبر ولا حس !!

* * *

فى الأزهر الآن ستة آلاف معهد وستون كلية !

كثرة كغثاء السيل .. وماذا تنتظر من « معهد » ناظره أو مدرسه من حملة دبلوم الزراعة أو الصنايع !!

وماذا تنتظر من كلية أقيمت على غير أساس من الحاجة ، أو الواقع !!

وفى (قرية) يفتقد أهلها ضرورات الحياة للعيش فى مجتمع صالح !!

* * *

فى كل بلاد العالم شىء اسمه (دراسة الجدوى) .. أى لا يقوم مشروع إلا بعد دراسة الحاجة إليه ، والفائدة المرجوة منه ، والأثر الذى يترتب عليه .. وأؤكد أنه لا يوجد شىء مثل هذه الدراسة فى جميع مؤسسات الأزهر .

العاطفة .. وحدها هى التى تقرر !!

لا دراسة لشىء اسمه (الجدوى) !!

ولا اهتمام بشىء اسمه (الضرورة) !!

ولا (رؤية) ثاقبة وبعيدة لما يعود على العقيدة أو الوطن أو الأزهر من فائدة !!

ومن هنا بدأ الوهن .. واشتدت العلة والمرض .. وآذن الغيورون على الأزهر بقرب وقوع الخطر !!

* * *

فى عهد الإمام الراحل الشيخ جاد الحق .. تقدم بعض الغيورين على الأزهر (بمذكرة) يطلبون فيها المبادرة إلى علاج الأزهر والإسراع إلى علاج المرض قبل أن يستفحل ، وقد طرح هؤلاء الغيورون فى هذه المذكرة تصوراتهم للعلاج .. وفيما يلى أهم ما جاء فى هذه المذكرة من آراء واقتراحات :

أولاً : تحويل جميع المعاهد الأزهرية فى « القرى » إلى « كتاتيب » متطورة مع مراعاة ما كان يدرس فى هذه الكتاتيب من حفظ القرآن كله .. واعتبار هذه « الكتاتيب » مرحلة أولى أى مرحلة ابتدائية من مراحل التعليم فى الأزهر .

ثانياً : قصر إنشاء المعاهد الأزهرية الإعدادية فى المراكز والمدن على أن يكون

فى كل مركز أو مدينة معهدان .. أحدهما للبنين والآخر للبنات مع توفير أسباب الرعاية الكاملة من إعاشة وإقامة لطلاب وطالبات القرى البعيدة .

ثالثاً : قصر إنشاء المعاهد الثانوية وما يعادلها فى العواصم الإقليمية مع مراعاة الشروط السابقة فى إنشاء المعاهد الإعدادية .

رابعاً : الحد من إنشاء الكليات الإقليمية والاكتفاء بإنشاء مثل هذه الكليات فى العواصم الهامة كمدينة الإسكندرية وأسيوط ، وطنطا مع التوسع فى إنشاء المدن الجامعية وتوفير أسباب الرعاية الشاملة لساكنى هذه المدن من الطالبات والطلبة .

خامساً : العودة إلى المناهج القديمة فى الكليات والمعاهد .. باستثناء ما تقتضيه العملية التعليمية من إضافة بعض المواد التى تقتضيها الحاجة والضرورة .

سادساً : الاستعانة بالعلماء القدامى ممن انتهت خدمتهم القانونية وفتح المجال أمام خريجى الأزهر من العاملين فى وزارة التربية للانتقال إلى الأزهر بدرجاتهم المالية ، والاستغناء تدريجياً عمَّنْ لا يحملون مؤهلات عليا .. أو استبدالهم بغيرهم من العاملين فى الحكومة .

تلك هى خلاصة هذه الآراء والمقترحات وهى آراء واقتراحات قابلة للدراسة والحوار .

* * *

لهذا .. لابد من الدعوة إلى عقد مؤتمر .. مؤتمر يشترك فيه كل الغيورين على مصر وعلى الأزهر .. من مصر .. ومن خارج مصر .. فالأزهر للأمة الإسلامية كلها وليس لمصر وحدها .

أجل .. لابد من عقد هذا المؤتمر للنظر فى حال الأزهر .. وفيما أدى إليه قانون التطوير من قوة أو ضعف ..

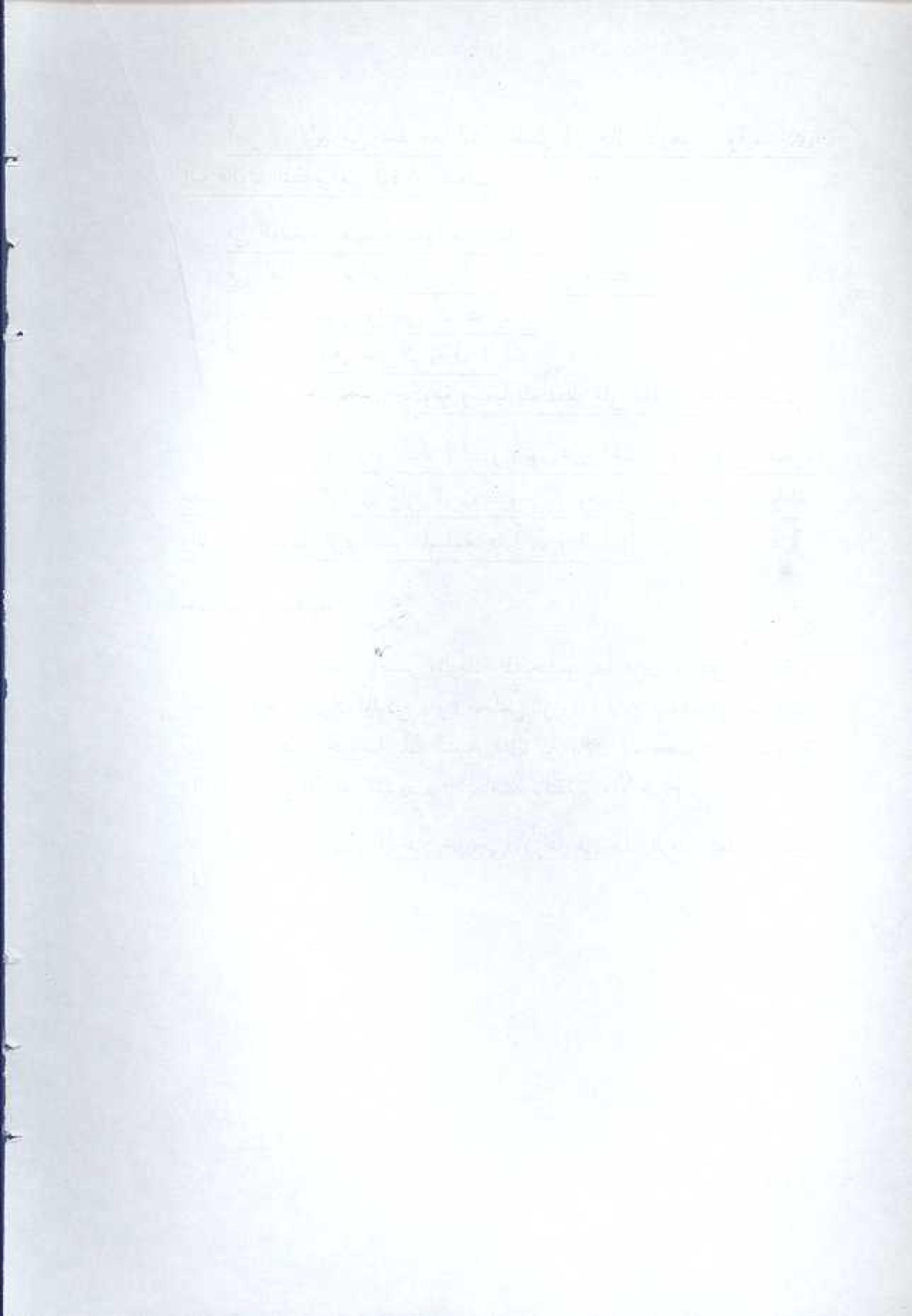
فى العملية التعليمية كلها منذ البدء .
فى العلل والأمراض التى بدأت تستفحل وتشتد .
إنه لفرض دينى ووطنى أن نتحرك .
أن ننقذ الأزهر قبل أن يغرق !!
أن نقف جميعاً .. حكومة وشعباً للحفاظ على أغلى وأعز ما نملك !

فالأزهر هو (روح الحياة) .. و (نور عين الحقيقة) .. وهو مفخرة مصر وحامل لوائها .. ولن تموت الروح .. وسيبقى نور الحقيقة ساطعاً وأبدًا .. وسيظل لواء مصر المسلمة عالياً .. ودائماً !!

حاشية تاريخية :

كان فى سالف العصر والزمان إذا حصل « أزهرى » على شهادة « العالمية » قام « الديوان الملكى » و « مجلس الوزراء » بإبلاغ مديرى المديريات فى عموم مصر المحروسة بأن الشيخ فلاناً بن فلان قد حصل على شهادة « العالمية » من الأزهر الشريف - لمعاملته بالتقدير والاحترام !

ترى ماذا كان يقال عن خريجى الأزهر فى هذا الزمان بعد أن تغير الحال ؟!

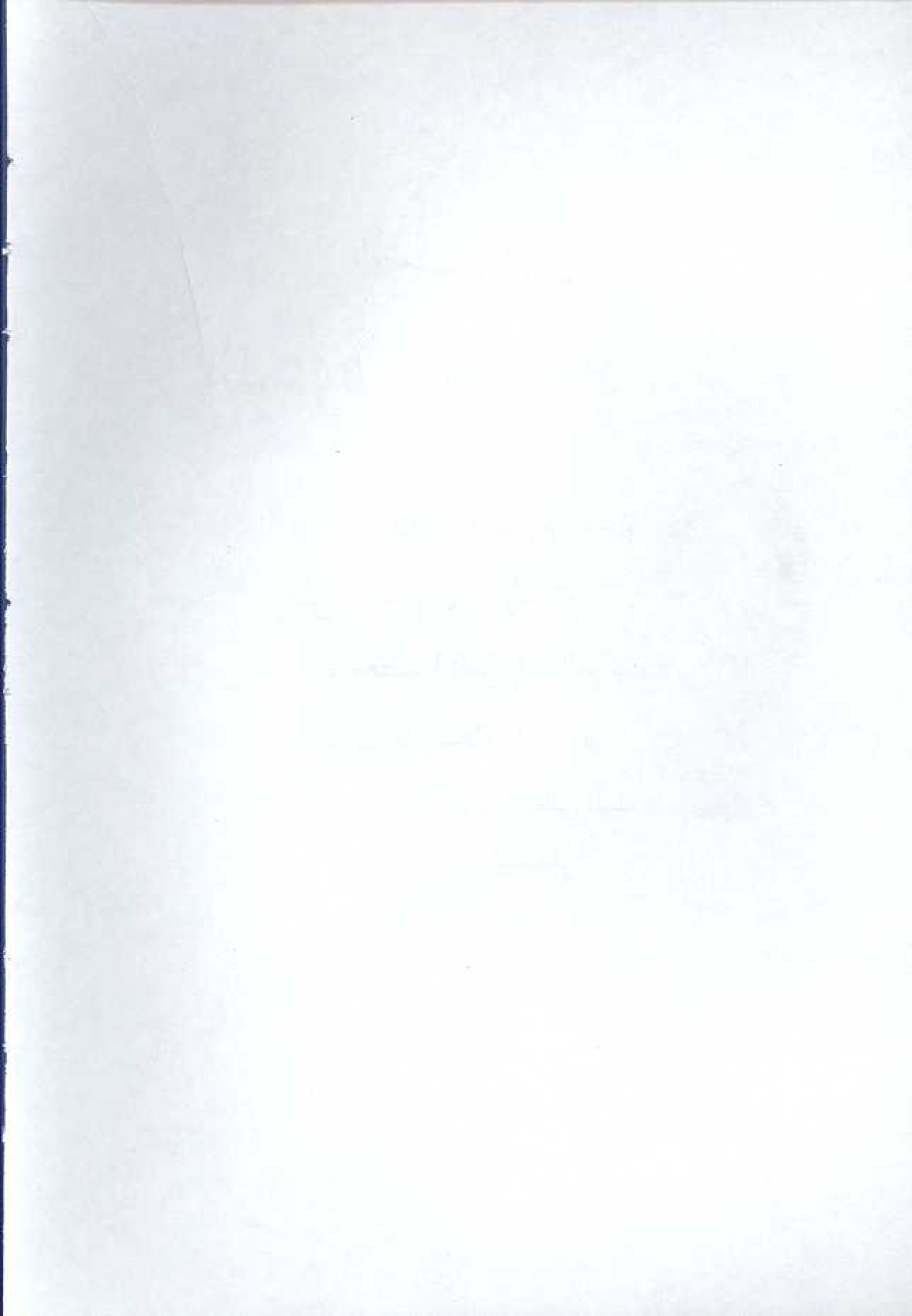


الفصل الرابع

الدعوة .. والدعاة .. !

لو كان للإسلام دعاة
على مستوى الإسلام ..
لدان معظم الناس فى الغرب
والشرق بالإسلام !!!

اللورد البريطانى المسلم
هيــدلى



المسئولون فى الأزهر يعلنون من وقت لآخر عن وجود خمسة آلاف داعية ومبعوث منتشرين فى أنحاء الأرض .. وفى قارات الدنيا الخمس أو الست ! .

وفى هذا الكلام .. شطط .. وافتراء على الحقيقة التى لا صلة لها بهذا الرقم أو هذا العدد !.

إنه كلام يقال للدعاية .. والدعاية غير (الدعوة) .. الدعوة حقيقة مجردة .. أما (الدعاية) فأقوال مرسلة .. وأخبار وحكايات غير موثقة ولا مؤكدة !.

العدد الحقيقى ثلاثة آلاف .. وليس خمسة آلاف .. ثلاثة آلاف ما بين مبعوث ومتعاقد .. والمتعاقدون هم الأغلبية العظمى فى هذا الرقم أو هذا العدد وهؤلاء المتعاقدون سافروا إلى البلاد العربية .. لا لنشر الدعوة بل لتحسين أحوالهم البائسة .. والخروج من عنق الزجاجة الذى يعيش فيه معظم موظفى الحكومة !.

أما الباقون فيعملون مدرسين لمبادئ الدين ومبادئ اللغة ، وفى بلاد مسلمة لا تعرف من اللغة العربية كلمة .. وحال هؤلاء كحال من سبقهم .. أى الخروج من النفق المظلم ..! وعقد (هدنة) مع الفقر المدقع !!!.

لا يوجد دعاة ولا دعوة .. وكيف يكون داعية من يذهب إلى قوم لا يعرف لغتهم كما لا يعرفون لغته ؟

وفى بلاد العرب نادرًا ما يسمح لأحد من هؤلاء المتعاقدين بالخطابة ، والويل كل الويل لمن يتعرض لآفات المجتمع .. وعاهاته !!.

* * *

عندما رشحت للعمل فى إحدى « دويلات » الخليج حضر إلى القاهرة وكيل الوزارة المختص للتعاقد .. فجأة اقترب منى شيخ كبير قضى فى الخليج معظم حياته ثم قال لى : يا أستاذ ؟! قلت له : نعم يا مولانا ..!

قال : أراك تتصرف مع وكيل الوزارة بعفوية وبساطة .. ونسيت أنه وكيل الوزارة !!

قلت للشيخ : وماذ تريد أن أفعل يا مولانا ؟!

قال : أريد أن أنصحك فقط . قلت : وبماذا تنصحنى ؟

قال : عندما تسافر إلى هذه الإمارة سترى عجباً !! فحذار أن تتكلم فى شيء من ذلك .. قصدًا .. ولا عرضاً !

قلت : ولماذا نسافر أصلًا إذا كان الكلام محرماً .. والنهى عن الحرام ممنوعاً ؟!

قال : لقد نصحتك .. وأبرأت ذمتى مما سوف تتعرض له فى المستقبل !

إن الشيخ يطالبنى بتوقيع (صك) العبودية .. قبل أن أرحل ..

ومن هذا الحوار يتبين لنا مدى ما وصل إليه الحال بين علماء الأزهر !!

* * *

أما عن المبعوثين فى أوربا وأمريكا .. فالحال أسوأ .. فهم وإن كان عددهم لا يتجاوز أصابع اليد .. فإن معظم جهودهم تنحصر فى الصلاة بالمسجد إذا حضر الوقت .. أو فى الصلاة على ميت مسلم أدركته المنية فى عواصم الغرب !!

إن ملف هؤلاء المبعوثين مليء بالعجب .. كثير منهم ذهب ولم يعد !! ومنهم من اشتغل بالتجارة وشراء الشقق !! ، وآخرون تفرغوا لبناء محطات

تموين السيارات بالنفط !! وفريق رابع اتفق مع دول أخرى سخية الجيب واليد !! أما مصر أو الأزهر فقد خرجا - وإلى الأبد - من القلب !!!

* * *

المركز الإسلامى فى لندن يأتى فى مقدمة المراكز التى كان لمصر فيها نفوذ ، هذا المركز أقامته مصر فى الأصل ، والأرض التى أقيم عليها كانت ملكاً لمصر .. ففى الحرب العالمية الثانية تنازلت مصر لقوات الحلفاء عن قطعة أرض لإقامة كنيسة .. وتنازلت بريطانيا بالمقابل عن قطعة أرض لإقامة مسجد ، وتبرع الملك الراحل فاروق بمبلغ كبير من المال كان ينفق منه على المركز الإسلامى والمسجد.

لم يكن فى بريطانيا فى ذلك الوقت سوى مسجد واحد فى ضاحية « ووكونج » ، ولم يكن المسلمون فى بريطانيا بهذه الكثرة كما هم اليوم [1] .

وحين فكر المسلمون فى توسعة المسجد .. بادرت مصر لتنفيذ هذا المشروع وسافر إلى لندن - من أجل ذلك - السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت لوضع حجر الأساس .. وما كاد المشروع يبدأ حتى ظهر فى الأفق من يرى فى استئثار مصر - بهذا المسجد وهذا المركز - خطرًا .. فكان ما كان مما لم يعد خافيًا ولا سرًا !!!

وقد جرت العادة عندما يسافر رئيس الجمهورية لزيارة بلد فى أوربا وأمريكا أن يكون فى استقباله شيخ بعمامة .. وقس بقلنسوة !!

أما عن القس .. فقد اختير بعناية .. طول .. وعرض .. ومظهر دينى يفرض تقديره واحترامه على أى أحد.

---

(١) فى بريطانيا ٢ مليون مسلم .

أما الآخر الذى هو « نحن » فصورة تشمئز منها النفس .. عمامة فى وسط الرأس !! وجبة ترتفع كثيرًا عن الأرض !! وجلباب يظهر من تحت « الجبة » فى لون كفن ميت كشف عنه فى القبر !!

وشعار معظمهم جميعاً – مبعوثين كانوا أو متعاقدين– هو البقاء حتى الموت .. أو الجهاد الدائم إلى آخر برميل من النفط !!

* * *

فى تقرير أرسل من لندن – قبل خمسة وعشرين عاماً – .. يقول هذا التقرير :

فى كل عام يقام حفل تحضره الملكة يُدعَى إليه ممثلو الأديان فى المملكة المتحدة .. وبداهة .. فلابد أن يكون ممثل كل دين من خيرة علماء هذا الدين وأكثرهم علماً وثقافة ..

حاخامات .. وأساقفة .. وكرادلة .. على أعلى مستوى من العلم والفهم والدراية .

أتدرون من الذى مثل الإسلام فى هذا الحفل الذى تحضره الملكة ؟! ويشترك فيه علماء من كل دين وملة ؟!

اكتموا أنفاسكم وتجلدوا قبل ان تتعرفوا على هذه الكارثة !!!

يقول التقرير :

لقد اختير طالب لتمثيل الإسلام والمسلمين فى هذه المناسبة التى تحضرها الملكة !! طالب يحمل الشهادة الثانوية ، ولا صلة له بالعلوم الدينية .. يمثل أكثر من ألف مليون مسلم أمام الحاخامات والأساقفة .. والملكة !!

تموين السيارات بالنفط !! وفريق رابع اتفق مع دول أخرى سخية الجيب واليد !! أما مصر أو الأزهر فقد خرجا - وإلى الأبد - من القلب !!!

* * *

المركز الإسلامى فى لندن يأتى فى مقدمة المراكز التى كان لمصر فيها نفوذ ، هذا المركز أقامته مصر فى الأصل ، والأرض التى أقيم عليها كانت ملكاً لمصر .. ففى الحرب العالمية الثانية تنازلت مصر لقوات الحلفاء عن قطعة أرض لإقامة كنيسة .. وتنازلت بريطانيا بالمقابل عن قطعة أرض لإقامة مسجد ، وتبرع الملك الراحل فاروق بمبلغ كبير من المال كان ينفق منه على المركز الإسلامى والمسجد.

لم يكن فى بريطانيا فى ذلك الوقت سوى مسجد واحد فى ضاحية « ووكونج » ، ولم يكن المسلمون فى بريطانيا بهذه الكثرة كما هم اليوم[1] .

وحين فكر المسلمون فى توسعة المسجد .. بادرت مصر لتنفيذ هذا المشروع وسافر إلى لندن - من أجل ذلك - السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت لوضع حجر الأساس .. وما كاد المشروع يبدأ حتى ظهر فى الأفق من يرى فى استئثار مصر - بهذا المسجد وهذا المركز - خطرًا .. فكان ما كان مما لم يعد خافيًا ولا سرًا !!!

وقد جرت العادة عندما يسافر رئيس الجمهورية لزيارة بلد فى أوربا وأمريكا أن يكون فى استقباله شيخ بعمامة .. وقس بقلنسوة !!

أما عن القس .. فقد اختير بعناية .. طول .. وعرض .. ومظهر دينى يفرض تقديره واحترامه على أى أحد.

---

(١) فى بريطانيا ٢ مليون مسلم .

يقول التقرير :

وكى يبدو الطالب فى صورة دينية ألبسوه عمامة وجُبة حتى يبدو وكأن هناك شيخاً تحت (القبة) !!!

وكانت فضيحة للإسلام والمسلمين فى لندن وأوربا !!

يقول ذو النون المصرى :

(كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركاً لها .. واليوم يزداد الرجل بعلمه حبًا للدنيا ولها طَلَباً .. وكان الرجل ينفق ماله على علمه ، واليوم يكسب الرجل بعلمه مالاً .. وكان يرى على صاحب العلم زيادة فى باطنه وظاهره .. واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر !!!

ويقول حجة الإسلام الغزالى :

العلماء ثلاثة : إما مهلك نفسه وغيره .. وهم المصرحون بطلب الدنيا المقبلون عليها ، وإما مسعد نفسه وغيره .. وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهرًا وباطناً ، وأما مهلك نفسه مسعد غيره .. وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره ، وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه ، فانظر من أى الأقسام أنت :

* * *

ويرى الإمام الغزالى :

إن التبعة الكبرى فى هذا الفساد الشامل ، والضعف فى الدين ، والانحلال فى الأخلاق .. تقع على العلماء ورجال الدين ، وهم السبب الأول فى فساد هذه الأوضاع ، لأنهم ملح الأمة ، وإذا فسد الملح فما الذى يصلحه .

ثم يذكر الإمام الغزالى كيف مرضت القلوب ، واشتدت الغفلة عن المعاد ويذكر من أسباب مرض العلماء واعتلالهم وهم الأطباء ، فإن الأطباء هم العلماء ، وقد استولى عليهم المرض ، فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاج نفسه ، فلهذا صار الداء عضالاً ، والمرض مزمناً ، واندرس هذا العلم ، وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات !!

وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك لفساد العلماء ، فلولا القضاة السوء ، والعلماء السوء لقل فساد الملوك !!

* * *

« .. لقد نظرت بعيدًا عن دار الإسلام [1] ، وراقبت زحام الفلسفات والملل التى تتنافس على امتلاك زمام العالم .. فوجدت الإعلاميين أو الدعاة يختارون من أوسع الناس فكرًا ، وأرقهم خلقًا ، وأكثرهم حيلة فى ملاقاة الخصوم ، وتلقف الشبهات العارضة .

حتى البوذية - وهى دين وثنى - رزقت رجالاً على حظ خطير من الإيمان والحركة .. لقد طالعت صور الرهبان البوذيين الذين يحرقون أنفسهم فى (فيتنام) ليلفتوا الأنظار إلى ما يصيبهم من اضطهاد .. وعرتنى رجفة لجلادة الرجال والنساء الذين يفعلون ذلك !! فلما رجعت ببصرى إلى ميدان الدعوة فى أرض الإسلام غاص قلبى من الكآبة !!

كأنما يختار الدعاة وفق مواصفات تعكر صفو الإسلام ، وتطيح بحاضره ومستقبله .. وما أنكر أن هناك رجالاً فى معادنهم نفاسة ، وفى مسالكهم عقل ونبل .. بيد أن ندرتهم لا تحل أزمة الدعاة التى تشتد يومًا بعد يوم .

---

(١) هموم داعية - المرحوم الإمام الشيخ محمد الغزالى .

والغريب أن الجهود مبذولة لمطاردة الدعاة الصادقين من العلماء الأصلاء .. والفقهاء الحكماء .. للقضاء عليهم وترك المجال للبوم والغربان من الأميين والجهلة والسطحيين .. يتصدون للدعوة ويتحدثون باسم الإسلام !!

هناك شباب وشيوخ يعملون فى ميدان الدعوة .. أبرز ما يمتازون به الجهل بالنسب التى تكون معالم الدين ، وتضبط شعب الإيمان .

تصور تلميذًا يقال له : ارسم خريطة لجزيرة العرب .. ووضِّح مكان الحرمين بها .. فإذا هو يرسم الخريطة وليس بها إلا الربع الخالى .. فإذا سألته وأين مكان الحرمين ؟ وضع نقاطاً بين تبوك والأردن !! أو تلميذًا يقال له : ارسم خريطة لنهر النيل .. فإذا هو يجعل فرعى الدلتا يبدءان من الخرطوم لا من القاهرة .

إن كلا التلميذين ساقط لا محالة فى هذا الاختبار .. فما الرأى إذا اختير كلاهما مدرسًا للجغرافيا ؟!

أعداد غفيرة من المتحدثين فى الدعوة يشبهون هذا المدرس الجهول .

قضايا صغيرة تتضخم فى رءوسهم .. وقضايا تستخفى .. وحماس فى موضع البرود .. وبرود فى موضع الحماس .. وأحاديث ضعيفة أو منكرة تصحح .. وصحيحة تضعف وترد !!

* * *

حدثوا أن شيخاً من حكماء الشيوخ المربين ، أراد أن يعرف مدى استعداد تلاميذه ، ومقدار فهمهم لرسالتهم ، فاقترح على أربعة منهم أن يملأ كل واحد حجرة الدراسة بما يمليه عليه تفكيره وشعوره .

فذهب الأول فوجد فى طريقه حطباً كثيرًا ، فحمله وجاء به إلى

الحجرة ، وملأها به ، فقال له أستاذه : أنت رجل ضعيف الهمة ، تميل إلى العيش من أقرب طريق !!

وذهب الثانى فجاء بمجموعة من الكتب والمجلدات فكدسها فى الحجرة ، فقال له الحكيم : أنت رجل نظرى تحسب أن فى الكتب كل شىء، وتنسى كتاب الحياة الأكبر [1] !!

وذهب الثالث فجاء بباقة من الأزهار والورد ، فوضعها فى الحجرة ، فقال له الأستاذ : أنت رجل طيب القلب ، تظن الحياة نعيماً لا بؤس فيه ، ولا تذكر أن بجانب الورد أشواكاً مدمية .

وذهب الرابع فجاء بشمعة وأوقدها فى وسط الحجرة ، فنظر إليه أستاذه الحكيم نظرة المعجب وقال له : لله درك .. أنت الذى فهمت سر حياتك .. إن مهمتنا أن نضىء للناس الطريق !!

على ضوء هذا المثال ، ينبغى أن نفهم رسالة الأزهر الأولى ، ورسالة أبنائه وعلمائه .. إن مهمتنا أن نضىء للناس الطريق .. أجل ، والله إن مهمتنا أن نذوب فى سبيل الإسلام ، ونحترق من أجل رسالة القرآن .. أن نكون شموعاً تضىء للناس الطريق إلى الجنة ، وتهدى الحائرين إلى الله .

* * *

قبل عشر سنوات كتب المرحوم جلال الدين الحمامصى فى عموده اليومى بجريدة الأخبار اليومية يقول [2] :

أنهى البابا يوحنا بولس الثانى أخيرًا جولته الثالثة فى أفريقيا خلال خمسة أعوام .. والبابا هو أنشط الذين اعتلوا كرسى البابوية ، فهو يقوم

---

(١) رسالة الأزهر – دكتور يوسف القرضاوى – ص ٥٧ وما بعدها – مكتبة وهبة – القاهرة .
(٢) ١٥ / ٨ / ١٩٨٥ م .

برحلات متعددة شرقًا وغربًا ، وشمالًا وجنوبًا .. وتلقى رحلاته فى صحف العالم الغربى تغطيات واسعة ، وإبرازًا صريحًا لأهدافها ، على أنه لأول مرة تكشف الصحف الأمريكية - وهى التى أتيحت لى قراءتها حتى الآن - أن هدف البابا من زيارته الحالية لأفريقيا هو حث رجال الكنيسة فى القارة السوداء على مقاومة المد الإسلامى فيها ؟!

ولا لوم على البابا فى توجيهاته لرجال كنيسته .. ذلك أنه رجل دين سماوى وهو يرى أن مهمته ليست فى اعتلاء كرسى البابوية ومراقبة ما يجرى عن بعد ، ولكن فى أن يحرك رجاله فى كل مكان بالاتصال المباشر وغير المباشر للتبشير لهذا الدين ، ولو أننا قلنا غير ذلك لكان قولنا تدخلًا فيما لا يحق لنا التدخل فيه .. ولكن من حقنا القول بأن كل تحرك من جانب البابا وخاصة إذا كانت أهدافه وقف المد الإسلامى يجب أن يواجه بتحرك مضاد ليس فيه خصومة ولا عداوة .. بل فيه « منازلة » بالرأى والحجة والموعظة الحسنة .

* * *

وكلامنا اليوم نوجهه إلى دعاة الإسلام فى مصر وغير مصر .. والقارة الأفريقية التى زارها البابا ثلاث مرات خلال خمس سنوات سعياً إلى الحفاظ على المد الكاثوليكى بها .. والذى يقدر بمليونين فى العام الواحد .. ووصل حالياً إلى ١٦٪ من مجموع سكان القارة ، أو ما يقدر بخمسة وستين مليوناً ، ذلك أن هذه القارة يعيش سكانها حالياً - كما قال متحدث باسم الفاتيكان - تحت سيطرة الروابط القبلية المتنافرة والتى تسبق الرابطة القومية الوطنية .. ومن هذا الواقع فإنه لكى تتحقق وحدة أفريقية تكون أولًا وقبل كل شىء فى خدمة الاتجاه القومى داخل كل دولة أفريقية على حدة .. فلابد من إيجاد « رابطة تجانس » لا يحققها إلا واحد من عقيدتين « الكاثوليكية أو الإسلامية » .

ونحن نسأل .. هل لدى دعاة الإسلام فكرة عن هذه الاتجاهات البابوية المعلنة على لسان متحدث رسمى ؟ وهل لديهم إحصائيات دقيقة عن عدد المسلمين فى القارة الأفريقية ؟ ثم ألا يحسون أن هذا التحرك البابوى المتصل داخل القارة الأفريقية قد يكون جسًا لنبض قدرات دعاة الإسلام وحماته ومدى استعدادهم للتحرك المضاد ؟

إننا لا نريد مواجهة هذه الأسئلة كلها بالكلام .. فهو عبث ..

ونشاط البابا لم يكن بالكلام ولكن بالعمل والسفر والدعوة المباشرة .. فمتى نبدأ التحرك المضاد ؟

والأزهر لم يوفق مع الأسف فى رسم [1] سياسة أفريقية ولا فى تنفيذ ما يقوله رجاله المسئولون عن الدعوة .. وهيئات الدعوة للإسلام فى كل بلادنا العربية تقف وراء الأزهر بكثير فى هذا المجال .

سيقولون : انظروا إلى المراكز الثقافية التى أنشأناها .

انظروا إلى أعداد المبعوثين الذين نعلمهم .

انظروا إلى رسائل التأييد التى نتلقاها .

ونقول لهم :

كل هذا الكلام نحن نعرفه وأنتم تعرفون حقيقته .. وحرام أن ندافع عن أنفسنا ونضحى بالإسلام ، وكلكم تعرفون أنكم تخسرون المعركة فى أفريقيا وفى آسيا !!

إذا سارت الأمور على هذا المنوال سنجد أنفسنا فى أفريقية ١٥٠ مليوناً فى مواجهة ٣٠٠ مليون غير مسلم على الأقل .

---

(١) دكتور حسين مؤنس – العدد التذكارى من مجلة الأزهر – جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ .

هنا يتزعزع مركز العرب فى القارة والعالم كله تبعاً لذلك - هذه حقيقة ينبغى أن نضعها نصب أعيننا .

وهناك حقائق أخرى نستأذن القارئ ألا نذكرها لأنها تثير عواصف سياسية نحن فى غنى عنها الآن !!

العمل هو أن نضع أمام أعيننا هذه الحقيقة .. إما أن يكسب الإسلام معركة أفريقية .. أو أن مستقبلنا فى هذه القارة سيكون حرجاً .

إن القاهرة ودمشق وحلب أو الكويت أو تونس أو المغرب حافلة بالمساجد ، فإذا أردنا أن ننشئ مسجدًا فلنبنه فى بلد أفريقى ، لأن الإسلام ليس فى خطر فى حى الحسين ، ولكنه فى خطر فى نيجيريا ، وفى غينيا ، وتشاد ، وتنزانيا ، وزامبيا ، وملاوى ، وفى كل أفريقية .

والذين يرسمون خطط إنشاء المساجد فى مصر مثلًا عليهم أن يعرفوا أن هناك قبائل أفريقية مسلمة كاملة لا تجد مسجدًا واحدًا تصلى فيه ..

وهل تعلم مثلًا أن مسجدًا إسلاميًا كبيرًا واحدًا كالذى بنته البلاد العربية فى السنغال كان له أبعد الأثر فى تقوية مركز المسلمين هناك ؟

إن المساجد هى قواعد انتشار الدعوة الإسلامية .. وهناك مساجد قامت بها جيوش فاتحة .

خذ مثلًا مسجد القرويين فى فاس ، فهذا المسجد كان ذا أثر حاسم فى نصر الإسلام النهائى فى المغرب الأقصى حتى آخر منطقة الصحراء التى كانت بالأمس أسبانية ، والآن انضمت إلى عالم الإسلام.

وجامع الفاشر فى كردفان فى جنوب غربى السودان « فتح » للإسلام بلاد وادى القديمة وثبت الإسلام فى بلاد تشاد حيث قامت مملكتا البورنو والكانم الإسلاميتان .

وهل هناك إهانة للإسلام فى أفريقيا هى أشد ألمًا من سيطرة بلد متأخر هو الحبشة على شعب إسلامى عربى كامل هو الشعب الحبشى والأريترى .

إن أوروبا كلها وراء هذه المأساة .. كانت وراءها أيام هيلا سلاسى ، وهو دون شك من ألد أعداء الإسلام ، وكان الغرب كله يؤيده لهذا السبب ..

وقد أخطأنا خطأً جسيمًا عندما وافقنا على أن تكون أديس أبابا مقرًا لمجلس الوحدة الأفريقية .

وعندما وقع الانقلاب وتخلى الغرب عن الحبشة أسرعت روسيا السوفيتية لتقف إلى جانب « منجستو هيلا مريم » ..

أليس هذا كافياً لكى يفتح المسلمون أعينهم ..

والذين يجهدون أنفسهم فى إنشاء جامعات دينية فى مصر وغيرها من بلاد العرب مهمتها تقويم إسلام المسلمين ، أليس أولى بهم أن ينشروا الإسلام فى بلاد أفريقية ؟

والذين أرادوا أن يكفروا عن ذنوبهم ويهاجروا إلى الله .. ألم يكن أولى بهم أن يهدوا الكفار ويهاجروا إلى الجبهة التى يحارب فيها الإسلام وحده اليوم ليكونوا مجاهدين حقًا ؟

إن مستقبل الإسلام فى أفريقية فى خطر .. وأعتقد أن هذا واضح الآن .. وكل مليم ينفق فى أغراض إسلامية ينبغى أن ينفق اليوم خارج الحدود لا داخل دار الإسلام .

إن عندنا معاهد لتخريج الدعاة ، ولكنها فى الحقيقة تخرج موظفين على درجات .. والداعية الحق لا يمكن أن يكون موظفًا على درجة .. إن درجته ينبغي أن تكون عند الله سبحانه وتعالى إذا كان مؤمناً بالله حقاً .

قرأت ذات مرة على باب دير يعدون فيه المبشرين فى أسبانيا :

(أيها الشباب الذى يريد أن يدخل فى صفوف المبشرين ليس عندنا مال نعطيك إياه .. ليس لدينا بيت نبنيه لك .. ستنضم إلينا وستخرج داعيًا للمسيح ، وكل ما ستجده هو التعب والتضحية والعمل والأمراض .. لأن جزاءك الحق ليس عندنا .. إنه عند الله .. وبيتك الحق ليس عندنا إنه عند الله .. فإذا أردت أن تنضم إلينا فعلى هذا الأساس .. وإلا فأنت لست بحاجة إلينا ولسنا بحاجة إليك) !!!

* * *

لقد بلغ :

* عدد مؤسسات التنصير وإرسالياته ووكالات الخدمات النصرانية ١٢٠,٨٨٠ مؤسسة .

* والمعاهد التى تؤهل المنصرين وتدربهم بلغ عددها ٩٩,٢٠٠ معهدًا .

* والمنصرون المحترفون العاملون على رأس العمل التنصيرى يبلغ تعدادهم ٤,٢٠٨,٢٥٠ منصرًا .

* وفى مؤسسات التنصير هذه ٨٢,٠٠٠,٠٠٠ مليوناً من أجهزة الكمبيوتر [١] .

* وعدد المجلات التى تصدرها المؤسسات التنصيرية يبلغ ٢٤,٩٠٠ مجلة .

* وعدد الكتب التى أصدرتها هذه المؤسسات بلغ فى عام واحد ٨٨,٦١٠ كتب .

* ومحطات الإذاعة والتلفاز التى تبث التنصير يبلغ عددها ٢,٣٤٠ محطة .

---

(١) الإسلام والتحديات المعاصرة – دكتور محمد عمارة – ص ٣٢٦ وما بعدها .

* ونسخ الإناجيل التى وزعتها (مجاناً) فى عام واحد هى ٥٣,٠٠٠,٠٠٠ نسخة .

* والمدارس ورياض الأطفال التى تشرف عليها كنائس التنصير تبلغ فى العدد ١٠,٦٧٧ مدرسة .

* والطلاب الذين يدرسون فى هذه المدارس الكنسية يبلغ عددهم ٩ملايين طالب .

* والمستشفيات التى تملكها هذه الكنائس يبلغ عددها ١٠,٦٠٠ مستشفى .

* ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام التابعة لها هى ٦٨٠ دارًا .

* وعدد الصيدليات المملوكة لها هو ١٠,٠٥٠ صيدلية .

* وميزانية خدمة المشاريع النصرانية تبلغ ١٦٣ مليارًا من الدولارات .

* ودخل الكنائس العاملة فى التنصير هو ٩,٣٢٠ مليارًا من الدولارات .

* ودخل الإرساليات الأجنبية هو ٨,٩٠٠ مليار من الدولارات .

* ولقد بلغت التبرعات التى قدمت للكنيسة فى سنة واحدة هى سنة ١٩٩٠م مبلغ ١٥٧ مليوناً من الدولارات(١) .

* * *

منذ خمس سنوات .. وقبل أن أترك عملى كأمين عام للدعوة .. تقدمت بمشروع إلى مشيخة الأزهر .. فى مسودة هذا المشروع قلت :

لابد من عودة معهد الإعداد والتوجيه الذى كان قائماً فى الأزهر فى أوائل الستينيات ..

صحيح أن هذا المعهد كان متخصصاً فى تعليم اللغات الأجنبية فقط

---

(١) نقلاً عن النشرة الدولية لبحوث الإرساليات التنصيرية ١٩٩١ م .

.. غير أن المشروع الذى تقدمت به يختلف عن مشروع المعهد الأول فى المنهج والخطة .. وفى التركيز على هذه النقاط الحيوية المهمة :

(أ) تقسيم العالم إلى قارات .. وتقسيم القارات إلى مناطق ولا يخرج مبعوث للعمل فى أية منطقة أو قارة إلا بعد النجاح فى المواد الآتية :

(ب) اللغة التى يتحدث الناس بها فى كل منطقة .

(ج) دراسة المشكلات الخاصة فى كل منطقة أو قارة .. وتقديم الحلول المناسبة لكل مشكلة .

(د) دراسة البدع والخرافات الشائعة فى كل منطقة أو قارة ، وموقف الإسلام من هذه البدع والخرافات ، وبخاصة ما يتعارض منها مع الدين والعقيدة .

(هـ) الإلمام بتاريخ وجغرافية كل منطقة أو قارة .

(و) أن يجتاز المبعوث امتحاناً حقيقيًا فى علوم الدين واللغة وفى التاريخ الإسلامى والسيرة ، وفى علوم القرآن والسنة .

(ز) أن يجتاز المبعوث الامتحان الخاص بالحضارة الإسلامية ، وأثرها فى نهضة أوروبا الحديثة .

(ح) أن يجتاز المبعوث الامتحان الخاص فى علم مقارنة الأديان والنحل والمذاهب الهدامة .

(ط) أن يجتاز المبعوث الامتحان الخاص بالحركة التنصيرية ، والشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام بالنسبة لقضايا الإنسان والحرية .

(ى) تدريب المبعوث على الخطابة ، ودراسة فن الإلقاء والمحاضرة .

(ك) يقتصر اختيار المبعوثين على المتخرجين فى هذا المعهد بعد أداء الامتحان فى القدرة والكفاءة .

ولا يزال هذا المشروع - حتى يومنا هذا حلماً - كما لا يزال تحقيقه أملًا !!

ومما يثير الدهشة والألم ، أن يعلن وزير الأوقاف أن وزارته هى المسئولة الوحيدة عن الدعوة ، وأن الأزهر مؤسسة تعليمية (بحتة) !!

وكان الأولى بالوزير أن ينظر إلى المساجد الخربة ، وإلى الخواء والغثاء فى خطب الجمعة ، وإلى الشكاوى التى تنشرها الصحف عما انتهى إليه حال الخطباء والأئمة !!

صحيح .. يوجد من بين هؤلاء الخطباء والأئمة عناصر ممتازة .. ولكن هؤلاء الممتازين قلة نادرة ، والنادر فى حكم المعدوم كما يقول علماء الفقه واللغة !!

الأزهر أيها الوزير هو مركز الدعوة وهو - فى ذلك - مناط أمل المسلمين فى كل الدنيا ..

والتاريخ يكرر نفسه ، ففى عهد الإمام الأكبر محمود شلتوت تقدم وزير الأوقاف وشئون الأزهر بمشروع قرار جمهورى يسلب به من الأزهر هذا الحق ، ولم يكتف المشروع بذلك .. بل طالب بإلغاء إدارة الوعظ ، وفى رده على هذه المشروع تقدم الإمام الراحل بمذكرة إلى القيادة السياسية فى هذا الوقت ، فألقت بالمشروع وصاحبه وراء الظهر !!

تقول هذه المذكرة :

قدمت وزارة الأوقاف مشروع قرار بشأن تحديد مسئوليتها .. ونصت مادته الأولى على أنه تعتبر وزارة الأوقاف من وزارات الخدمات وتمارس مسئوليتها على هذا النحو الآتى :

١ - بحث واقتراح السياسة العامة للدعوة الدينية وإجراء البحوث

والدراسات الخاصة بنشر الثقافة الإسلامية ، وبعث الوعى الدينى فى مجتمع الأمة العربية ، والتعريف بالإسلام بين شعوب العالم كافة ، ووضع الخطط والمشروعات والبرامج اللازمة لتنفيذ هذه السياسة بما يحقق استقرار المجتمع وتأصل العقيدة الدينية بين أفراده ومجتمعاته .

والذى يلفت نظر الأزهر أن بحث واقتراح السياسة العامة للدعوة الدينية وإجراء البحوث والدراسات الخاصة بنشر الثقافة الإسلامية والتعريف بالإسلام بين شعوب العالم كافة هى رسالة الأزهر الأصلية طوال تاريخه العظيم ، وهو ما حرص عليه القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها .

إذ نصت المادة الثانية من القانون المذكور على أن الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة ، وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا وفى الآخرة ، وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن .. وتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية .

كما نصت المادة العاشرة على اختصاصات المجلس الأعلى للأزهر وأولها التخطيط ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق الأغراض التى يقوم عليها الأزهر ، ويعمل لها فى خدمة الفكرة الإسلامية الشاملة ..

هذا فضلاً عما نظمته المادة ١٥ من القانون المذكور من اختصاص لمجمع البحوث الإسلامية ، وإدارة الثقافة والبعوث الإسلامية من أنه هو الهيئة العلمية للبحوث الإسلامية ، ويقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث والعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب

وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص .. ويحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

إذن يبدو واضحاً من أحكام قانون تطوير الأزهر أن هذا القانون قد حرص على أن يبقى الأزهر ، وأن يدعم ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب ، وأن يظل كما كان منذ أكثر من ألف عام حصنًا للدين والعروبة يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتجلى فى جوهره الأصيل ، ويتسع نطاق العلم به فى كل مستوى ، كما حرص هذا القانون على تعيين الوسائل الكفيلة بتنفيذ رسالته .

وبناء على ذلك يرى الأزهر أن ما تضمنه مشروع وزارة الأوقاف بتحديد مسئوليتها فى البند الأول من مادته الأولى هو فى الواقع سلب لولاية الأزهر التى أكدها المشروع بأحكام القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م ، هذا فضلًا عما يراه الأزهر من أن ما تضمنه هذا المشروع يؤدى حتماً إلى ازدواج فى العمل قد يترتب عليه أسوأ الأثر .

* * *

لقد أصابتنى حسرة وأنا أتابع محاضرات (الملتقى الإسلامى الفكرى) الذى تقيمه الوزارة - أى وزارة الأوقاف - فى شهر رمضان من كل عام لم تصدق عينى ما أرى .. ولا ما أسمع !! فمعظم ما قيل فى هذا (الملتقى) لا يزيد عما يقوله إمام فى زاوية أو خطيب فى مسجد !! كلام معاد .. ومكرر.. واجترار لأحكام فقهية يعرفها كل مسلم .. وتكرار وإعادة لقصص وحكايات حفظها الناس لكثرة إعادتها وتكرارها فى كل موسم .

أين القضايا التى تهم الوطن .. والمواطن ؟

وقضايا الفكر التى تهز أركان العالم ؟

وموقف المسلم المعاصر فى مواجهة التطورات التى تسابق الزمن ؟

وقضايا الشباب الذى يتساقط كأوراق الشجر ؟

وقضايا الفتن والمحن التى يمر بها المسلمون فى جميع أنحاء العالم ؟

وقضايا الغلو والتطرف ؟

وقضايا الحرية والعدل ؟

وقضايا التعليم والتربية ؟

وقضايا الخلافات المذهبية والفكر ؟

وقضايا الدعاة والدعوة ؟

وقضايا التخلف والفرقة ؟

بل أين كان هذا (الملتقى الإسلامى) من « عبدة الشيطان » الذين ظهروا على مسرح الحياة فجأة .. وفى شهر رمضان المبارك .. وفى القاهرة المحروسة .. وفى مصر أم الدنيا ؟!!

* * *

فى عهد السلطان (سليمان القانونى) أعلن عن وظيفة إمام مسجد خالية ..

* أتدرون ماذا كانت الشروط المطلوبة فى اختيار المرشح ؟

كانت الشروط المطلوبة فى المرشح كما يلى :

- أن يجيد اللغة العربية ، والتركية ، والفارسية ، واللاتينية .
- أن يكون دارساً وفاهماً للقرآن الكريم ، والإنجيل ، والتوراة .
- أن يكون عالماً فى الشريعة والفقه والسيرة النبوية وتاريخ الإسلام .
- أن يكون عالماً فى الرياضة والطبيعة .
- أن يجيد ركوب الخيل والمبارزة بالسيف للجهاد .
- أن يكون حسن المظهر .

- أن يكون جميل الصوت .

قبل هذا وبعده أن يكون قدوة حسنة ، وأسوة صالحة .

هذه هى الشروط المطلوب توافرها فى الداعية كما جاء ذلك فى الإعلان التركى قبل أربعمائة سنة !!!

* * *

يقول الدكتور عبد الحليم محمود[1] :

زارنى أحد الأساتذة الأمريكيين فأخذته إلى الجامع الأزهر ، وبينما نحن نتنقل من رواق إلى آخر سألنى هذا الأمريكى عن (لجنة الفتوى) فحدثت هذا الأمريكى عن لجنة الفتوى ورسالتها ، فرغب فى زيارتها والتعرف على أعضائها .. دخلنا القاعة فكان فيها المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم[2] ، والمرحوم الشيخ محمد العنانى ، وبعد التعارف والتحية خاطب العالم الأمريكى فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم قائلًا :

إن الغرب الآن فى حالة روحية قلقة ، ومن الممكن أن يتجه إلى الإسلام .. ولكن من المحتمل أن يتجه إلى صوفية الهند فهل أعد الأزهر عدته لتوجيه الغرب نحو الإسلام ؟

وكان السؤال مفاجئاً أو مربكاً .. ولكن فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أجاب وفى أسلوب دبلوماسى لبق :

إننا بصدد الدراسة والبحث !!

وجعلنى سؤال هذا العالم أعود من جديد إلى التفكير فى موضوع

---

(١) أوروبا والإسلام - الدكتور عبد الحليم محمود - ص ٢١٨ - وانظر فى ذلك أيضاً : كتابنا (حتى لا نخدع) ص ٢٣٨ .

(٢) شيخ الأزهر سابقًا .

الغرب والإسلام .. وصرفتنى الشواغل إلى أن وقع فى يدى كتاب (إيقاظ الغرب للإسلام) تأليف اللورد هيدلى – فقرأت فيه :

كيف يمكن للإسلام أن (يتغرب) أى يصبح غربياً أو بعبارة أخرى – الكلام لا يزال للورد هيدلى – كيف يمكننا نحن الأوربيين أن نعود أنفسنا لنفقه معى الإسلام الحقيقى .. إننى أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء أيضاً مسلمون قلباً .. ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشئ عن الدخول فى الإسلام يخفى هذه الحقيقة التى لابد يوماً أن تظهر .

* * *

لقد وقف الأستاذ T.B. ARVENG (تى . بى . أرفنج) الأستاذ فى جامعة (تنسى) (TENECY) الأمريكية ، وقف يخاطب المسلمين فى مدينة (جلاسجو) ببريطانيا منذ سنوات فماذا قال البروفسور (أيرفنج) ؟

لقد قال : إنكم – أيها المسلمون – لن تستطيعوا – أن تنافسوا الدول الكبرى علمياً ، أو اقتصادياً ، أو عسكرياً .. فى الوقت الحاضر على الأقل ، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا هذه الدول تجثو على ركبها أمامكم بالإسلام !!

أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذى تحملون .. والذى يتعطش إليه كل الناس فى مختلف جنبات الأرض .. تعلموا الإسلام وطبقوه .. واحملوه لغيركم من البشر تتفتح أمامكم الدنيا .. ويدين لكم كل ذى سلطان .. اعطونى أربعين شاباً ممن يفهمون هذا الدين فهماً عميقاً .. ويطبقونه على حياتهم تطبيقاً عميقاً ويحسنون عرضه على الناس بأسلوب العصر .. وأنا أفتح بهم الأمريكتين [1] !!!

فهل نقدر على ذلك ؟!!

---

(١) دكتور زغلول النجار – (قضية التخلف العلمى فى العالم الإسلامى المعاصر) – ص ١٣٧، ١٣٨ – كتاب الأمة .

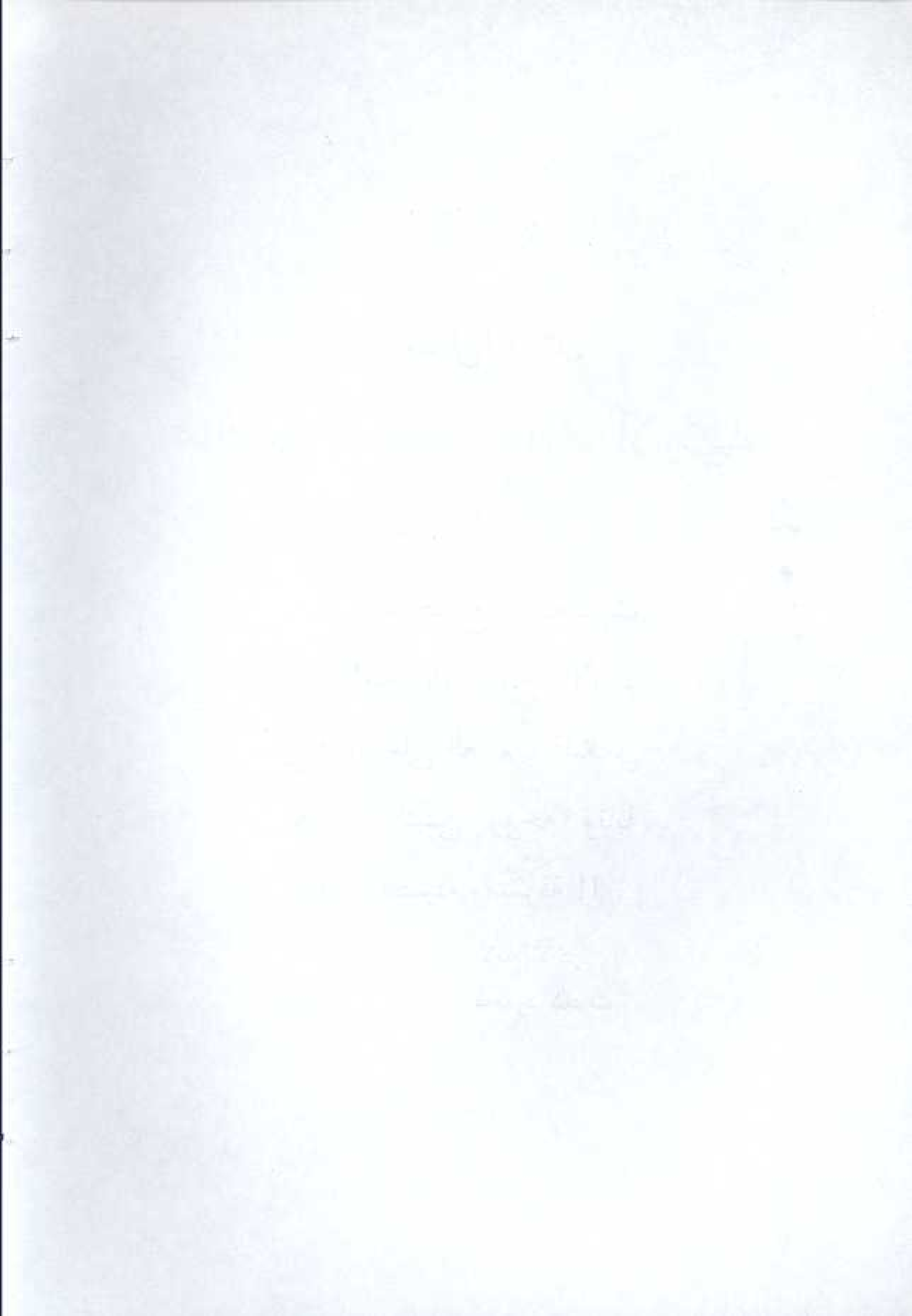
الفصل الخامس

مجمع البحوث الإسلامية

سابقاً !!!

إن مجمع البحوث
الإسلامية هو روح الأزهر
ونافذته على العالم ، فلنعمل
معاً .. لتبقى روحه وثابة
ونافذته مضيئة ومشرقة !!

الإمام الأكبر
محمود شلتوت



والآن جاء دور العزيز (الراحل) مجمع البحوث الإسلامية !!

لقد اختفى هذا المجمع من الساحة تماماً بعد أن مات .. وشبع موتاً !!

مات هذا (المجمع) بعد أن مات محمود شلتوت ، ومحمد أبو زهرة ، وفرج السنهورى ، وعلى الخفيف ، وعبد الله المشد ، ومحمود شيت ، ومحمد مصطفى شلبى ، والفاضل بن عاشور ، وعبد الحليم محمود ، ونديم الجسر ، وموسى الصدر ، وحسين آل كاشف الغطاء .. وغيرهم من أعلام الدين .. والفقه .. واللغة .. والعلم .

كنت أوثر أن لا أتكلم عن هذا (الميت) !! لأن للموتى عندنا - نحن المسلمين - حرمة .. كما أن إيذاء الميت كإيذاء الحى كما يقول نبينا العظيم محمد ﷺ !!!

غير أنى لا أستطيع السكوت أو الصمت بعد أن أدانت (المحاكم) الأزهر .. والمجمع بالتقصير ، والعجز .. وبعد أن وهن هذا المجمع فلم يعد يسمع له صوت !!!

* * *

لم أنس حتى هذا اليوم - وبالرغم من مرور عشرين عاماً - حضور المدعى العسكرى .. فيما كان يعرف بقضية (التكفير والهجرة) إلى المجمع .

لقد حضر هذا الرجل يطلب من الأزهر الرد على ما يثيره المتهمون فى هذه القضية ضد المجتمع والدولة .. وقال فيما أذكر :

إننى لا أريد أن أكون (دجوياً) ! كما لا أريد أن تظلم المحكمة بريئاً .. أو متهماً !!

غير أن (المجمع) لم يستجب .. والأزهر لم يرد .. وفى النهاية أصدرت المحكمة قرارها فى هذه القضية متضمناً إدانة الأزهر وإدانة المجمع !!!

القصة نفسها تكررت فى قضية اغتيال الرئيس السادات .. وفيما يعرف بقضية الجهاد ، وقد صدر الحكم فى هذه القضية متضمناً أيضاً إدانة المجمع ، وإدانة الأزهر !!

لا أريد أن أعلق .. فقد عاصرت أحداث هذه المأساة ، ورأيت إلى أى مدى أصيب الأزهر (بأنيميا) حادة فى العلم !! وكيف انتهى به الأمر إلى الإدانة من المحاكم فى جمهورية مصر !!

* * *

إن مجمع البحوث الإسلامية كما ينص القانون [1] :

هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب الدينى والمذهبى .. وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ولكل بيئة .. وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ويتألف مجمع البحوث الإسلامية من خمسين عضوًا من كبار علماء الإسلام [2] ، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى جمهورية مصر العربية .

---

(١) المادة (١٥) من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .
(٢) المادة (١٦) من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .

ويشترط فى عضو المجمع[1] :

١ - ألا يقل سنه عن أربعين سنة .

٢ - أن يكون معروفاً بالورع والتقوى فى ماضيه وحاضره .

٣ - أن يكون حائزًا لأحد المؤهلات العلمية العليا من الأزهر ، أو إحدى الكليات أو المعاهد العليا التى تهتم بالدراسات الإسلامية .

٤ - أن يكون له إنتاج علمى بارز فى الدراسات الإسلامية ، أو اشتغل بالتدريس لمادة من مواد الدراسات الإسلامية فى كلية أو معهد من معاهد التعليم العالى لمدة أدناها خمس سنوات أو شغل إحدى الوظائف الإسلامية فى القضاء أو الإفتاء أو التشريع لمدة أدناها خمس سنوات .

* * *

والسؤال هو :

هل روعيت هذه الشروط فى اختيار الأعضاء .. وفى اختيار الأمناء؟

إن القانون واضح فى تحديد صفة من يختار لعضوية المجمع .. فهل روعى هذا القانون وطبق ؟!

أم أن الأمر ترك للهوى الجامح ؟

أم ألغيت القوانين التى تحدد وظيفة المجمع ؟

أم أن المجمع تحول إلى منتدى لقراءة المجلات والصحف ؟!!

* * *

إن معظم أعظاء المجمع - الحاليين - قد تم اختيارهم لاعتبارات شخصية بحتة ، وبعيدًا عن الشروط التى حددها القانون لصفة هذه العضوية .

---

(١) المادة (١٥) من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .

ولو استعرضنا أسماء معظم هؤلاء الأعضاء عضوًا عضوًا .. فى ضوء القانون ما استحق العضوية منهم سوى نفر قليل من بقية أعضائه القدامى أصلًا ..

ولو استعرضنا أسماء معظم هؤلاء الأعضاء عضوًا عضواً ما رأينا لأحدهم إنتاجاً ، ولا سمعنا لأحدهم صوتًا .. إلا قليلًا جدًا .. لقد أهدرت القوانين فى اختيار الأعضاء وفى اختيار الأمين العام . و (العلماء والباحثون) استبعدوا تماماً بالرغم من فوزهم بأغلب الأصوات فى الاقتراعات الخاصة باختيار الأعضاء .. ومنهم على سبيل المثال : الدكتور عبد الجليل شلبى .. والدكتور محمد الأحمدى أبو النور .

وللأمانة فإن معظم الذين اختيروا كأعضاء للمجمع تم اختيارهم قبل اعتلاء الشيخ طنطاوى لمشيخة الأزهر .

* * *

لقد ضم المجمع فى سنواته الأولى عددًا من العلماء الذين شهدت لهم آثارهم بطول الباع فى معرفة القديم وفهم الجديد ، وخصوصاً من علماء مصر ، وإن كان أخذ عليه أنه لم يضم رجالًا من عمالقة الفكر عرفهم العالم الإسلامى كله ، وهذه النقطة هى موضع الخطر فى تكوين المجمع واختيار أعضائه إلى اليوم ، فلا زالت الاعتبارات السياسية المحلية – بجوار اعتبارات داخلية أخرى – هى التى توجه الترشيح وتتحكم فى الاختيار .. ولهذا حرم المجمع من شخصيات مصرية وعربية وإسلامية لها وزنها وقدرها فى ميدان العلم والفكر الإسلامى ، على حين دخل المجمع من لا يعرف له كتاب يقرأ أو إنتاج يذكر .. بل هو كما يقول الفقهاء فى بعض أنواع الماء : « طاهر فى نفسه ، غير مطهر لغيره » !! حتى انتهى المجمع أخيرًا إلى حالة من الركود والرقود ، أشبه ببحيرة من الماء الآسن !! ولم نر لهذا المجمع منذ سنين أية بحوث جادة تدل على أنه لم يزل على قيد الحياة !

والواجب إعادة النظر فى تكوين المجمع ، حتى تدب فيه الروح ، وتعود إليه الحياة والحركة ، وتعود معه الثقة إلى المسلمين فى العالم بالأزهر ، وعلماء الأزهر .. أما أن يظل كما هو الآن ، مبنى بلا معنى ، وتمثالاً بلا روح ، ينطق العالم وهو صامت ، وتتحرك الحياة وهو ساكن ، فعدمه حينئذ خير من وجوده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [1] !!!

* * *

وفى الصراع الدائر بين الدين والعلمانية .. لا نكاد نرى اسماً واحدًا من أعضاء المجمع .. أو من جامعة الأزهر .

لقد خلت الثغور الإسلامية من حراس العقيدة !!! ولم يبق فى هذه (الثغور) سوى قلة نادرة .. منهم على سبيل المثال :

المستشار طارق البشرى .
والدكتور محمد عمارة .
والدكتور يوسف القرضاوى .
والفقيه الشيخ السيد سابق .
والأستاذ أنور الجندى .
والأستاذ فهمى هويدى .
والدكتور مصطفى محمود .
والدكتور محمد سليم العوا .
واللواء أحمد عبد الوهاب .
وكلهم خارج المجمع !!!.

هناك .. ألوف من الأساتذة فى الجامعة .. أقصد جامعة الأزهر ..

---

(١) رسالة الأزهر - دكتور يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة - القاهرة .

لا جامعة القاهرة أو عين شمس .. لكن نادرًا ما تجد لأحدهم وجودًا فى الساحة الثقافية العامة .. أو الساحة الفكرية والفقهية الخاصة .. بل نادرًا ما تجد لأحدهم كتاباً يقرأ .. أو بحثًا يعالج مشكلة من مشكلات الأمة .. أو المجتمع .

لقد جفت المنابع .. وأسدل ستار كثيف على الإبداع حتى فى مجالات التخصص .. فى التفسير .. فى الحديث .. فى اللغة والأدب[1] وفى أى مادة كان للأزهر فيها قصب السبق والتفوق .

إن مجمع البحوث لم يعد جديرًا بالاسم الذى يحمله ..

فالمادة ١٦ من القانون[2] تنص على أن يكون من بين أعضائه عشرون عضوًا من العالم الإسلامى أى من خارج مصر .

فأين هم هؤلاء الأعضاء العشرون الذين نص عليهم القانون ؟

أين كبار علماء العالم الإسلامى .. الذين يضمهم المجمع .

سؤال لن تجد له جواباً ..

فالصورة كئيبة .. والمجمع الذى كان يمثل روح الأزهر .. طواه الزمان فى التيه !! وتشعبت به السبل فلم يعد أحد يعرف أين يلاقيه !!

* * *

لقد سافرت إلى ألمانيا قبل ثلاثين عاماً ، وقدر لى أن أزر برلين الشرقية وبرلين الغربية .. لقد هالنى الفرق بين المدينة المقسمة إلى شرق وغرب ..

ففى برلين الغربية كانت الحياة تسير فى عنفوانها نحو الازدهار والتقدم ، بينما الخراب والدمار يغطى وجه برلين الأخرى بالكآبة والدمار والفقر .. كيف حدث هذا الفرق والشعب هنا هو نفس الشعب ؟

---

(١) ربما كان الوحيد الذى له دور بارز فى هذا المجال هو الدكتور محمد رجب البيومى - عميد كلية اللغة العربية الأسبق .

(٢) القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م .

وكيف نهض الغرب الألمانى ليصير معجزة ويفرض وجوده واحترامه على الذين دمروه فى الحرب ؟

إنها القيادة الناجحة .. واختيار الرجال الأكفاء لتحقيق أهداف كل خطة .. والانتماء والولاء للعقيدة والوطن والأمة .

* * *

من الأسباب (الخفية) لانهيار الاتحاد السوفيتى - كما جاء ذلك فى وثيقة نشرت أخيرًا بالولايات المتحدة - آفة المحسوبية ، وانعدام الكفاءة .. ويقول هذا التقرير أو هذه الوثيقة :

إن الرئيس السوفيتى (أندربوف) علم أن أحد رجاله يعمل لحساب المخابرات الأمريكية .. فاستدعاه (أندربوف) وسأله عن المعلومات التى قدمها إلى المخابرات الأمريكية ؟

فقال له : إننى لم أقدم أية معلومات إلى أمريكا أبدًا !!

فأعاد (أندربوف) السؤال :

- لماذا دفعوا إليك كل هذه الأموال إن لم تكن قدمت إليهم شيئاً ؟!

- فأجاب المسئول الخائن قائلًا :

إن كل ما طلبه منى الأمريكيون كان ينحصر فى منع أى شخص كفء يصل إلى السلطة والحيلولة بينه وبين الصعود إلى القمة !!

آرأيتم كيف تسقط الأمم ؟! وتنهض الدول ؟!

بينما نعيش - نحن سكان العالم الثالث - فى (وادى) العدم وفى مؤخرة ركب الحياة والتقدم !!

* * *

الأزهر أو المجمع لم يقدم - حتى اليوم - حلولاً لمشكلات قديمة لا تزال قائمة .. ولم يخض غمار البحث والاجتهاد - حتى اليوم - فى هذه القضايا التى تهم الوطن والمواطن والأمة .

مثلاً هناك مشكلة المذاهب : الفقهية ، وغير الفقهية[1] .

هل انتهينا بالفعل من وضع حل اتفقنا عليه لكيفية الأخذ منها أو الترك لها ؟

هل نتشدد فى الارتباط بواحد منها ؟

أم نلفق ؟ أم نتحرر ؟

وماذا يكون أثر التشدد فى الافتقار إلى حلول جديدة لمشاكل جديدة : كالتأمين مثلاً ؟ وماذا يكون أثر التحرر ؟

كيف نواجه ادعاء بعض الأفراد أو بعض الجماعات .. ادعاء كل منهم أنه على مستوى التحرر ، وعلى مستوى الاجتهاد ، وعلى مستوى الرجوع المباشر إلى الكتاب والسنة ؟

وهل هناك مؤسسة أو جماعة أو أفراد اتفقنا على وجوب الأخذ منهم؟

وكيف نواجه التشتت والتمزق الذى يترتب على دعوى التحرر والاجتهاد هذه ، وقد يصل بعض هذا التحرر والاجتهاد إلى الدخول فى دوامة رهيبة جديدة من التنابز بالكفر ؟

وإذا أردنا أن نقتحم بعض القضايا على سبيل التخصص .. ففى الشبهات التى تسقط الحد - وعلى سبيل المثال - ما الموقف من اعتبار المختلس غير (سارق) يطبق عليه حد السرقة ؟

---

(١) الأزهر والأزمة الراهنة فى الفكر الإسلامى المعاصر - دكتور يحيى هاشم - الكتاب التذكارى للعيد الألفى للأزهر - ص ٢٢١ وما بعدها .

نعم هناك مبدأ « التعزير » لكن ماذا يبقى بعد ذلك لمبدأ « الحد » من فعالية فى المجتمع المعاصر ؟

وما الموقف من اعتبار « المنشآت » الصناعية الحديثة غير داخلة فى أموال الزكاة إلا باعتبار ما يخرج منها من أموال سائلة يطبق عليها حكم زكاة « النقود » ، فينتظر بها إلى أن تدخر ويعرف أنها قد ادخرت وحال عليها الحول ، وعندئذ تجب فيها الزكاة ؟

ما أثر رفض اعتبار هذه المنشآت كالزروع التى تسقى صناعياً ويستخرج منها نصف العشر بمجرد خروج الثمرة ؟

ما أثر ذلك كله على فاعلية الزكاة فى حل مشاكل المجتمع ، وقد أتحنا الفرصة لثمرات المصانع أن تهرب إلى حيث لا يمكن ملاحقتها إلا فى قلوب « المتقين » ؟؟

ما أثر النظر إلى الزكاة على أنها فريضة تعبدية لا معنى « للإجبار » عليها وقد علت الأصوات بذلك فى وقت من الأوقات ؟

وما علاج واقع التهرب من أدائها ؟

وما أثر ذلك فى انهيار الجانب التطبيقى من هذه الفريضة ؟

ولمن يكون الدور الفعال فى هذا الشأن ؟

أيكون للدولة أم يكون للدعوة [1] ..

كيف نتخلص من الربا ونحن ماز لنا نصر على أن المال لا يكون كنزًا يحمى عليه أجساد أصحابه فى النار إذا أديت عنه الزكاة ؟ .. ثم نترك أداء الزكاة لصحوة الضمير عند المتقين ؟

كيف ونحن بهذا الحال نواجه فاعلية « الفائدة » بفاعلية مقابلة ، ما لم

---

(١) المصدر السابق .

تصدر الفتوى صريحة قاطعة بحرمة « حبس المال » فى البيوت .

وكيف نتخلص من الوضع الراهن فى الربا ؟

أنفعل ذلك دفعة واحدة مهما يترتب على ذلك من انهيار فى البناء الاقتصادى القائم وما يترتب على ذلك من إغلاق مؤسسات ومصانع ومتاجر ؟

هل نفعل ذلك الآن ؟ أم ننتظر ظهور مجتمع « الأتقياء » الذى يتقبل ما سوف يترتب على ذلك من عجز فى سد مطلب الاستهلاك ؟

وهل يجرؤ أحد من أصحاب البنوك الإسلامية الحديثة أن يدعى أن هذه البنوك يمكنها أن تستوعب وحدها الأموال السائلة ، بينما هى تلتزم فى حركتها بمشروعات إنتاجية أو تجارية محدودة الدائرة مضمونة الربح ؟

وأزمتنا الاقتصادية فى العالم الإسلامى النامى هل هى أزمة عدالة فى جوهرها أم أزمة إنتاج ؟

هل هناك جواب واضح فى دائرة الفكر الإسلامى فى هذا المجال ؟

وما هى العناصر المطروحة للحل فى هذا وذاك ؟

إن كانت الأزمة فى جوهرها أزمة عدالة فيعود السؤال عن كيفية الربط بين المبادئ والواقع ؟

* * *

وإن كانت الأزمة فى الإنتاج فما عيوب المسلم المعاصر فى اضطلاعه بمسئولية الإنتاج ؟

وكيف نجعله (ملائماً) لمقتضيات (التكنولوجيا) المعاصرة ؟

وما التعديلات التى يجب إجراؤها على القيم المتعارضة مع طبيعة (التكنولوجيا) والتى نسمح بها فى الوقت نفسه ؟

أم نجعل الأولوية لقيم (التكنولوجيا) ؟

وإذن فما وجه الثورة على الجاهلية ؟

أم نسقط قيم (التكنولوجيا) من حسابنا وعندئذ فكيف نصمد أمام امتلاك العدو لهذه (التكنولوجيا) ؟

أم نصر على إمكان استيراد (التكنولوجيا) دون أية شائبة من قيمها الخاصة المعارضة مهما تناقض ذلك مع سنن الحياة[1] ؟

وما رأى الفكر الإسلامى المعاصر فى ظاهرة استعمال الدولة لسلطة (استصدار البنكنوت) ؟ سواء وجد لذلك غطاء أو لم يوجد ؟

وما الغطاء ؟ .. أهو الذهب أم الفضة أم الإنتاج ؟

وهل درست علاقة التضخم بالفائدة الربوية دراسة شافية ؟

وما علاقة التضخم بحكم الشريعة فى أكل أموال الناس بالباطل ؟

وما حق من يؤخذ منه بالتضخم فى أن يأخذ من غيره برفع الأجور أو رفع الأسعار ؟ أو بشكل آخر من أشكال التعويض تتحقق فيه قاعدة الغنم بالغرم ؟

هل هناك صوت مسموع للفكر الإسلامى المعاصر فى هذا المجال ؟

وما الموقف من تطبيق مبدأ (الشورى) فى الإسلام ؟

هل نأخذها كما وردت فى التراث وهى عندئذ تسمح بأقصى اليمين ، كما تسمح بأقصى اليسار ؟

وإلى أى حد لا يستقيم فى العصر الحاضر أمر الشورى ما لم تنظم (المعارضة) تنظيماً عملياً ؟

وماذا يؤدى إليه هذا الموقف من قبول فكرة الأحزاب أو رفضها ؟

وماذا عن تعاون الحكومة الإسلامية مع قوة غير إسلامية إذا اتفق هذا التعاون مع أهداف الحركة الإسلامية اتفاقاً مرحلياً ؟

---

(١) الأزهر والأزمة الراهنة فى الفكر الإسلامى المعاصر - دكتور يحيى هاشم - الكتاب التذكارى للعيد الألفى للأزهر - ص ٢٢١ وما بعدها .

أيكون ذلك (موادة) لمن يحاربون الله ورسوله .. أم عملًا من أعمال السياسة الدنيوية الإسلامية ؟

أم عملاً من أعمال السياسة التى لا شأن للإسلام بها ؟

وما الحدود التطبيقية لما يكون منها عملاً سياسياً مسموحاً به[1] ؟

وما يكون (موادة) محرمة ؟

ومن صاحب الحق فى وضع هذه الحدود ؟

ومن صاحب الحق فى الإقرار بوجودها ؟

أم ليست هناك حدود ظاهرة إنما هى أمور تتعلق بنوايا القلوب ؟

وإذًا فكيف نعرف أو نفرق بين أشد الأنظمة إخلاصاً للإسلام وبين أشدها (عمالة) لأعداء الإسلام ؟

وما الحلول التطبيقية فى عالمنا المعاصر لأزمة شبابنا فى الزواج والآثار المدمرة التى نعرفها لذلك على الحياة الاجتماعية ؟

أم نضع رؤوسنا فى الرمال نفترض أن يكون شبابنا فوق المتوسط من التقوى والتعفف فى مجتمع يعد أفرداه لا بالمئات ولا بالآلاف ولا بالملايين ولكن بعشرات الملايين ؟ وهو يموج بأعنف تيارات التغيير ؟

أين هو الفكر الإسلامى المعاصر الذى يعالج هذه المشكلة بأسلوب عال من أساليب الدراسة العملية ؟

كيف عالج الفكر الإسلامى المعاصر ثورة وسائل (الاتصال) المعاصرة فى الإذاعة والتليفزيون وشرائط التسجيل وأثرها على بناء (القيم) التى نحرص عليها[2] ؟

ففى التليفزيون مثلاً : هل نعالج الأمر بإلغاء البرامج المنحرفة ؟

---

(١) ، (٢) المصدر السابق .

حسن ، لكن ما الحل ؟

وهذا التليفزيون يستقبل برامج تبثها أقمار صناعية عالمية دون حاجة إلى محطات أرضية تستقبلها وتعيد إرسالها ؟

هل يكون الحل فى تكنولوجيا مضادة ؟

ولكن كيف نواجه الفيديو ؟

* * *

فى التاريخ الإسلامى : هل نراه قد كتب فعلاً ؟

ذلك تاريخ المسلمين ، أو تاريخ بعض منهم ، لكن أين تاريخ الإسلام بمعنى رؤية الإسلام للتاريخ من خلال قيم معينة تصعد أو تهبط من خلال العصور المتوالية ، فقد يكون هناك إذن عصر أبى حنيفة ، وقد يكون هناك عصر الغزالى ، وقد يكون هناك عصر الأشاعرة ، وقد يكون .. وقد يكون فى تقابل وتحاور وصراع بين القيم التى يمثلها هؤلاء أو أولئك ، أو يمثلها أغلبية من هؤلاء أو أغلبية من أولئك ؟

مع ما يكون لذلك من أثر خطير على رؤية الحركة الإسلامية فى المستقبل ومشاكلها وحلولها ؟

ما أثر المبالغة فى (المندوبات) المطروحة على أوسع نطاق فى الفكر الإسلامى ؟

وما علاقة ذلك بسلم الأولويات الذى يمكن طرحه فى هذا المجال [1] ؟

وهل أصبح الفكر الإسلامى المعاصر على رؤية واضحة متفق عليها بالنسبة لما يمكن أن يسمى الأولويات ؟ وهى أولويات يمكن أن تطرح

---

(١) الأزهر والأزمة الراهنة فى الفكر الإسلامى المعاصر - دكتور يحيى هاشم - الكتاب التذكارى للعيد الألفى للأزهر - ص ٢٢١ وما بعدها .

نفسها ، لا بين الواجبات والمندوبات فحسب ، ولكن بين الواجبات بعضها مع بعض أيضاً ؟!

وهل نقر سلماً للأولويات ؟ وكيف نتفق عليه ؟

أم نظل ننادى بالحل الشامل دفعة واحدة .

وكيف ننادى بالحل الشامل فى غيبة الرؤية الواضحة للحلول العملية ؟ أليس التدرج أقرب إلى إنجاز الحل الإسلامى إذ يفترض توارد الحلول شيئاً فشيئاً على الطريق ؟

وإذا أقررنا مبدأ التدرج هل تستمر درجة السخط على النظم المعاصرة كما هى شائعة فى بعض المواقع؟

أليس فى مجال كل منها توجد خطوة هنا أو خطوة هناك ؟

وعندئذ فما أثر ذلك على فعالية الرغبة فى التغيير ؟

* * *

وبإجمال أشد : هناك مشاكل فكرية وتطبيقية لا يمكن إنكارها فى مجموعة من الأمور :

فى تصور العلاقة بين رجال الفقه بالإسلام ، وبين رجال الممارسة السياسية .. فى تصور الطريقة الصحيحة للتعامل مع المجتمع الصناعى [1] .

فى التنسيق بين الحركة الإسلامية وهى تنبع من قرار السلطة العليا ، وبين حركتها وهى تنبع من الامتثال الشعبى لأحكام الشريعة .

فى ميدان التراث .. وماذا يستحق منه أن يبعث حياً .

فى ميدان التعليم ، وكيف يكون التخصص فى فقه الدين ؟

---

(١) المصدر السابق .

في ميدان الدعوة وأين نبدأ ؟
في المجتمع الإسلامي أم في مجتمع غير إسلامي ؟
وفي المجتمع غير الإسلامي أيهما أولى ؟
المجتمع المتدين بدين ، أم المجتمع الملحد أصلاً ؟
وما هي الوسائل المناسبة للعصر ؟

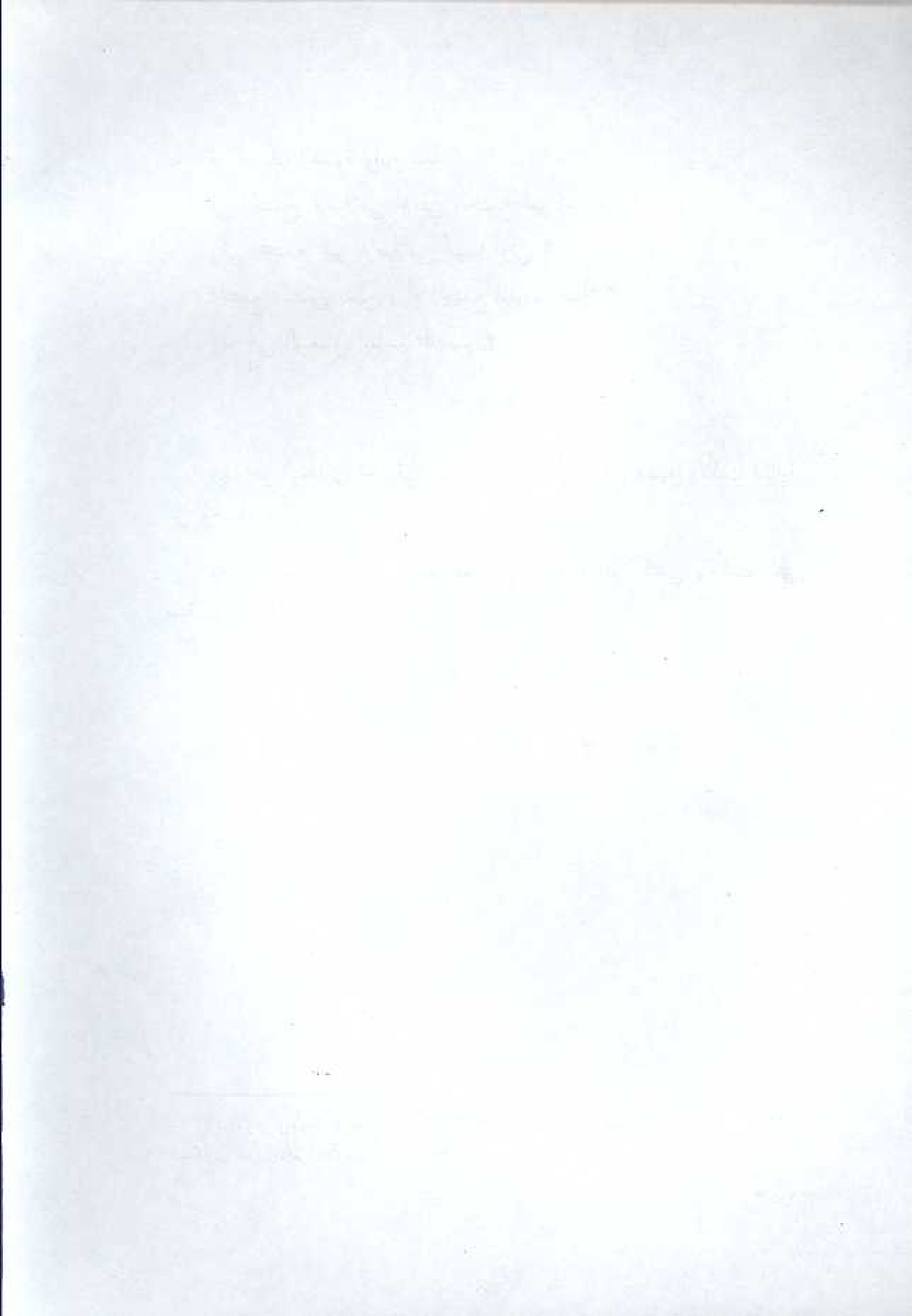
* * *

هذا هو التحدى الحقيقى الذى يواجه الأزهر فى مقتبل الألف الثانية من وجوده ..

فإما أن يواجه الأزهر هذه المشاكل .. وإما أن يكتفى بالألف التى سبقت [١] !!!

* * *

(١) الأزهر والأزمة الراهنة فى الفكر الإسلامى المعاصر - دكتور يحيى هاشم - الكتاب التذكارى للعيد الألفى للأزهر - ص ٢٢١ وما بعدها .

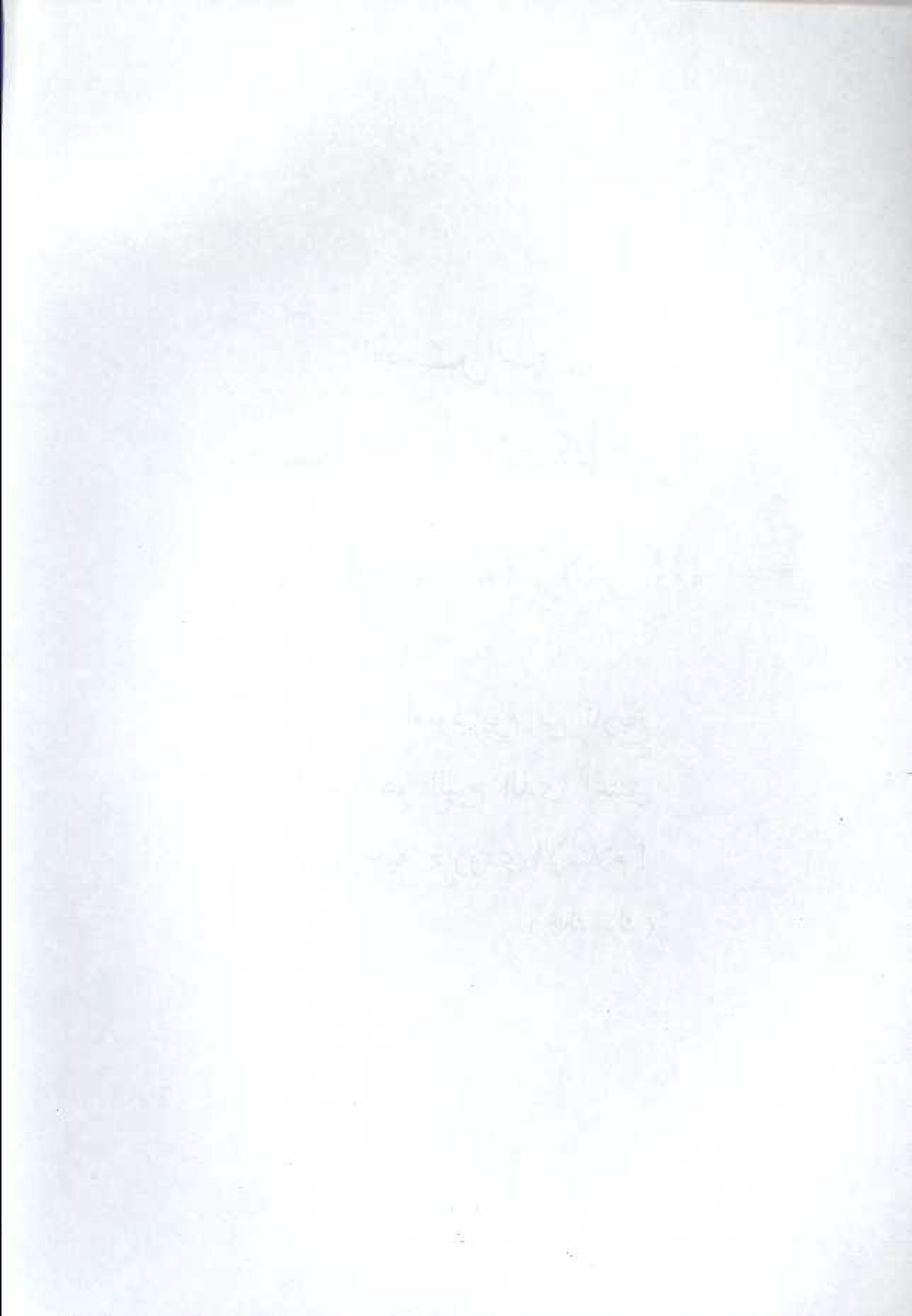


الفصل السادس

جـارودى الكافـر!
فى جامعة الأزهر !!!

كان أسود يوم فى تاريخ
فرنسا هو اليوم الذى أعتنق
فيه روجيه جارودى الإسلام !

(جاك بيرك)



ظهر فجأة ولأسباب مجهولة .. وغير مقبولة ولا معقولة ، وفى قلب جامعة الأزهر !!

ظهر على مسرح هذه الجامعة كل من :

المفتش توركو يمادا ..

والمفتش ديزا .

والمفتش سيزنيوس .

والمفتش فلوير تيو .

والمفتش مازيكى .

أما لماذا ظهروا فلمحاكمة الفيلسوف والمفكر المسلم « رجاء جارودى » بتهمة التجديف والهرطقة ، وإعلان ردته وكفره إلى عموم المسلمين فى الدنيا والآخرة !!

إن الأسماء التى ذكرتها آنفاً هى أسماء « قضاة التفتيش » الذين حكموا بإبادة المسلمين فى بلاد الأندلس ! غير أنهم كانوا - هذه المرة - من أصحاب العمائم لا من أصحاب القلانس !!!

وظهروا فى نهاية القرن العشرين لا فى القرن الخامس عشر .. وفى قلب جامعة الأزهر .. لا فى أشبيلية ، ولا قرطبة !! ولمحاكمة المفكر المسلم « رجاء جارودى » لا لمحاكمة أبى جهل ، أو محاكمة أبى لهب !!!

أما لماذا عقدت هذه المحاكمة ؟

فسر لا يزال مجهولاً حتى هذه اللحظة .. وإن لم يكن غامضاً ولا مجهولاً عند أهل الذكاء والفطنة !!!

تعالوا – معاً – نتابع أحداث هذه المحاكمة .. ووقائعها المثيرة للعجب والدهشة ..

قال أولهم : وهو شيخ ودكتور كبير !!

قال : إن « جارودى » مسلم .. ومسيحى .. وماركسى .. مرة واحدة !

والسؤال إلى الشيخ الدكتور :

كيف يلتقى التثليث بالتوحيد ؟ أم كيف يلتقى الإلحاد والإيمان ؟

أم كيف يتصور رجل فى حجم «جارودى» يقول فى وقت واحد هناك إله وليس هناك إله ؟! أو هناك إله واحد ، وهناك ثلاثة آلهة ؟ أوليس هناك إله على الإطلاق ؟!!

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول !!

وأسأل الشيخ الدكتور :

فى عهد الرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) صدر ميثاق العمل الوطنى .. وهذا الميثاق كما هو معروف ، وكما قال الرئيس : يعتمد (الاشتراكية العلمية) منهجاً للتحول الاجتماعى ، والاشتراكية العلمية – كما هو معروف – هى الماركسية !!

وقد فرض تدريس هذا الميثاق على طلبة الأزهر ، وسارع كبار شيوخه – فى هذا الوقت – إلى الترحيب بهذا الميثاق كأنه وحى أنزل [1] !

فلماذا لم يتهم هؤلاء الشيوخ الكبار بالردة ، والخروج من دائرة الدين والملة ؟!!

---

(١) انظر فى هذا الموضوع :
(أ) الاشتراكية العربية – دكتور محمد البهى – مطبعة الأزهر .
(ب) القيم الروحية فى الميثاق – دكتور محمد بيصار .

وأعود لأسأل الشيخ الدكتور مرة ثانية :

هل تذكر رئيس أندونيسيا السابق (أحمد سوكارنو) ؟ بالتأكيد تعرفه .

(سوكارنو) هذا صنع (ديناً جديدًا) للشعب الأندونيسى المسلم أطلق عليه اسم (الفانشا سيلا) وكان ديناً يجمع بين الإسلام ، والمسيحية ، والشيوعية ، والهندوكية !!!

وحين ثار الشعب الأندونيسى ضد هذه الهرطقة وهذا الكفر ملئت السجون بعشرات الألوف ، وقتل الكثيرون بأفواه البنادق .. ووضع الزعيم المسلم الدكتور محمد ناصر وإخوانه فى قبو تحت الأرض !!

فماذا كان موقف الأزهر من سوكارنو ؟

لقد منحه الأزهر درجة الدكتوراه الفخرية ، وقال الأزهر فى حيثيات منحه هذه الشهادة :

إن الأزهر باستقبال فخامتكم اليوم إنما يستقبل قائدًا عظيماً من قواد حركات التحرر فى البلاد الإسلامية ، يستقبل زعيماً تمرس فى الكفاح من أجل حرية بلاده واستعذب العذاب من أجل سيادة أمته ، واستطاب السجن والنفى والمشاق فى سبيل تكوين شعبه واستقلاله وحياته الكريمة !!

يستقبل الأزهر فخامتكم اليوم مسجلاً تاريخكم المجيد منذ نشأتكم ، وفى شبابكم حتى وقتكم الحاضر .. وهو تاريخ ملىء بالأحداث الكبرى ، أحداث المجد والعظمة التى ترتبط بعظمة أمة إسلامية كبرى ، وبفك أسرها من قيود الاستعمار الأجنبى ، وبتمكين أبنائها من الحياة الإنسانية الكريمة ، وهى حياة الإيمان ، والحرية ، والعلم والمعرفة ، والعمل الصالح المثمر المعمر .

وقد أراد الأزهر أن يعبر عن تقديره لكفاحكم المجيد ، فقرر مجلسه الأعلى فى جلسته المنعقدة فى السادس والعشرين من شوال سنة ١٣٧٩هـ الموافق الواحد والعشرين من أبريل سنة ١٩٦٠م ، أن يمنح سيادتكم شهادة

العالمية الفخرية من درجة أستاذ فى الفلسفة ، ليرى فيكم ابناً من أبنائه ، وعنصرًا من عناصره العاملة المجاهدة !!

* * *

وقد كان لمنح الأزهر (سوكارنو) هذه الشهادة وقع الصاعقة على مسلمى أندونيسيا .. بل على جميع المسلمين فى الشرق الأوسط والشرق الأقصى !!

وأسأل مرة ثالثة الشيخ الدكتور :

فى عهد وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق [١] أقيمت صلاة الغائب على (باتريس لومومبا) رئيس جمهورية الكنغو الأسبق ، وبأمر من الوزير الأزهرى !

هل يعلم الشيخ الدكتور من كان لومومبا ؟

(لومومبا) هذا كان شيوعياً قحاً ، ولأنه كان كذلك فقد خلد الاتحاد السوفيتى الهالك ! ذكراه باطلاق اسمه على جامعة فى موسكو !!

فكيف بالله أقيمت الصلاة على ملحد .. بل كيف سكت الجميع فى الأزهر ، وفى الأوقاف ولم ينطق منهم أحد ؟!!

وأسأل الشيخ الدكتور وللمرة الرابعة :

هل سمعت بما كتبه .. رئيس تحرير مجلة الأزهر .. لقد كتب يقول : تحت عنوان (أمة التوحيد تتوحد) [٢] :

(إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة ، لأنها قامت على العقيدة ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول ، وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة ، لأنها قامت على السلطان ، والسلطان يعتريه الوهن فيزول .

---

(١) كان هذا فى الستينات .   (٢) محرم ١٣٨٣ هـ .

أما الوحدة الناصرية فباقية نامية ، لأنها تقوم على الاشتراكية فى الرزق .. والحرية فى الرأى .. والديمقراطية فى الحكم .. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة) !!

هل يصدق أحد صدور مثل هذا الكلام من مسلم ؟

وهل يتصور عاقل أو حتى مجنون أن يكتب هذا فى مجلة الأزهر ؟

والأعجب من هذا كله .. إن الأزهر لم ينطق بكلمة أو يتحرك !!!

لقد ضج العالم الإسلامى من هول الصدمة ، وانبرى العلماء والمفكرون يسفهون هذا المقال وصاحبه فى جميع أنحاء الدنيا ..

* * *

يقول علامة المسلمين فى الهند « أبو الحسن الندوى » فى تعليقه على مقال رئيس تحرير مجلة الأزهر :

اجتمع فريق من الشباب والشعراء فى فندق « العرب » فى لاهور مرة ، وكان فى الجماعة شباب شيوعيون فى غاية من الذكاء وسلاطة اللسان ، وتجاذبوا مع الأستاذ « اختر الشيرانى » أطراف الحديث ، وصاروا يتناقشون معه فى موضوعات شتى .

وكان الأستاذ الشيرانى قد شرب كأسين من الخمر ، وقد فقد رشده وملكته نشوة الخمر ، وأخذته رعشة فى الجسم ، وكان يتكلم كلاماً متقطعاً غير متزن ، وكان معروفًا بالإعجاب الشديد بنفسه والتيه بها ، وكان لا يعترف بغيره من الشعراء .

ولست أذكر اليوم جيدًا الموضوع الذى كان يدور البحث فيه ، ولكن أذكر أنه قال : قد ظهر فى المسلمين ثلاثة نوابغ عبقريين ، أولهم : أبو الفضل [1]

---

(١) من وزراء الامبراطور « أكبر » وصاحب « أكبر نامة » المأثرة العلمية التى تعتبر من الكتب الخالدة فى التاريخ والدستور وتخطيط البلاد .

والثانى : أسد الله خان غالب [1] ، والثالث : أبوالكلام أزاد [2] ، أما الشعراء المعاصرون فكان لا يعترف لأحد منهم بالمساواة أو المجاراة ، وقد سأله الشباب الشيوعيون عن الشاعر الكبير (فيض أحمد فيض) فأعرض عن الجواب ، وسألوه عن (شبير حسن جوش) الشاعر المعروف فقال : ليس بشاعر إنما هو ناظم .

وهكذا كان موقفه من جميع الشعراء المعاصرين ، استخفاف أو إعراض ، أو تبسم ، أو تنكيت ، ولما رأى الشباب أنه لا يعترف بقيمة حركة الأدب التقدمى لجأوا إلى موضوع آخر ، لعله يثيره أو يحرك منه ساكناً ، فقالوا : يا سيدى .. ماذا تقول عن النبى الفلانى ؟ .. وكانت عيناه محمرتين ، وأخذت الخمر فيه كل مأخذ ، وكان لا يملك لسانه ولكنه أفاق وقال : ما هذا الهراء ؟

لا تتحدثوا إلا عن الأدب والإنشاء والشعر والشعراء ، فعطف عنان الكلام إلى أفلاطون ، وقال : ما رأيك عن مكالماته ؟ وسألوه عن أرسطو وسقراط ، وكان نشيطاً للكلام فقال : أمة قد خلت .

حدثونا عن شخصياتنا وحاضرنا .. إن أولئك الفلاسفة لو كانوا فى عصرنا لتتلمذوا علينا .. ما لنا ولأولئك حتى ندلى برأينا فيهم ؟

* * *

وانتهز شاب من هؤلاء الشباب الشيوعيين فرصة نشاطه ومرحه فقال : وما رأيك عن سيدنا محمد ؟

---

(١) شاعر أردو ، يعتبر من أئمة الشعر الأردى ، وصاحب مدرسة خاصة ، كان فى القرن الثالث عشر الهجرى .

(٢) العالم الأديب المعروف ، رئيس المؤتمر الهندى الوطنى الأسبق ، ووزير المعارف فى الجمهورية الهندية سابقًا .

وكأنما نزلت صاعقة وهبت عاصفة ، فلم يكد الشاب يتم جملته حتى تناول الشاعر السكران كأس الزجاج وضربها على رأسه قائلًا :

يا قليل الأدب ..! أنت توجه هذا السؤال الوقح إلى رجل مذنب معترف بشقائه .. ماذا تريد أن تسمع من فاسق؟ وكان جسمه يرتعد .. وانفجر باكياً ، وأجهش بالبكاء ، وأقبل على الشاب الوقح يقول له فى عنف وغضب :

كيف سولت لك نفسك يا خبيث أن تذكر هذا الاسم النزيه المقدس؟ كيف تجاسرت على ذلك يا قليل الأدب ، يا قليل الحياء ، لقد كان لكلامك مجال واسع .. فلماذا دخلت فى هذا الحمى المقدس ؟ تب إلى الله من هذا السؤال الوقح .. إننى أعرف خبث باطنك جيدًا ، وعرف الشر فى وجهه وكأنه يريد أن يفتك بالشاب ويسطو به !!

أما الشاب فقد سقط فى يديه ، وغاب رشده ، ولم يكن يقدّر أنه سيلقى هذه النتيجة الوخيمة ، وأنه يوقظ فى الشاعر هذا الليث الثائر ، ويثير فيه هذه الشرارة الكامنة .. شرارة الإيمان والحنان ، وشرارة الحمية والغيرة ، فكان لا يعرفه إلا شاعر الهوى والشباب ، وشاعر الغزل والغرام ، وحاول أن يشغله عن هذا الحديث المثير ، وأن يهدئ فيه هذه الثائرة ، ولكنه لم ينجح ، ولم تهدأ ثائرة (اختر) فأمر بإخراجه من المجلس ، ثم قام بنفسه وبات طول الليل باكياً يقول :

لقد بلغ هؤلاء الشباب الملحدون هذا الحد من الوقاحة والجراءة .. إنهم يريدون أن ينتزعوا منا آخر ما نعتز به ونعيش عليه من حب وولاء ، وإخلاص ووفاء ، إننى رجل مذنب ، لا شك أعترف بذنبى ، ولكن هؤلاء يحاولون أن نخلع ربقة الإسلام ، ونخرج من حظيرة الإيمان ، لا والله ، لا نرضى بذلك !!!

ولكن - وا أسفاه وا ويلاه - ما أبعد المسافة بين هذا الوفاء العجمى وهذه الغيرة الإيمانية الثائرة المضطرمة التى يمثلها شاعر لم يكن قط من أبناء العرب ، ولم يتكلم مرة بلغة العرب ، نشأ بعيدًا عن البيئة الدينية والعلمية والأزهر الشريف ، عاش فى مجالس الشرب ونوادى اللهو ، وأوساط الشعر والأدب ، وعرف بالاستهتار وخلع العذار .

ما أبعد المسافة بينه وبين أديب كبير .. رضع بلبان اللغة العربية وآدابها الإسلامية ، واشتهر بمقالاته فى السيرة النبوية والموضوعات الإسلامية ، يرأس تحرير مجلة هى لسان حال الأزهر الشريف ، مثابة العلم والعلماء ومعقل الدين الحنيف .

كيف يقرن الاسم الذى هو من أكرم الأسماء وأعزها عند المسلمين باسم حاكم مصر ، ويقارن بينهما ، ثم تبلغ به الوقاحة إلى أن يعلن رجحان « ناصر » فى هذا الميزان ، وأن الوحدة التى يتزعمها وحدة باقية نامية ، أما الوحدة التى دعا إليها محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فمعرضة للضعف والتحول .. يا ليته لم تلده أمه .. ويا ليتنا لم نعش لنسمع ذلك [1] !!!

* * *

لنعدْ إلى قاعة المحكمة مرة ثانية :

فقد قال آخر من قضاة التفتيش الجدد .. إن إسلام هذا الرجل .. يقصد جارودى .. إسلام من نوع خاص !! فقد أسلم وهو كبير السن .. والعقيدة ليست ثقافة فى كتب بل واقع معاش منذ المولد !!

وهذا الكلام لم يقل به أحد - قبل قضاة التفتيش - بل لم يخطر على بال أحد حتى إبليس ..

---

(١) لقد ضاعت الوحدة .. وضاعت بعدها القومية والاشتراكية ، واحتلت أرض مصر العزيزة الغالية ، ثم مات « ناصر » نفسه ! .

إن قضاة التفتيش الجدد .. يقيسون إيمان الرجل بـ (المتر) أو (السنتيمتر) !! ويزنون إسلامه بـ (الكيلو) أو (الرطل) !! ويحددون مكانه فى الآخرة أو الجنة باليوم والسنة والشهر !!

وهذا كلام لم يقل به أحد حتى الأنبياء والرسل .. وحتى على الكافر والمشرك ، فالأعمال بخواتيمها كما يقول النبى العظيم محمد[1] !! لكنه حدث فى جامعة الأزهر .. وفى يوم حزين أسود .. وفى سابقة لم يسمع بها فى تاريخ الأديان والملل والنحل !!

المحاكمة .. لا تزال قائمة .. وقضاة التفتيش يتداولون - فيما بينهم - حول تهم أخرى لا تزال باقية !! وهنا أعلن أحدهم فجأة .. وألقى بهذه القنبلة .. قال :

إن جارودى لم يعتنق الإسلام أصلاً حتى يقال إنه ارتد عنه فعلاً !!

والسؤال هو : إذا لم يكن جارودى مسلماً .. فكيف تحاكمونه بتهمة الردة ؟

إن الردة لا تكون إلا من مسلم ارتد فعلاً .. وبما أن الرجل لم يكن مسلماً فلماذا تحاكمونه أصلاً ؟!! هذه واحدة ..

أما عن اعتناقه الإسلام فقضية لا تقبل نقاشاً ولا جدلاً .. ومن العار على جامعة الأزهر أن يحدث فيها مثل هذا الجدل أصلاً ..

كيف نسى قضاة التفتيش أول زيارة لرجاء جارودى إلى مصر ؟

لقد وجه الأزهر إليه الدعوة بمناسبة الاحتفال بعيده الألفى !!! وألقى « جارودى » بهذه المناسبة محاضرة فى قاعة الشيخ محمد عبده ، وكان

---

(١) فى كتب السيرة أن رجلاً أسلم قبل بدء القتال فى إحدى الغزوات ، فلما بدأ القتال قاتل حتى قتل فشهد له النبى بالجنة بالرغم من أن الرجل مات قبل أن يؤدى فريضة واحدة !!

شيخ الأزهر وغيره من كبار المسئولين فى الدولة من أوائل المرحبين بهذه الزيارة ؟؟ وقد احتفلت مصر كلها بـ « جارودى » فى هذه المناسبة !!

وأسأل مرة ثانية :

إن جائزة الملك فيصل فى خدمة الإسلام لا تمنح إلا لمن قدم إلى الإسلام خدمات جليلة ، وقد منح « جارودى » هذه الجائزة ، وقد تبارت الصحف فى مصر وخارج مصر فى الثناء على منحه هذه الجائزة ..

فهل تمنح جائزة الملك فيصل ، وفى خدمة الإسلام للكفرة والملحدين ؟ أم تمنح هذه الجائزة لماركس وانجلز ولينين !!!

وفى هذا الحوار الذى أجرته معه مجلة « الفيصل » فى مدينة « الرياض » ! .. أجل فى مجلة « الفيصل » وفى مدينة « الرياض » !!!

وفى هذا الحوار يسدل الستار على « ديوان التفتيش » الذى ظهر فجأة فى « جامعة الأزهر » وبين أصحاب العمائم .. لا أصحاب القلانس .. وفى نهاية القرن العشرين .. لا فى نهاية القرن الرابع عشر ، ولا القرن الخامس عشر !!

تقول مجلة الفيصل :

فى خلال أقل من شهرين ، كان المفكر الأوربى المسلم ، رجاء جارودى [1] فى مدينة الرياض مرتين :

أولاهما : خلال الفترة بين يومى ١٢ - ١٨ / ٥ / ١٤٠٦هـ (٢٢ - ٢٨ / ١ / ١٩٨٦م) ، وحضر خلالها جلسات المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامى الذى تضمن المؤتمر العالمى للأقليات المسلمة .

والثانية : خلال الفترة من يوم ٢٧ / ٦ / ١٤٠٦ هـ ، ولمدة أسبوع

---

(١) روجيه جارودى « رامى كلاوى » - دار قتيبة - ١٩٩٠ م .

(٨ / ٣ / ١٩٨٦م) لحضور احتفالات مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمناسبة مرور عشرة أعوام على إنشائها من ناحية .. واستلام جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام من ناحية أخرى ، التى فاز بها « جارودى » عن هذا العام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) مع الأستاذ « أحمد حسين ديدات » من جنوب أفريقيا .

وفى زيارتيه للرياض ألقى محاضرتين :

(أ) الدور الذى لعبته الاستراتيجية الصهيونية فى الصراع العقائدى فى الغرب ، وكيفية مواجهته .. ألقاها مساء يوم ١٦ / ٥ / ١٤٠٦ هـ .

(ب) كيف أسلمت .. ألقاها مساء يوم أول رجب ١٤٠٦ هـ (١٢ / ٣ / ١٩٨٦م) .

وفى الزيارتين كان لقاؤنا التالى مع المفكر الفرنسى المسلم « رجاء جارودى » :

س : قضيتم جزءًا كبيرًا من حياتكم فيلسوفًا ومفكرًا ، كانت لكتاباتكم وإسهاماتكم تأثيرات كبيرة فى عالم اليوم .. واليوم نلتقى بكم فيلسوفًا ومفكرًا مسلمًا .. هل ترون أن فارقًا ما قد طرأ على أسلوب تفكيركم وعلى كتاباتكم .

ج : بكل تأكيد .. وهذا الفارق يتجسد فى الطاعة غير المحدودة لأوامر الله التى علمنا إياها نبى الله إبراهيم - أبو الأنبياء - الذى قدم لنا المثال ، والأنموذج ، والقدوة الحياتية المتكاملة ، وعندما اعتنقت الإسلام شعرت أننى قد ضمنت لحياتى كلها نوعًا من التوحد والنظام ، اللذين كان لهما أبلغ الأثر على توجهاتى وكتاباتى ونظرتى إلى الأمور .

س : أنتم الآن فى العقد الثامن من عمركم المديد بإذن الله .. ما توجهاتكم نحو مجتمع مستقبلى ، وخصوصًا المجتمع الإسلامى ؟

ج : إن على المسلمين أن يعيدوا إلى العقل المستنير بالتعاليم الإلهية بعديه الحقيقيين الكاملين :

- بعد الحكمة فى البحث عن الغايات ، وعن الله الخالق .

- وبعد العلم الباحث عن الأسباب والوسائل .

لقد صنع هذا الاستعمال الكامل اللامحدود للعقل الجامع بين العلم والحكمة والوحى الإلهى ، مجد الجامعة الإسلامية فى قرطبة .. التى كانت مصدر إشعاع على أوروبا كلها لعدة قرون .. ومن خلال تلك الجامعة كان المسلمون هم رواد النهضة الأوربية الذين أعطوا الدفعة الأولى لعلومها ، وفنونها .

وباستطاعتهم - من الآن فصاعدًا - أن لا يسعوا إلى استعادة هذا الماضى فحسب ، بل وأن يسهموا فى زرع أغصان جديدة على شجرة الحقيقة .

بهذه الكيفية يمكن تغيير محور العالم الحديث ، وإنقاذه من انحرافاته القاتلة .. شريطة أن لا ننسى أبدًا أننا لا ندافع عن « فولكلور » شعب معين ، بل عن رسالة بشرية شاملة .

إن الإسلام - منذ ميلاده - لم يكن تقليدًا موروثاً عن الماضى .. بل كان مشروعاً للمستقبل .. والإخلاص للأجداد لا يعنى الاحتفاظ بآثارهم بقدر ما يعنى تناقل الشعلة الدافئة التى حركتهم .

س : حصولكم على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام هو تتويج لكفاح وإنتاج فكرى ومواقف كنتم الطرف الحاسم فيها .. ما انطباعاتكم عن الجائزة وعن فوزكم بها ؟

ج : لقد شعرت بالسعادة لفوزى بجائزة الملك فيصل فى خدمة الإسلام .. إن منحها يعتبر تتويجاً لعمل طيب .. تتويجًا لعمل أداه إنسان ما فى خدمة الإسلام فى بلاد غير إسلامية أيضاً .. جاءت الجائزة ثمرة

لقضايا تشبه تلك التى ناقشتها فى كتبى :

- الإسلام دين المستقبل .
- بيوجرافيا القرن العشرين : وصيتى الفلسفية .
- المساجد مرآة الإسلام .
- فلسطين أرض الرسالات المقدسة .

إن فوزى بهذه الجائزة ، قد يلهم غيرى من المسلمين ويحفزهم - بما نقدم إليهم من مساعدة - إلى تحقيق الأمل الكبير الذى يتمثل فى بعث الحياة فى مسجد قرطبة فى أسبانيا كى يعود من جديد ، كما كان من قبل مركز إشعاع الثقافة العربية الإسلامية فى أوروبا .. لقد رفعت الجامعة الإسلامية فى قرطبة لواء العلوم والحكمة والعقيدة !!!

س : يواجه العالم الإسلامى تحديات معاصرة .. ما أبعاد هذه التحديات على حياة المسلمين .. وما أساليب مواجهتها ؟

ج : إن العصرية بالنسبة للمسلم لا تعنى تقليد الغرب .. فمأساة المسلمين الكبرى - بعد حملة نابليون على مصر - تمثلت فى خلطهم بين التعصير والتغريب ، كما أن الأصالة - هى الأخرى - لا تعنى الرجوع إلى المصادر ، والتقوقع فى الماضى ، والدخول إلى المستقبل بخطى تتجه إلى الوراء .. الحياة فى نظر الإسلام هى أن يظل الفرد على طبعه ، وأن ينفتح على « الاجتهاد » وأن يبحث فى القرآن عن الفكر .. إن إسلامًا حيًا كهذا .. نعيشه على هذا النحو وطبقًا لمبادئه ذاتها .. قادر على أن يحظى - فى عالم اليوم - بانتشار لا يقل فى شىء عن انتشاره فى أيام ازدهاره فى القرن الثامن للميلاد .

س : ما الدوافع التى كونت لديكم الاقتناع فى اعتناق الإسلام .

ج : دعنى أقل لك : إن اعتناقى الإسلام لم يكن شيئاً من قبيل التجربة ،

ولكنه كان شيئاً كالإنجازات الكبرى فى حياة الإنسان .. وعندما شرح الله صدرى للإسلام عرفت أن الإسلام ليس مجرد دين يختلف عن بقية الأديان فحسب ، بل إنه دين الله .. دين الفطرة التى خلق الله الناس عليها .. دين يكون الإنسان به هو روح الكون وسيده .. أعنى بذلك أن الإسلام هو الدين الحق منذ خلق الله آدم .. الإنسان الأول ..!!

س : الدعوة إلى الإسلام .. هل أدت دورها .. وما السبيل لنجاحها فى المجتمعات الإنسانية ؟

ج : نحن الأقليات لنا فرصة عظيمة فى الدعوة إلى الإسلام .. وخاصة فى الغرب .. والتقاؤنا بإخواننا المسلمين فى مؤتمر الأقليات المسلمة ، يتيح لنا الفرصة لرسم أهداف هذه الرسالة ، والتشاور حولها مع إخواننا ، والعمل على توحيد التصورات وتنسيق الجهود .. وإذا كانت الصهيونية العالمية قد نجحت فى تحقيق الاتصال بين أشتات اليهود فى العالم ، والتنسيق بين جهودهم ، فإن علينا – نحن المسلمين – أن نفعل نفس الشىء لأنه واجب شرعى ، هذا بالإضافة إلى ما للالتقاء الشخصى والعلاقات الأخوية من أهمية كبرى تتجاوز حدود القوالب الرسمية ، لأنها وحدها هى التعبير الصادق والجيد والواضح عن الأخوة والوحدة الإسلامية .

س : كيف ترون مهمة المفكر المسلم فى القرن العشرين ؟

ج : إن باستطاعة المسلمين اليوم أن يحملوا إلى الغرب رسالة الفجر .. وباستطاعة الإسلام أن يستعيد سطوته التى كانت له خلال القرن الأول للهجرة .. حين نشر جناحيه على قمم جبال الهمالايا والبيرينى !!

لقد أخذت الحضارة الغربية تشعر باخفاقها ، سواء فى مثالها

الأمريكي ، أو في مثالها السوفياتي .. فالعالم الثالث يموت بسبب افتقاره إلى الوسائل ، بينما العالم الغربي يموت بسبب افتقاره إلى الغايات .. ثم إن علوم الغرب وتقنياته قد وضعت طاقات رجل عملاق في يدى قزم منحرف ضال !! ولأنها وجهت إلى خدمة أغراض القوة والمتعة والنمو ، فإن هذه العلوم والتقنيات أدت إلى أن نطلق اسم « السلام » على ذلك التوازن القائم على الرعب ، والذى قد يؤدى بكلتا القوتين العظميين المتجابهتين إلى القضاء على الكرة الأرضية بأسرها .. إلى الملايين من الغربيين الذين يقدرون فداحة هذا الخطر ، وإلى الملايين من ذوى النوايا الصادقة في كل العالم : الذين يبحثون قلقين – فى هذا الليل الدامس – عن معنى لحياتهم وموتهم وتاريخهم المشترك .. إلى كل هؤلاء يستطيع الإسلام أن يجئ بالنور المؤدى إلى الصراط المستقيم الذى يهدى الله إليه عباده .

* * *

– انتهى كلام مجلة الفيصل ..

أيقال بعد هذا كله .. إن « جارودى » لم يكن مسلماً حتى يرتد ؟! وأنه لم يدخل فى الإسلام ولم يعرفه قط ؟!!

من المسئول .. لا أحد !

ما السبب فى هذا الخلط (والخبط) لا جواب ! .. ما السر وراء هذا الجنوح وهذه الفوضى فى إصدار أحكام لا صلة لها بالدين .. ولا صلة لها بالعقل .. ولا صلة لها بالعدل ؟!

آه أيها الأزهر .. كم من الجرائم ترتكب باسمك !!!

* * *

المحاكمة قائمة .. فلا يزال أحد قضاة « التفتيش » متحفزًا ليقول كلمة .. وتكلم القاضى قبل أن ترفع الجلسة ويسدل الستار على هذه المهزلة :

فقد قال : إن هذا الرجل ينكر السنة ، وينكر الأحاديث تفصيلاً وجملة ؟!

وقد رد « جارودى » على هذه الفرية .. وكتب بخط يده ينفى هذه التهمة .. أو هذه الجريمة .. يقول « جارودى » :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ١٩ من مارس تسلمت من المحكمة شكوى ضدى متضمنة تهمة ونهديدًا بالسجن لمدة عام .. وذلك أثر صدور كتابى الأخير « الخرافات التأسيسية للسياسة الإسرائيلية » الذى أظهرت فيه أنه لا النصوص التوراتية ولا اضطهادات هتلر يمكن أن تبرر سرقة أراضى الفلسطينيين وطردهم وتعرضهم للاضطهاد والقمع الدموى المسلط عليهم .. كما لا يمكن أن تبرر خطة تفتيت وتفكيك الدول العربية وهى جوهر السياسة الإسرائيلية كما عرضتها المجلة الصهيونية « كيفونيم » وهى الخطة التى سبق أن نشرتها فى كتابى وقمت بدحضها .

بعد ذلك بأيام جلب لى إخوة من فلسطين صحيفتين هما « المجلة » و « عكاظ » وصحفاً خليجية أخرى تتخللها صور لى ، اعتقدت بسذاجة فى بادئ الأمر أن المقالات تدافع عنى ، لكنى اكتشفت العكس أنها تعمل على سلبى مصداقيتى بأكثر الحجج كذبًا وتزييفاً .

إن هذه الحملة التى أتعرض لها وثيقة الصلة بموقفى من حرب الخليج ورفضى التدخل الأجنبى فى شئون الأمة الإسلامية .

ينتقدون .. ويؤاخذون بالافتراء على أننى أزرع الشك بحق أبى حنيفة والشافعى فى حين أننى أقدمهما بشكل خاص كمثال يحتذى فى جميع

كتبى ومقالاتى .. إن هذين الفقيهين العبقريين اللذين نجحا .. انطلقا من مبادئ خالدة فى الشريعة تؤكد كما أكد القرآن أن (الله وحده المالك ، والله وحده الحاكم ، والله وحده العالم) نجحا أيضًا فى أن يقيما فقهاً يستجيب لحاجة بلدهما وزمنهما .. وأصبحا بالنسبة إلينا نموذجاً لهذا التفكير والتأمل الذى يدعونا إليه القرآن بلا انقطاع .. أى إقامة فقه للقرن العشرين انطلاقًا من الشريعة الخالدة والثابتة .

فى حين أن انتقاداتى تعمل على كشف إسلام البعض الذى يدعى فرض القرن العاشر على القرن العشرين .. يتهموننى برفض السنة ، وهذه كذبة أخرى ، لأننى ألومهم على الاستخدام السياسى للسنة ؟!

عندما حطم السادات الوحدة العربية ، وذهب إلى الكنيست الصهيونى ومن ثم إلى أمريكا ، وإلى كامب ديفيد ليوقع سلاماً منفصلاً مع إسرائيل .. جاءت فتوى من الأزهر تحيى خطوته وتضفى عليها الشرعية الدينية !!

وعندما نظم المستعمرون الغربيون القدماء وزعيمتهم أمريكا فى شرم الشيخ .. استعراضًا كبيرًا أى تجمعاً لرؤساء الدول لمحاربة الإرهاب وذلك بالتضامن مع أعتى وأسوأ الأرهابيين أى الحكام الإسرائيليون ، وعين الهدف وهو إيران .. بانتظار أن يأتى دور ليبيا .. نرى نفس الحكام العرب يسارعون لتلبية نداء السيد الأمريكى ويذهبون ليذلوا أنفسهم الواحد بعد الآخر فى تل أبيب أمام الحكام الإسرائيليين (عدا ثلاثة من زعماء المسلمين) .

هل احتج العلماء الذين يتهموننى ضد قمة شرم الشيخ ؟

هل دعوا إلى اجتماع دولى للتضامن مع الفلسطينيين بعد المذبحة الإرهابية ضد المسلمين أثناء تأديتهم الصلاة على يد الإسرائيليين ؟

كلا .. لقد صمتوا كلياً !!!

هل ندوا بالمنظمة العالمية للتجارة (الجات سابقاً) وبصندوق النقد

الدولى الذى تفرض تعليماته على العالم الثالث الخضوع والتبعية ؟

كلا لأن سادتهم الأمريكيين لم يسمحوا لهم بذلك !!

إن شاغلهم الأساسى هو تشويه أقوال « جارودى » وردى الوحيد عليهم هو الكتاب الذى ألخص فيه تاريخ الإسلام وهو كتاب (عظمة وانتكاس الإسلام ١٩٩٦م) مذكرًا بإيمانى بالإسلام ومحاربتى الحكام السياسين الذين يدنسونه .

إن البلدان العربية التى يحكمها مثل هؤلاء الحكام الذين فى خدمتهم هذه الفئة من رجال الدين هم المزيفون للإسلام الذى لن يعثر على عظمته وإشعاعه العالمى إلا عندما تطرد الشعوب هؤلاء الحكام وحماتهم الأمريكان إلى بلدهم حاملين معهم فى حقائبهم الحكام غير المؤهلين وغير الجديرين والعلماء الذين تعاونوا معهم .

حينذاك سيستعيد الإسلام حيويته وعافيته التى كانت له فى القرن الأول الهجرى وقواه التجديدية الدائمة المتمثلة فى إنعاش وإحياء العلوم الدينية علوم الغزالى العظيم ، وكذلك إعادة بناء الفكر الدينى للإسلام لمحمد إقبال ، وسادتى المبجلين كالأفغانى ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، وحسن البنا ، وابن باديس ومالك بن نبى ، وأخى المخلص حتى الموت محمود أبو السعود الذى أحاول كتلميذ مخلص أن أواصل أثره – فى نفس الوقت – فى الأندلس حيث أسست فى قرطبة عاصمة الخلافة فى الغرب وفى برج كالاهورا ، المتحف الوحيد المكرس فى أسبانيا للتذكير بالوجه الحقيقى للإسلام الأندلسى ضد أعدائه والذى يزوره كل عام ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف شخص ، وحيث أناضل فى فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وجميع البلدان الغربية ضد اللوبى الصهيونى ، وأشجب الجرائم وأفضحها .

هكذا أعتقد أننى أؤدى واجبى كمسلم مخلص للقرآن الذى يدعونا بلا توقف لعبادة الله الذى لم ينقطع عن خلق وإعادة خلق العالم .

إن الوفاء للإسلام لا يعنى الاحتفاظ بالرماد بل بحمل الشعلة ونقلها من جبل لآخر [1] .

هذا هو الحق ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ يونس : ٣٢

وأقول معقباً :

إن الحكم بردة أى مسلم أمر خطير .. يترتب عليه حرمانه من كل ولاء وارتباط بالأسرة والمجتمع ، حتى إنه يفرق بينه وبين زوجه وأولاده .. إذ لا يحل لمسلمة أن تكون فى عصمة كافر ، كما أن أولاده لم يعد مؤتمناً عليهم .. فضلاً عن العقوبة المادية التى أجمع عليها الفقهاء فى جملتها .

لهذا وجب الاحتياط كل الاحتياط عند الحكم بتكفير مسلم ثبت إسلامه ، لأنه مسلم بيقين ، فلا يزال اليقين بالشك .

والخطأ فى ترك « ألف كافر » فى الحياة أهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم مسلم !!!

لقد حضر (جارودى) إلى مصر بعد هذه المهزلة أو هذه المضحكة !

دعته كل الجامعات وكل الهيئات .. وكل المثقفين من جميع الفئات .

ألم يكن أولى بجامعة الأزهر توجيه هذه الدعوة !!

ولكن من يضع الجرس فى عنق القط !

ومن يقدر على مواجهة « جارودى » بعد ما نسب إليه من إفك .. وبعد ما وقع عليه من ظلم !!

* * *

---

(١) جريمة الردة وعقوبة المرتد - دكتور يوسف القرضاوى - ص ٥٨ وما بعدها - مكتبة وهبة - القاهرة .

وفصل المقال فيما نسب إلى (جارودى) من اتهام تلك الشهادة التى أدلى بها مفكر محايد ومسلم عرف (جارودى) عن قرب .. وعرف ما لم يعرفه غيره من أسرار هذه الحملة أو هذه الحرب !!

يقول الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى [1] :

عرفت (روجيه جارودى) وهو فى أوج عنجهيته زعيمًا ماركسيًا .. ورسول تجديد الاشتراكية المادية لا فى فرنسا وحدها بل فى أوروبا كلها .

كان ذلك فى الملتقى الفكرى الذى عقد « بتمراست » فى جنوب الجزائر .. لقد ضاق يومها ذرعًا بالنقاش الذى اتجه إليه من كل صوب بسائق من أمل التغلب على أفكاره المادية ، وقطع دابر مناقشاتهم معلناً بأنه ماركسى النزعة والتفكير ، فلا يطمعن أحد بأكثر مما قد ألزم نفسه به وهو تجديد الفكر الماركسى ودفعه إلى مسايرة الحضارة الأوروبية الحديثة .

ثم عرفته ورأيته ، وهو فى أبرز مظاهر تقبله وعبوديته لله عز وجل مستسلماً لشرعته وأحكامه ، وكان ذلك فى الملتقى الفكرى الذى عقد فى قسطنطينة بالجزائر أيضاً .. لقد اتبعته بصرى يومها .. وقد خرج ضيوف الملتقى مع الغروب من قاعة المحاضرات فى جامعة قسطنطينة ، فى أعقاب يوم حافل ورأيته انفرد عنهم وقد اتجهوا مسرعين إلى الحافلات التى تنتظرهم لتعود بهم إلى مقرهم فى الفندق الذى يقيمون فيه ، وتلفت هو يبحث عن المسجد الذى يجتمع فيه الطلاب للصلاة ، واندمج الرجل فى فلولهم متجهًا إلى المصلى الكبير المتواضع ، لأداء صلاة المغرب .. وفى المصلى وقع نظرى عليه ، وكان يتقدمنى بصف ، وأخذت أراقبه وأتأمل فى صلاته وهو بين ذلك الحشد من الطلاب ، استزاد بعد الفريضة من النوافل ما شاء ، وراح يطيل القراءة والركوع .. ولما هوى ساجدًا لبث فى سجوده بضع

(١) جريدة الحياة اللندنية : ٨ أغسطس ١٩٩٦ م .

دقائق لا يرفع رأسه ، ونظرت إلى وجهه بعد أن استقر جالساً وقد تضرج بحمرة قانية .. كان واضحاً أنه لا يحفل بشىء مما حوله ، وأنه مندمج فى صلاته أكثر من كثير ممن كانوا يصلون حوله ، ولعلى واحد منهم !!

كان هذا المشهد المتبتل بعد تلك العنجهية المتعجرفة دليلًا لا يقبل الريب عندى على أن الرجل صادق مع نفسه فى الإسلام الذى اعتنقه بمقدار ما كان صادقًا مع نفسه فى العنجهية التى كان من قبل مأخوذًا بها ، ثم إننا تعارفنا ، وتقابلنا بعد ذلك فى عدد من المؤتمرات والملتقيات وتباحثنا فى أمور الدين ومشكلات الحضارة دون أن أفاجأ خلال ذلك بما يريبنى منه أو يشككنى فى إسلامه ، لقد اهتم فى السنوات التى تلت إسلامه بالسعى إلى بعث فكرة الوحدة الدينية المتمثلة فى الحنيفية السمحة التى بعث بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وجذب العقلية الأوروبية من خلالها إلى الإسلام .

إننى لم أعلن فقط عن موافقتى لهذه الفكرة بل أعلنت أيضًا عن إكبارى لهذه الدقة العلمية فى دراسة جوهر الدين الحق الذى لا يمكن إلا أن يكون ديناً واحدًا صاحَبَ الإنسان منذ فجر وجوده ، وهو ما قد أكده القرآن فى أكثر من موضع ، وإنما تفرع هذا الدين الواحد إلى أديان متخالفة بدافع اختلافات ساقت إليها عصبيات متحكمة أو مصالح وأهواء مسيطرة تشهد بذلك التطورات الدينية التاريخية المعروفة منذ فجر بعثة المسيح إلى أن استقرت الأمور لقسطنطين على النحو الذى خطط له .. إن هذا الذى عرفه وتذوقه « جارودى » عن حقيقة الدين ، ثم نهض يعلن عنه ويدعو إليه فى قلب أوروبا ، أمر يجب أن يلقى من المسلمين كل دعم وتأييد ، مع تبصيره بالضوابط التفصيلية التى قد لا يكون بصيرًا بها ، ولكن المؤسف أنها حقيقة يجهلها كثير من المسلمين التقليديين الذين يفترض أن يكونوا أسبق منه فى معرفتها والتبصير بها .. مسلمون ، ويتصورون أن الله أنزل على عباده أدياناً سماوية شتى ، وأنه خيرهم فى اعتناق ما يطيب لهم منها ، وجعل لكل منها

رسولًا يدعو إليه ، وينشر فى الناس مبادئه وتعاليمه ، دون أن تسائلهم عقولهم ، كيف يتأتى من الإله الواحد من يخير عباده بين أديان متناقضة فى القرارات الاعتقادية والتطبيقات السلوكية ؟!

تلك هى آخر معلوماتى المباشرة عن أنشطة (جارودى) وبرامجه الإسلامية .. إذ انقطعت صلتى به منذ سنوات ، ولم أعد أعلم جديدًا من أمره .. غير أنى اطلعت منذ بضعة أشهر على حوار أجرته معه إحدى المجلات ، واستوقفتنى فيه آراء وتصورات نسبت إليه ، ليس لها أى وجه من الصحة .. لقد داخلتنى الريبة فى أن يكون الرجل قد آل به الأمر فعلًا إلى أن ينتكس فى فهمه للإسلام وتعامله معه إلى هذا الحد ! ثم ازدات الريبة لدى عندما رأيت الصحافى المحاور ينقل عن لسان جارودى أن مشادة قامت فى إحدى الملتقيات بينه وبين الشيخ يوسف القرضاوى فى الجزائر .. كان من نتائجها أن احتج القرضاوى وغادر القاعة مغضبًا ! وهنا وبالمناسبة لابد أن أعبر عن عجبى للتعليق الذى أدلى به الشيخ القرضاوى عندما سأله الصحافى المحاور فى المجلة ذاتها ، بل العدد ذاته عن حقيقة هذا الذى يقوله غارودى فقد قال : لم تقع بينى وبين روجيه غارودى أى مشادة من هذا القبيل .. ولم أقاطع المؤتمر لهذا السبب ولا لغيره . ثم قال : لعل الذى جرت معه هذه المشادة وغادر القاعة هو البوطى !!

وأقول : ما من ملتقى حضره روجيه غارودى فى الجزائر إلا وكنت أنا والشيخ القرضاوى مشتركين فيه .. ومن ثم فإن بوسعى أن أؤكد بأن أى مشادة أو سوء تفاهم لم يقع بين القرضاوى وغارودى .. ومن ثم فلم يقع ما يستوجب مقاطعة أحدهما للملتقى .. وهذا الذى عرفته عن مشاهدة وحضور ، يعرف مثله الشيخ القرضاوى عنى عن مشاهدة وحضور أيضاً .. فهو يعلم أن أى خصومة فكرية لم تقع بينى وبين غارودى ، ومن ثم فلم أقاطع أيًا من جلسات الملتقى كما تصور وافترض .. ثم ان الريبة داخلتنى

من أمر هذا الحوار كله ، عندما علمت أن روجيه غارودى أعلن أنه لا علم له بشىء عن هذه الحوار الذى نسب إليه فى تلك المجلة والمهم أن شائعة سرت بعدها فى الأوساط الكثيرة بأن روجيه غارودى قد ارتد عن الإسلام ، وقال قائلون : إن الرجل تظاهر بالإسلام ليفسده من داخله ، ثم تناقلت الشائعة ألسنة وأقلام ، وصيغت تعليقات كثيرة ومتنوعة فى حق الرجل اعتمادًا على هذه الشائعة وقبل أن أتحدث عن رأيى فى هذه الشائعة وما ترتب عليها ينبغى أن نتساءل :

أمن الحق فى دين الله أن نثقل أعناقنا بأحكام غيابية ، قد لا تعثر على أشنع منها ولا على أخطر .. اعتمادًا على أنباء ولقاءات صحافية قد تختبئ وراءها عوامل وخلفيات شتى ، دون أى تريث أو تحقيق ؟! ولقد راجت مؤخرًا سوق الأحكام الغيابية بالردة اعتمادًا على أى تهمة أو اعتمادًا على أى قال وقيل دون أن يكون للإسلام وشرعته أى وجود مهمين فى هذه الأسواق الرائجة ؟!

ومن جهة أخرى .. فقد رأت بعض المحاور السياسية المتنافسة فى المنطقة أن الرجل باسمه العالمى الكبير وتوجهه الإسلامى الجديد يمكن أن يكون مبعث كسب سياسى ومصدر سمعة إعلامية مفيدة لها ، لو تم استغلال توجهه الإسلامى بدقة متناهية .. فكان أن تسابقت هذه المحاور إليه ، تخطب وده ، وتعلى من شأنه ، وتعرض عليه خدماتها ، وتوحى إليه أن ينوه بشأنها وأن يسير على نهجها .

وللحقيقة أيضًا أقول : كان من اليسير لهذا الرجل أن ينتهز فرصة تسابقهم إليه ، ابتغاء تحقيق مصالحه ، كما انتهزوا هم فرصة إسلامه ابتغاء السعى إلى مصالحهم .. ولكن شيئًا من ذلك لم يظهر فى طريقة تعامله معهم .. فقد ظل يحشد كل اهتماماته الفكرية ونشاطاته السلوكية لخدمة قناعاته الإسلامية التى هيمنت على مشاعره واحتلت مركز القناعة من عقله

دون أن يفوز أى من تلك المحاور بشيء من الأطماع التى كانت معلقة عليه ، فكانت النتيجة التى أعقبت خيبة الآمال ، فاتخذوا منه موقف المستهين بشأنه ثم المعادى له ، والمشكك فى إسلامه ، وراحوا يتلمسون له الأخطاء والعثرات ، وكأنهم يستردون بذلك الثقة التى كانوا قد منحوها إياه .. والذى أجزم به أنه لا الاهتمام الأول بشأنه كان نتيجة ثقة بصدق إسلامه ، ولا تهوينهم من شأنه بعد ذلك كان نتيجة شكوك ساورتهم عن صدق إسلامه .. وإنما هو الانقياد فى الحالين وراء مصالح أطمعتهم به فى بادى الآمر ، ثم أيأستهم منه فيما بعد ..

لقد أردت من هذا كله أن أفرق بين أمرين .. ما ينبغى أن يلتبسا على باحث موضوعى :

أحدهما : الوقوع فى الخطأ فى فهم مقولة ما من مقولات الإسلام - وهذا أمر ممكن - وأن واحدًا كروجيه غارودى معرض للوقوع فيه لأكثر من عامل واحد على أن المرور بالخطأ غير الركون إليه والالتصاق به ، وأحسب أن الرجل سيتجاوز هذه الأخطاء ما دام ماضياً فى الدراسة والبحث .

ثانيهما : الردة عن الإسلام .. وهذا فى تصورى ظلم شنيع للرجل .. وإسقاط باطل على أمور لا علاقة لها بالردة وضوابطها .. ثم إن الحكم بذلك تلبس بمعصية كبيرة حذر منها رسول الله ﷺ ، هذا بقطع النظر عن كونه حكماً غيابيًا يدين الحاكم قبل أن يجرم المحكوم !!!

وإذا كنا ممن لا يتأتى لهم تجاهل الخلفيات الكامنة على الأغلب وراء الظواهر ، والمحركة لها طبقًا لأهداف مرسومة ، فإن تحليلنا لهذا الاتهام أنه بعض من ردود الفعل المتوقعة للموقف الصريح ، والجرئ الذى يتخذه اليوم « غارودى » من الصهيونية العالمية وإسرائيل .. وليس غريبًا أن يعاقب « روجيه غارودى) على ذلك بسياط دينية من تلك التى يلوح أو يضرب بها بعض المسلمين المغالين ، والذين لا يعلمون من الذى يحركهم ! وأغلب

الظن أن (روجيه غارودى) لن يقيم لهذه السياط وزنًا مادامت القوى التى تحرك الأيدى القابضة عليها معروفة !!!

* * *

ولكن .. تعالوا إلى ما هو أعجب وأغرب .. إلى « ثالثة الأثافى » التى لم تخطر ببال مؤمن أو ملحد !

والمسرح .. للمرة الثانية فى جامعة الأزهر .. وفى كلية أصول الدين « أم » الكليات جميعًا فى جامعة الأزهر .. سيكون - دورى - فى عرض هذه (المهزلة) أو (المأساة) هو دور المراقب فقط .. لن أتدخل من جانبى بكلمة واحدة ولا بحرف واحد .. سأترك الأحداث تتحدث عن نفسها دون تدخل .. وسأترك للقارئ أن يتابع هذه الأحداث كما وقعت وكما نشرتها « مجلة المشاهد السياسى » التى تصدر باللغة العربية فى مدينة لندن [1] .

مثل شرر صغير كانت البداية .. مقال لشخص يدعى (شعبان الموجى) نشرته صحيفة (آفاق عربية) ذات الميول الإخوانية .. جاء فيه انتقاد شرس لمشروع الدكتور حنفى الفكرى وبعنوان مثير لغرائز التفكير (الدكتور حسن حنفى يريد تغيير لفظ الجلالة .. الله) وجد الدكتور يحيى إسماعيل حبلوش الأمين العام لجبهة علماء الأزهر - تضم نحو ألفى عضو أزهرى من المعممين - فى المقال ضالته المنشودة ، وأرسل تعقيبًا إلى الصحيفة وصف فيه مشروع الدكتور حنفى الفكرى (من العقيدة إلى الثورة) بأنه ذو خطر تدميرى .. سبق ذلك أن اعترض الدكتور حبلوش على دعوة وجهتها كلية أصول الدين فى الأزهر إلى الدكتور حنفى ليحاضر فيها ، ودعا إلى مقاطعتها بصفته أستاذًا لعلم الحديث فى الكلية .. اندلع الحريق وتبارى الجانبان فى الهجوم والهجوم المضاد ، والدكتور حنفى غائب يسعى بعلمه !!

---

(١) المشاهد السياسى - العدد رقم ٦٢ - ١٨ - ٢٤ مايو ١٩٩٧ م .

جانب جبهة علماء الأزهر ويمثله الدكتور حبلوش ، والجانب الآخر يمثله الدكتور عبد المعطى بيومى صاحب دعوة الدكتور حنفى لمحاضرة كلية أصول الدين التى كان عميدها لسنوات طويلة مضت .. الجانب الأول يعتقد كما قال لنا الدكتور حبلوش .. أن الدكتور حنفى صاحب مشروع تدميرى ، وينبغى استنفار الأمة كلها ضده قبل أن يأتى عليها بما لا طاقة لها به .. وأنه يحقر الأنبياء والرسل ، ويَدَّعِى عليهم بما ليس فيهم ، ويستطرد بعد بيان أوجه التحقير (من لى بابن حرة من رجال القانون يقف لصاحب هذا المشروع الذى يغتال به فى قاعات الدرس وغرف المحاضرات فلذات أكباد الأمة .. من لى بابن حرة من أعضاء المجالس النيابية يغار على مؤسسات الدولة ونظمها إن لم يكن هناك مكان للغيرة على دين الله وشريعته ، فيتقدم باستجواب للوزير - يقصد وزير التعليم - الذى أسبغ على الدكتور حنفى رعايته وبذل له حمايته وعنايته .. من لنا بابن حرة يقف فى جامعة القاهرة التى وسعت مساحة لهذا المشروع .. أستاذًا بها يفرض بأستاذيته مشروعه المدمر لعقول الناشئة وقلوبهم ، فأخرج منهم أمثال المرتد (نصر أبو زيد) .. وأكمل الدكتور حبلوش لـ (المشاهد السياسى) حجته على مشروع الدكتور حنفى فقال :

إن الله جل جلاله عنده مثل مجنون الحارة الذى يطارده الغلمان فى الأزقة ، وإنه ينكر النبوة ، ولا يعتبر القرآن الكريم كتاب تحليل وتحريم ، بل كتاب فكر يجوز إنكار سورة منه مثل سورة يوسف ، لأن الجنس عيب وتحليله رذيلة ، وأنه يمجد إبليس وينكر الجنة والنار ، وعنده الله هو الأرض والسماء والإصلاح الزراعى ، ويحقر مؤسسات الدولة كالمخابرات والمباحث ، ويقول : إن سؤال الملكين خيال شعبى حول الخوف من عواقب الأمور إلى استجواب ، كما يحدث فى المباحث العامة ، وتعذيب كما يحدث فى المخابرات .. أن يُدرس للطلاب مثل هذا ماذا تنتظر من جيل يتخرج على ذلك بعد ما أهان الله رب العالمين والرسول والقرآن الكريم ، وأعلينا المشروع الفكرى للدكتور الذى يمجد إبليس) .

يقول الدكتور حبلوش : إن الدكتور حنفى يقول : إبليس هو رمز الحرية والرفض وتحدى الإنسان ، وإن إبليس لم يكن مخطئًا فى الرفض ، ولم يكن مستكبرًا .. بل كان واعيًا فى الرفض لفعل الرفض وموقفه يدل على شيئين : الموقف الواعي وعدم الخضوع ، والثانى تحدى الآخر - طبعًا يقصد الله عز وجل - وأكد الدكتور حبلوش أن ما توصل إليه هو ما توصل إليه أساتذة آخرون غيره ، وأضاف : (أنا أحتكم فيما وصلنا إليه إلى جميع المتدينين على اختلاف دياناتهم .. أحتكم إلى أى أزهرى أولًا قبل أن أحتكم للإمام الأكبر .. بل أحتكم للبابا شنودة « بطريرك الأقباط الأرثوذكس » .

* * *

الجانب الآخر ويمثله الدكتو عبد المعطى بيومى عميد كلية أصول الدين السابق والذى قال لـ (المشاهد السياسى) : « إنه يشهد بأن الدكتور حسن حنفى قرأ فى التفسير ما لم يقرأه عالم أزهرى ، وأن التعامل معه على طريقة القص واللصق ، وكلمة من هنا وأخرى من هناك ، هدفها استحلال دم هذا الرجل الذى يعد من أكبر الفلاسفة الإسلاميين فى عصرنا الحالى) .

وقال : إن الدكتور يحيى إسماعيل لم يحتمل فكرة الدخول فى حوار فكرى محترم ، وانتظر ليوجه طعنة من الخلف للدكتور حسن حنفى .. طعنة استخدم فيها أسلوب التلفيق ، فهو أولًا استغل كونه يشغل منصب الأمين العام لجبهة علماء الأزهر ، واستخدام أوراقها وخاتمها الرسمى ليوحى بأن البيان صادر عنها ، رغم أن أحد المسئولين عن الجبهة أكد أن أحدًا من الأعضاء لا يعرف شيئًا عن ما جرى .

ويرى الدكتور بيومى أنها جريمة منظمة اتبع الدكتور حبلوش فيها منهج القص واللصق مع كتب الدكتور حنفى ، ليلفق له آراء مجتزأة مقطوعة من السياق لكنها فى النهاية ترسم بقسوة ملامح الخارج على إجماع الأمة

والكافر الناكر لدين الله إلى آخر هذه التهم التى أصبحت ماركة مسجلة فى اختلاق صراع فكرى مزيف والدفاع عن قيم سامية مثل الدين والأخلاق بجرائم تهين القيم نفسها .

* * *

وبعد صمت طويل جاء الدور على الدكتور حسن حنفى ليرد فى شكل بيان وجهه إلى عميدى كلية أصول الدين السابق (الدكتور عبد المعطى بيومى) والحالى (الدكتور محيى الدين الصافى) يوضح موقفه من القضية ويرد على تصريحات أمين جبهة علماء الأزهر ، وأكد الدكتور حنفى فى بيانه أن الدكتور حبلوش خلط فى عرضه ما بين الرأى الخاص لدينا ، ورأى الفرق الإسلامية التى تعرضنا إليها ، ونسب لى أقوال الفرق ومقالاتها بقصد التشهير وتصيد الأخطاء ، وأخذ الجزء وترك الكل ، والانتقال من جزء إلى جزء ، ومن موضوع إلى موضوع من أجل استعداء الناس بل وأجهزة الأمن ، وهو ما يتنافى مع المنهج العلمى والحوار بين العلماء !

ثم قال الدكتور حسن حنفى :

(كلنا موحدون بالله ، نشهد أن لا إله إلا الله ، مقرون برسالات الأنبياء ، ولا يجوز لأحد الشق على القلوب واتهام أصحابها بالكفر أو الردة أو الإلحاد ما داموا ينطقون بالشهادتين فتصبح أموالهم ونفوسهم وأعراضهم حرمة على المسلمين .. ومن قال لأخيه أنت كافر باء بها أحدهما) .

ودعا الدكتور حنفى فى ختام بيانه إلى ندوة علمية تعقد على ثلاثة أيام لمناقشة كتابه فى إحدى الجامعات المصرية أو فى لجنة الفلسفة فى المجلس الأعلى للثقافة ، أو فى الجمعية الفلسفية المصرية بعد قراءته من المتخصصين فى الكلام والفلسفة فى مطلع العام الدراسى المقبل .

وأضاف إننى أفعل كما فعل ديكارت فى رسالته أيضاً إلى علماء كلية أصول الدين (اللاهوت) بعد أن نشر (التأملات فى الفلسفة الأولى) .. وقامت ضده حملة تشهير مماثلة ، وهو يريد الدفاع عن الدين بطرق جديدة .

* * *

لم يشف بيان الدكتور حنفى غليل الصحافة المصرية وخصوصًا أنه خلا من الرد على ما ورد فى بيان جبهة علماء الأزهر ، وظلت الاتهامات معلقة فى رقبته إلى حين إشعار آخر ، وهذا لم يمنع وزير الأوقاف المصرى الدكتور محمود حمدى زقزوق من الدخول فى المعركة لصالح حنفى ، وزقزوق هو رئيس الجمعية الفلسفية المصرية التى ينتمى إليها الأول ، وقال : إنه لا يجوز أبدًا تكفير مسلم نطق بالشهادتين ، وهذا مبدأ إسلامى معروف يؤكده العديد من الأحاديث الشريفة !!

وحمل زقزوق بشدة على جبهة علماء الأزهر متهماً إياها بممارسة وصاية فكرية على الرأى العام ، وقال : إن هؤلاء - يقصد الجبهة - لا يعبرون عن المؤسسة الدينية المصرية التى لم يصدر عنها فى أى وقت أى ملاحظات سلبية على أفكار حنفى ، كما أنه ليس هناك من بين هؤلاء من لديه إلمام بعلوم الفلسفة ليقيم أفكارًا كأفكار حنفى .. وهو ما ذهب إليه الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر نفسه الذى قال لـ « المشاهد السياسى » أنه محرم شرعًا تكفير من قال لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، ونفى أى علاقة للمؤسسة الأزهرية بهؤلاء ، مشيرًا إلى أنه يعبر عن الأزهر ، ولم يصدر منه أى بيان بشأن الفليسوف الذى أثيرت بشأنه الضجة ، وأن الجبهة لا تعبر عن الأزهر ، ولا تقرب منه .

أما مفتى مصر الدكتور نصر فريد واصل الذى تردد أنه كان عضوًا فى الجبهة قبل توليه الإفتاء فقال : إنه لم يكن عضوًا فى أى وقت فى تلك

الجبهة ، وأنه لا وصاية لهؤلاء على المتدينين فى مصر ، ودعاوى التكفير سبة فى جبين الإسلام لابد وأن نبرئه منها !!

* * *

ستترك الأزهر ومن فيه إلى جهة (محايدة) ! إلى مفكر مسلم معروف هو الدكتور محمد عمارة الذى يعرف الدكتور حسن حنفى معرفة جيدة !! والذى قرأ أفكاره وأقواله قراءة نزيهة ومحايدة ..

فماذا قال الدكتور محمد عمارة ؟[1] .

لقد كتب يقول تحت عنوان (تفريغ الإسلام من محتواه) !!

للدكتور حسن حنفى مشروع فكرى كبير ومتميز .. صدر فيه حتى الآن عدد كبير من المجلدات .. ولقد حدثنا فى التقديم له عن أنه قد اختار إخراجه فى صورة مشروع ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ ، ١٣٣٢ - ١٤٠٦م) مقدمة ، توجز فلسفته ومقاصده .. وأجزاء تفصل هذه الفلسفة وتبسط هذه المقاصد .. وحرص أيضًا على أن ينبهنا على الفارق بين مشروعه وبين مشروع ابن خلدون .. فمشروع ابن خلدون كان عن (الانهيار) الحضارى ، بينما مشروع الدكتور حسن هو عن (النهوض) .

ولما كان قد صاغ فى مقدمته التى طبعها بعنوان : (التراث والتجديد) مذهبه .. ووضع فيها (المقدمات النظرية للمشروع كله) .. فستكون وقفتنا عند هذه المقدمة .. أى عند كتابه (التراث والتجديد) .

وإذا نحن شئنا إيجازًا للمشروع الفكرى للدكتور حسن حنفى ، من خلال كتابه هذا الجامع (للمقدمات النظرية) لمشروعه كله .. فإننا نقول :

---

(١) نقلًا عن كتاب « الإسلام بين التنوير والتزوير » ص ١٨٨ وما بعدها - دار الشروق ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

إنه محاولة لـ (أَنْسَنَة) الدين ، وتفريغه من محتواه ، وذلك بإلغاء (ثوابته ومطلقاته) و (مقدساته) من (الله) إلى (النبوة) إلى (الرسالة) إلى (الوحى) إلى (الغيب) .. إلغاء كل ذلك .. بإعطائها مضامين ومفاهيم إنسانية .. أرضية .. أى إلغاء الغيب كمصدر للمعرفة ، وقصرها على عالم الشهادة ، وقصر سبل هذه المعرفة على (العقل والتجريب » وحدهما .. أى إلغاء كل ما يجاوز الحس والمشاهد ، وتأويل وتفسير كل ما له علاقة بالدين والغيب والألوهية والنبوة والرسالة والوحى على النحو الذى « يؤنسنه » ويجعله إفرازًا بشريًا !!

فنحن إذن بإزاء استعارة لفلسفة (التنوير - الغربى - العلمانى) يريد الدكتور حسن حنفى أن يتعامل بها مع الإسلام ، كما تعامل التنويريون الغربيون مع النصرانية الأوروبية إبان النهضة الأوروبية الحديثة .

فكيف تعامل الدكتور حسن مع الإسلام بهذه الفلسفة التنويرية وبمنهاجها فى التعامل مع الدين؟!

* يشبه الدكتور حسن حنفى « التراث » بـ « المخزون النفسى » وينتقد مذهب الذين يكتفون به .. ومذهب الذين يكتفون بالجديد - الاكتفاء الذاتى للتراث الجديد ، ويقدم مذهبه هو فى التعامل مع هذا « المخزون النفسى » - التراث - مذهب « التراث والتجديد » ، فإذا به تصفية لهذا المخزون ، وتبخير له ، وتخلص منه لا « برفضه » - كما يصنع أنصار « الاكتفاء الذاتى بالجديد » ، وإنما بإعادة تفسيره التفسير الذى يجعله مساويًا تماماً لـ « جديد » أنصار « الاكتفاء الذاتى الجديد » !!

فهو يلغيه ويصفيه ، لكن باسمه ، وبلغته ، وتحت مظلته .. وهذا منهاج أذكى - ولا نقول : « أخبث » ! - فى التعامل مع هذا « المخزون » ! لأنه سبيل « غير مباشر » فى التصفية والإلغاء .. أما الهدف والغاية فلا مساومة فيها .. فمهمة التراث والتجديد هى التحرر من السلطة بكل أنواعها ، سلطة

الماضى ، وسلطة الموروث ، فلا سلطان إلا للعقل ، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذى نعيش فيه ، وتحرير وجداننا المعاصر من الخوف والرهبة والطاعة للسلطة ، سواء كانت الموروث أو سلطة المنقول !

هنا تطالعنا « آلهة التنوير الغربى » التى جاء بها الدكتور حسن ليحلها محل « الموروث » - كل الموروث - (فلا سلطان إلا للعقل ، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذى نعيشه فيه) !! « العقل » و « المادة » ! والتحرر المطلوب هو مما عدا ذلك ، وخاصة « سلطة الموروث والمنقول » !

• وعلى درب التفسير والتأويل لهذا الموروث - بألوانه المختلفة - ذهب الدكتور حسن مذاهب إن أضحكت الجمهور وأبكته ، فإنها ستذكر أهل العلم بمذاهب غلاة الباطنية القدماء، الذين حولوا كل ظاهر إلى باطن ، وكل واقع إلى خيال ومثال .. وبمذاهب التنويريين الغربيين الذى « أنسنوا » - بمذاهبهم الوضعية - كل الإلهيات !

ففى تفسيرات وتأويلات مذاهب « التراث والتجديد » يتحول « الدين » إلى « أيديولوجية » .. ويتحول « الإسلام » إلى « تحرر » بل ويتحول « الله » ﴿ تعالى الله عما يصفون ﴾ إلى : « الأرض .. والخبز .. والحرية .. والعدل .. والعتاد .. والعدة .. والقوة » فالله (بنص عبارة « التراث والتجديد » - لفظة نعبر بها عن صرخات الألم وصيحات الفرح ، أى أنه تعبير أدبى أكثر منه وصفًا لواقع ، وتعبير إنشائى أكثر منه وصفًا خبريًا) !!

ولذلك ، فإنه - ضمن مهام التجديد اللغوى المطلوب - يجب التخلى عن الفاظ ومصطلحات كثيرة ، من مثل : « الله » و « الرسول » و « الدين » و « الجنة » و « النار » و « الثواب » و « العقاب » ... إلخ . يجب التخلى عن هذه الألفاظ (فى علم أصول الدين ، لأنها قطعية .. ولأنها تجاوز الحس والمشاهدة .. ولأنها تشير إلى مقولات غير إنسانية) !!

فكل ما يجاوز « الحس والمشاهدة » ، وكل ما لا « يتأنسن » ، يجب تأويله وتحويله .. بل والتخلى عنه وإلغاؤه !!

* وبما أن حضارتنا وتراثنا ومنهجيتنا كانت تولى وجهها شطر الله والسماء ، فإن عليها – فى مذهب « التراث والتجديد » – أن تدير ظهرها لله والسماء ، وتتمركز حول الإنسان .. وفى ذلك يقول الدكتور حسن : (وما زلنا نحن فى واقعنا المعاصر يتمركز فكرنا القومى على الله ، ولم نطور المكتسبات الإنسانية فى تراثنا القديم ، بالرغم مما نحن فيه من مآسى الإنسان التى كان يمكن أن تجعله محورًا أساسيًا فى فكرنا القومى) !!

أما كيف نحقق مذهب « التراث والتجديد » فى تركيز الفكر حول « الإنسان » بدلًا من « الله » فبوضع « الإنسان الكامل » موضع « الله » وتحويل أسماء الله وصفاته إلى الإنسان .. فالانتقال من « الله » إلى « الإنسان الكامل » يعبر عن مضمون « الله » ، فكل صفات الله : العلم ، والقدرة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والإرادة ، كلها صفات الإنسان الكامل .. وكل أسماء الله الحسنى تعنى آمال الإنسان وغاياته التى يصبو إليها « فالإنسان الكامل » أكثر تعبيرًا من لفظ « الله » .

ففى مذهب « التراث والتجديد » لن نخسر شيئًا إذا نحن ألغينا « الله » ووضعنا مكانه « الإنسان الكامل » ، لأن الأسماء والصفات التى وصف الدين بها الله ، ما هى إلا « صفات الإنسان الكامل .. وآماله وغاياته التى تصبو إليها » ! فهذا « الانتقال » و « الإلغاء » و « الإحلال » و « التبديل » أن هو إلا « التصحيح » الذى يكتشفه لنا « التنوير الغربى » فى صورته التى جاء بها الدكتور حسن حنفى !!!

ولذلك فإن « التراث والتجديد » – كعملية معرفية – ومنهجية فى التعامل مع الموروث ، لا تتحدث عن الأشياء فى ذاتها ، مثل « الله » .. بل إن التراث والتجديد يتعامل مع العالم الإنسانى وحده .. وهو دعوة إلى

الانتقال من العقل إلى الطبيعة ، ومن الروح الى المادة ، ومن الله إلى العالم ، ومن النفس إلى البدن ، ومن وحدة العقيدة إلى وحدة السلوك .

فما وراء المادة والإنسان : وَهمٌ .. والمطلوب - فى مذهب « التراث والتجديد » هو التحول عن هذا « الوَهم » إلى حقيقة العالم والإنسان وحدها !

وإذا كان « الله » - فى مذهب حسن حنفى - « لفظة .. وتعبيرًا أدبيًا أكثر منه وصفًا لواقع .. وتعبيرًا إنشائيًا أكثر منه وصفًا خبريًا » ، فإن « الواقع » و « الخبر » هو « الإنسان » .. وما « الله » إلا وعى الإنسان بذاته ، مدفوعًا خارج العالم بعيدًا عن الإنسان ، منفصلًا عنه .. وما صفاته وأسماؤه إلا آمال الإنسان وغاياته التى يصبو إليها .. فالحقيقة هى الإنسان ، والواقع الذى يعيش فيه .. فقط لا غير !

* وكما اقترح مذهب « التراث والتجديد » التحول من « الله » إلى « الإنسان » ، بإحلال « الإنسان الكامل » محل « الله » كذلك يقترح بناء جديدًا للعلوم . فعلوم العقيدة التى تتحدث عن « الله » و « الإنسان » مطلوب إعادة بنائها لتكون ثنائيتها « العالم » و « الإنسان » ، بدلًا من « الله » و « الإنسان » .. (فكل مسائل علم الكلام التى ظهر فيها الله كطرف للإنسان ، مثل الجبر والاختيار ، والحسن والقبيح ، والوعد والوعيد ، فهى مسائل موضوعة وضعاً خاطئًا ، لأن الله ليس طرفًا فى فعل الإنسان ، بل العالم ، والحسن والقبيح يحددان علاقة الذات بالموضوع وليس علاقة الموضوع بالله ، والوعد والوعيد يحددان آثار الفعل فى هذا العالم ، وليست آثاره المترتبة عليه فى عالم آخر .

إن طريقة العرض القديمة - فى الموضوعات الكلامية - تجعل الله طرفًا فى كل مشكلة ، ويكون مع الإنسان : الله المشخص ، المريد ، الفعال ، العاقل ، القادر ... إلخ .. ولكن التوحيد ذاته موضوع مستقل بذاته ..

فالتوحيد يعنى : وحدة البشرية ، ووحدة التاريخ ، ووحدة الحقيقة ، ووحدة الإنسان ، ووحدة الجماعة ، ووحدة الأسرة .. فالمهم هو إيجاد الدلالة المعاصرة للموضوع القديم ، وتخليصه من شوائبه اللاهوتية والتاريخية والنظرية ، وإعادة وضع المشكلة الوضع الصحيح ، وهو الوضع الإنسانى والاجتماعى ، وتكون مهمتنا - مثلاً - فى إعادة بناء التوحيد التقليدى هى التركيز على التوحيد كعملية توحيدية ، وعلى الحرية كعملية تحرر ، وعلى العقل كعملية تنوير ، وعلى العمل كعملية تحقيق وتغيير شامل ، وعلى الشورى لتغيير النظم التسلطية ، وعلى الطبيعة من أجل إدخال بُعدها فى الشعور المعاصر ، وعدم الاستنكاف منها بناء على عواطف التطهر والتطهير) .

فالمطلوب : علم توحيد ، بلا « إله » وبلا « عقيدة » .. وتلك دلالة اختيار الدكتور حسن حنفى لمشروعه عنوانًا هو « من العقيدة إلى الثورة » .. فالغاية : علم توحيد أرضى إنسانى ، لا علاقة له بالله أو الدين أو السماء ! وليس ذلك بالغريب فى مذهب « التراث والتجديد » .. فإذا كان « الله » مجرد تعبير أدبى وإنشائى .. « فليس للعقائد صدق داخلى » !

« ولا يوجد دين فى ذاته » ! .. « والوحى ليس ديناً ، بل هو البناء المثالى للعالم » ! .. ولا يحول دون ذلك أن « التراث قد نشأ من مركز واحد ، وهو القرآن والسنة .. فهذان المصدران لا تقديس لهما ، أو للتراث ، بل هو مجرد وصف لواقع » ! .. و « التراث قضية وطنية لا دينية » ! « ومادة التراث نسقطها كلها من الحساب ، ونستبدل بها مادة أخرى جديدة من واقعنا المعاصر » !

فالغاية ، فى مذهب « التراث والتجديد » هى تحويل « العلوم الإلهية » - بعد إلغاء « الله » ، وإحلال « الإنسان الكامل » محله هى تحويل « العلوم الإلهية » والوحى الإلهى إلى « علوم إنسانية محكمة » ، وذلك تمهيدًا

لتحويلها إلى « أيديولوجية » أى فكرية وضعية لا علاقة لها بالدين والوحى والله والسماء .. وبنص عبارة الدكتور حسن حنفى : فإن التراث والتجديد هو تحويل العلوم العقلية القديمة إلى علوم إنسانية ، وأن يصبح الكلام والفلسفة والتصوف والأصول كل منها علماً إنسانيًا .. وإذا كان التراث قد أعطانا علوماً عقلية ، عبر فيها عن آخر ما وصلت إليه قدراته من تعقيل للنص ، وتنظير للوحى ، وإذا كان التجديد باستطاعته تحويل هذه العلوم التقليدية إلى علوم إنسانية ، فإن العصر الحاضر يسره القيام بخطوة أكثر تقدماً ، وهى تحويل العلوم الإنسانية ، وريثة العلوم التقليدية إلى أيديولوجية ، وتلك هى الغاية القصوى من « التراث والتجديد » .

« التراث والتجديد » فى النهاية إن هو إلا تحويل للوحى من علوم حضارية إلى أيديولوجية ، أو ببساطة : تحويل الوحى إلى أيديولوجية .. تحويل الوحى ذاته إلى علم إنسانى ! ..

وهذه المهمة التى يتصدى لها الدكتور حسن حنفى ، بمذهب « التراث والتجديد » لم يتطلع إليها فى الواقع الإسلامى أحد من قبل .. فالحركات التجديدية المعاصرة .. حاولت إعادة بناء العلوم التقليدية ، فى صورة جزئية ، لأنها كانت دعوات « إصلاحية » أكثر منها دعوة للبحث الخاص ..

لقد تناولت بعض أجزاء هذه العلوم ، دون أن تتناولها فى جملتها .. مثل محاولة إعادة بناء علم أصول الدين فى (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده ، ومحاولة إعادة بناء الفكر الفلسفى فى (الرد على الدهريين) للأفغانى .

أما مشروع الدكتور حسن حنفى .. فلأنه « ثورى » لا يقف عند حدود « الإصلاح » ، فإنه هو الذى سيغير « طبيعة » هذه العلوم تغييرًا جذريًا .. سينتقل بها من إطار « العلوم الإلهية » إلى إطار « العلوم الإنسانية »

وذلك تمهيدًا لتحويلها إلى « أيديولوجية وضعية » لا علاقة لها بالألوهية أو الدين !!

وعندما يتحقق مشروع الدكتور حسن حنفى .. فإننا سننقل إلى أيديولوجية جديدة ، تجعلنا لا نخاف - كما يقول صاحب « التراث والتجديد » - من العلمانية .. فالعلمانية هى : رجوع إلى المضمون دون الشكل ، وإلى الجوهر دون العرض ، وإلى الصدق دون النفاق ، وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته ، وإلى الإنسان دون غيره .. فالعلمانية إذن هى أساس الوحى ، فالوحى علمانى فى جوهره ، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ ، تظهر فى لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور (١٠) !!

فلا خشية من العلمانية ؛ لأنها إلغاء « للدينية » وعودة « للوحى العلمانى » !! والوحى - فى « التراث والتجديد » - ليس ديناً ، بل هو البناء المثالى للعالم ! .. فالعلمانية إذن ستعود إلينا بهذا البناء المثالى للعالم الذى لا علاقة له بالدين ، كما جاء به الوحى ، ولا بالوحى كما يفهمه المتدينون بالأديان !! بل ولن يكون هناك يومئذ - يوم تتحول العلوم الإلهية إلى أيديولوجية وضعية إنسانية - لن يكون هناك خوف حتى من « الإلحاد » وليس فقط « العلمانية » .

فالإلحاد - فى مشروع الدكتور حسن حنفى هو : التجديد .. هو التحول من القول إلى العمل ، ومن النظر إلى السلوك ، ومن الفكر إلى الواقع.. إنه وعى بالحاضر .. ودرء للأخطار .. بل هو المعنى الأصلى للإيمان !!

فبالتراث والتجديد لن يكون هناك خوف من العلمانية .. ولا من الإلحاد ، فهما « الوحى » و « الإيمان » فى عرف صاحب هذا المشروع الذى لا أظن أحدًا من غلاة التنويريين الغربيين قد قال أكثر من هذا الذى قال فى « مقدمته » الصغيرة ، لمشروعه الفكرى الكبير الذى تَغَنَّيَا به « نهوضنا »

الجديد المنشود .. لقد بلغ الرجل قمة المصارحة والتحديد فى تلخيص مذهبه فى « التجديد » عندما قال : « إن الإلحاد هو التجديد .. وهو المعنى الأصلى للإيمان » ؟؟!!

* * *

بقى أن أقول - للتاريخ - : إننا عندما صدر كتاب الدكتور حسن حنفى « التراث والتجديد » سنة ١٩٨٠م .. اجتمعنا - مجموعة من المفكرين - به فى جلسة نقدية لهذا الكتاب - بمنزل الصديق الأستاذ المستشار طارق البشرى .. ولقد توليت أنا عرض هذه الملاحظات النقدية على الكتاب .. ولم يشأ الدكتور حسن حنفى - يومها - أن يجيب على تساؤلات الحضور .. إلا بابتسامة ، قال لى معها : هو أنت كشفت الموضوع ؟!!

فلما استأذنته أن أكتب عن الكتاب ، رجانى ألا افعل ، وقال :

لقد طبعته بحروف صغيرة حتى لا يستطيع « المشايخ » قراءته !! وتوالى منذ ذلك التاريخ صدور أجزاء « المشروع التنويرى » الذى عرضنا لمقاصده ولآلياته فى هذه الصفحات ! .. مشروع « تصفية المخزون النفسى - التراث - كل الموروث - باسمه .. وتحت مظلته .. وبذات اللغة المستخدمة فيه ، وذلك بتجريده من محتواه مع الاحتفاظ بالقوالب التى يصب فيها أى شىء سواه ! ..

* * *

أما بعد ..

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ !!

﴿فكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ !!

لكن أن تهدر الحقائق على هذا النحو ، ويساء إلى الإسلام بهذا الشكل .. وأن يقع ذلك ويحدث فى جامعة الأزهر .

فلتسقط السماء على الأرض كسفاً !!

وليمت المسلمون غيظاً وكمدًا !!

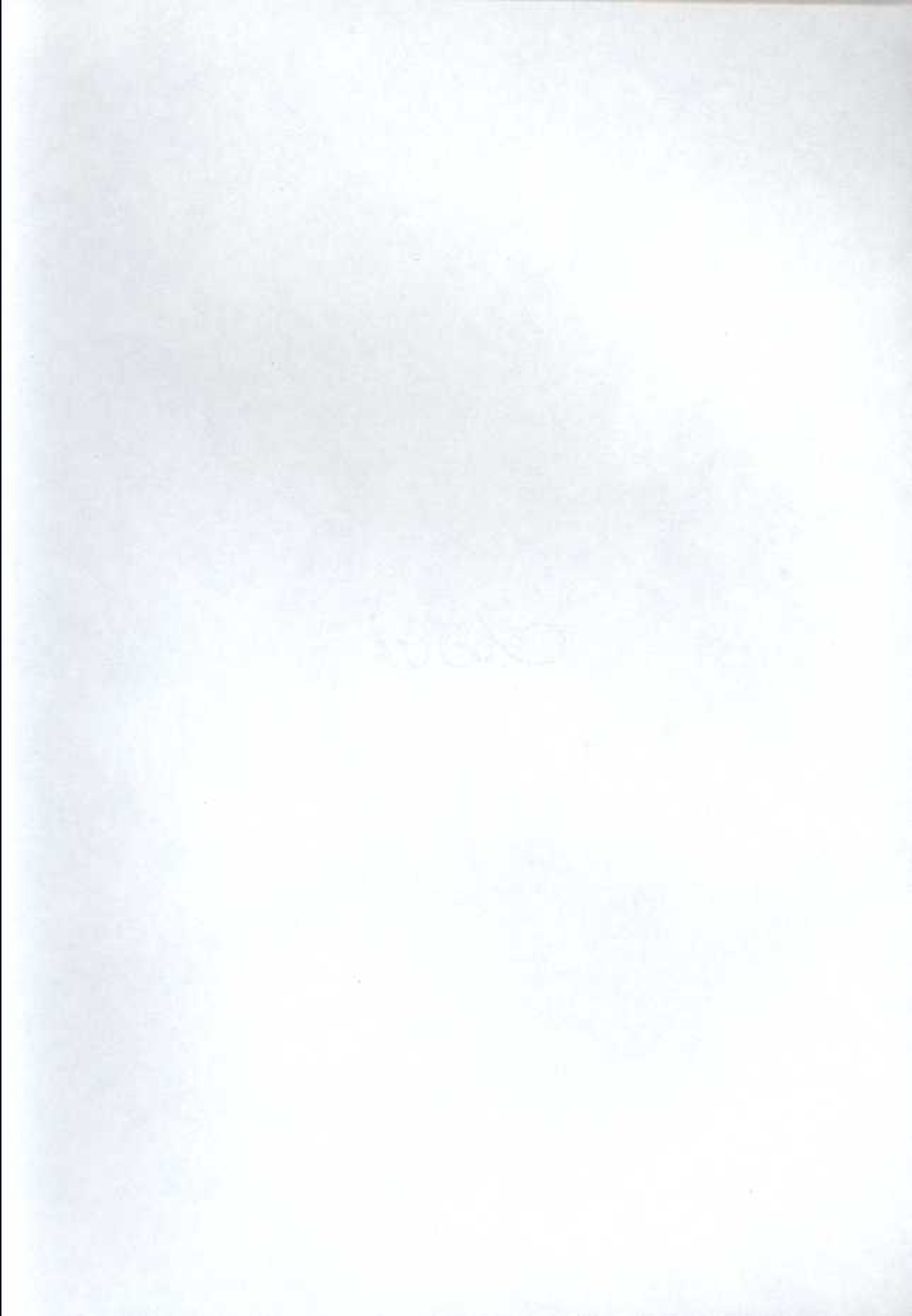
وليغلق الأزهر أبوابه حتى لا يحمل أوزار ما يحدث باسمه زورًا وكذبًا !!

* * *

إن مهمة الأزهر الأولى هى الدفاع عن العقيدة ، فإذا عجز عن الدفاع عن العقيدة فَقَدَ مبرر قيامه ووجوده .. أليست هذه هى الحقيقة أيها الدكاترة ؟!!

* * *

فهرس الكتاب



الموضـوع	رقم الصفحة

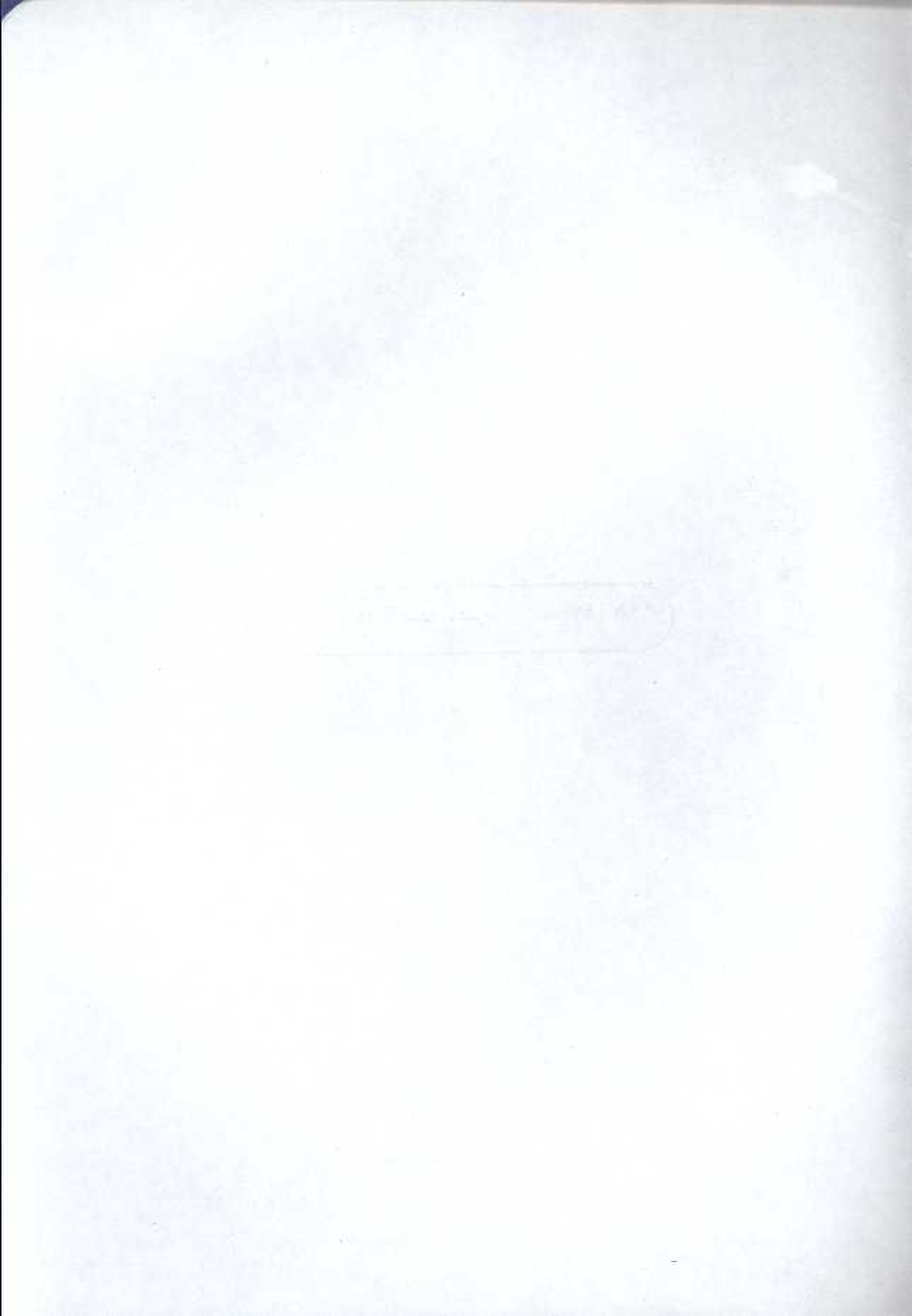
الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضـوع رقم الصفحة

* * *



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٤٧٠٠ / ١٩٩٨

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى - ١١٢٣١

الأزهر إلى أين ؟!

أجل الأزهر إلى أين ؟ إنه لعزيز على أى مسلم غيور أن يسأل مثل هذا السؤال .. فالأزهر يمثل فى مصر « قدس الأقداس » ولكن ما الحيلة إذا كان رصيده قد أوشك على النفاد ؟ وما الحيلة إذا كانت المحاكم فى مصر المحروسة قد أدانته بالتقصير والعجز ؟!

* * *

إن الأزهر فى محنة حقيقية .. دعك من هذا الكلام الذى يتشدق به المسئولون فيه .. ودعك من التباهى والتفاخر بكثرة المعاهد والكليات .. إنها « عشوائيات » قامت على غير أساس ! بل إن الاستزادة من إنشاء هذه المعاهد وهذه الكليات أصبحت تشكل خطراً على العملية التعليمية فى مختلف مراحل التعليم فى الأزهر كله .. من المعهد الابتدائى إلى الجامعة .. ومن منبر المسجد فى مصر المحروسة إلى سائر أنحاء الدنيا !

* * *

لو كان للأزهر وجود حقيقى ما ارتفعت فى مصر صيحات الإلحاد والتطرف ، واختفت إلى الأبد عصابات الإرهاب المسلح .. إن الأزهر يمر بمحنة حقيقية .. محنة فى التعريف بدين الإسلام السمح .. ومحنة فى تقويم اللسان العربى الذى يكاد يختفى حتى فى الأزهر نفسه ! ومحنة فى الحفاظ على تاريخه ودوره وأثره .. ومحنة فى الرجال الذين كانوا شموس المعرفة الإسلامية الصحيحة فى جميع أنحاء الدنيا !

* * *

إن الأزهر الذى عرفناه لم يعد قائماً ، والعلم الذى درسناه أصبح دارساً ! وواجب ، بل فرض على الدولة ، وعلى كل مسلم ومسلمة أن يقيل الأزهر من عثاره .. اليوم قبل الغد .. ومن الآن قبل أن نعض بنان الندم ، وقبل أن تفقد مصر مكانتها بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم !!